


تأليف

الإمام الهمام شيخ الإسلام والمسلمين

الحبيب عمر بن الحبيب سقاف بن محمد بن عمر الصافي السقاف

رحمه الله تعالى

(١١٥٤-١٢١٦هـ)






بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

# [ خُطبَةُ المؤلِّف ]

الحمد لله الذي شرح صدور عباده العارفين بما ملأها من أنوار الحب واليقين ، وأفاض علىٰ قلوبهم من مياه التَّسليم والرضا ما تطهرت به من شهوات النفوس ونزغات الشياطين ، فاكتفوا بالخالق عن المخلوقين ، ونظروا إلى الرَّازق دون المرزوقين ، وسلَّموا لأحكامه ، وتمتعوا في رياض معرفته وإنعامه ، فانشرحت صدورهم ، وتم أنسهم ونورهم ، وانزاحت عنهم الكروب ، وفرحت منهم القلوب ، وغرّدت أطيارهم علىٰ أفنان أغصان رضا المحبوب ، وتمسكوا بما به الإشارة إلى البشارة بنيل كل مطلوب .

وصلى الله وسلم علىٰ سيدنا محمد الواسطة الكبرىٰ ، في الدنيا والأخرىٰ ، المبعوث بالبشرىٰ ، الناطق بالحق في الإخبار والإنشاء ، القائل عن ربه : « أنا عند ظن عبدي بي ، فليظن بي ما شاء »[1] ، المؤيَّدِ بشرح الصَّدر وتيسير الأمر في قوله جل وعلا : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ إلىٰ آخر السُّورة ، صلى الله وسلم عليه وعلىٰ آله وصحبه ، وخاصته وحزبه ، الكارعين من حياض قربه ، ومعرفته وحبه .

أما بعد :

فإني رأيت هـٰذا الزمان كثيرَ الحدثان ، قد توالت علىٰ أهله الهموم ،

---

(١) طرفه في « صحيح البخاري » ( ٧٤٠٥ ) ، و« صحيح مسلم » ( ٢٦٧٥ ) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وهو كاملاً في « صحيح ابن حبان » ( ٦٣٣ ) ، و« شعب الإيمان » للبيهقي ( ٩٧٥ ) عن سيدنا واثلة بن الأسقع رضي الله عنه .

وغشيتهم الغموم ، وقد قست منهم القلوب ، وتوالت عليهم الكروب ، وأقبلوا علىٰ ما يفنىٰ ، وأعرضوا عمَّا يبقىٰ ، وغفلوا وأعرضوا عن معاملة الله ، وأدبروا عن باب الله ؛ فغرقت العامَّة في بحار الأكدار ، وحارت الخاصَّة في ميادين الاستبصار ، وكلٌّ حار مع من حار ، ودار مع من دار ، وغرق في بحار الهموم ، وغفل عن معاملة الحي القيوم ، فرأيت أن أبشر قلبي ببشائر ، وأزيل عن روحي الستائر ، وأتسلىٰ بالمكوِّن عن الأكوان ، وأنظر إلىٰ ما سبق وكان ، وأفرِّحَ قلبي ، وأزيل همي وكربي ، بالنظر إلى السَّوابق ، والارتقاء من الصور إلى الحقائق .

فعسىٰ أن أشم نسيم الأنس والصَّفاء ، والفرح والاصطفاء ، وتحصلَ الأفراح ، وتزول الأتراح ، بجمع رسالة تكون فيها بشارة للمقبلين ، وسلوة للمحبين ، وتفريجٌ لكرب المكروبين بما أجمعُ فيها من العلوم النافعة ، التي هي للهموم والبلايا دافعة ، ولمن تخلق بها وتحقق إلى المراتب رافعة ، تشتمل علىٰ مبشرات الآيات ، والأحاديث النافعات ، الجامعة للمصالح الباطنة والظاهرة ، ومنافع الدنيا والآخرة ، وجدير بأن يسمىٰ :

« تفريح القلوب وتفريج الكروب »

وهي ثلاثة أقسام :

**القسم الأول** : في ذكر الآيات الشارحة للصُّدور ، الجالبة للسرور ، بطريق الفهم والنور ، وفي ذكر الأحاديث المبشرة ، الدافعة للهموم ، المزيلة للغموم ، وفي ذكر أدعية الكرب وغيره .

**القسم الثاني** : في الأسباب التي بها تنشرح الصُّدور ، ودفع المهمَّات ، ويكون بها صفاء الحال في الحياة والممات ، وبها دفع الشواغل الصَّادَّة عن الله ، والحجب المانعة عن الصَّفاء مع الله ، وفي هذا الفصل خاتمة تتعلق بذكر القهوة ؛ لأنها من أسباب السرور ، وفيها مشهد لأهل النور .

**القسم الثَّالث** : فيما ذكره الأئمة العارفون من الأقوال المنظومة ، التي هي معروفة ومعلومة ، مما يناسب موضوع الكتاب ؛ لكونه لجلب الصفاءِ والفرحِ والفرجِ من أعظم الأسباب .

وكل ذلك علىٰ سبيل الاختصار والإشارة بما فيه البشارة من بعض معانيها ، وإبراز بعض مخبَّآت ما فيها ؛ لنتعلق ونتمسَّك بأذيالهم ، ونتشفَّع بصالح أعمالهم ، نفعنا الله بأسرارهم ، وأفاض علينا من بحار أنوارهم ، وجعل كتابه القرآن ربيع قلوبنا ، وجلاء غمومنا وكروبنا ، وسبباً للوصول ، والفوز بكلٍّ مأمول .

❁ ❁ ❁

# القِسمُ الأوّلُ

## في الآيات القرآنيّة ، وما تعلق بها من الأدعية القرآنية والأذكار وفيما ورد من الأخبار عن المصطفى المختار ، مما تنشرح به الصُّدور والأسرار

قال الله تعالىٰ : ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ أما بشارة الحياة الدنيا . . فهي الواقعة عند الموت ، وكذا قبله بمعرفة الله تعالىٰ ، والأنس به عمَّا سواه ، والفرح والسُّرور وشرح الصُّدور ، الواقع لأهل الصفاء والنُّور .

وأمَّا بشارة الآخرة . . فهي عند النظر إلىٰ وجه الله الكريم ، وبشرى الملائكة للمؤمنين بقولهم : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ .

### [آيات شرح الصدر]

وقال سبحانه وتعالىٰ :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۞ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۞ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۞ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ . . . ﴾ إلىٰ آخر السُّورة .

فقوله تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ أي : ألم نوسّعه ونؤهّله للإيمانِ والنبوّة ، والعلم والحكمة ، والصَّبر علىٰ مقاساة أهل الضلالة والجهالة ، ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۞ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ أي : أثقله ؛ أي : خففنا عليك أعباء النُّبوَّة والقيام بها ، وقوله : ﴿ وِزْرَكَ ﴾ لعل المراد : وزر أمتك ؛ كقوله : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ أي : ذنوب أمتك ، أضافها إليه

لاشتغال قلبه بها . هـٰذا هو الأليق بمقامه صلى الله عليه وسلم ؛ إذ هو سيد المعصومين ، ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ فلا أُذكر إلاَّ وتُذكر معي ، ثم وعده اليسر والرَّخاء بعد الشدة والبلاء ، وسلاَّه بأن أخبره باقتران العسر باليسرين فقال جل وعلا : ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۞ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ أي : إن مع الشدة التي أنت فيها من الأذىٰ بمكة ، والجهاد بالمدينة يسراً مقترناً به ، وغالباً عليه ، فلنُظْهِرنَّك عليهم ولننصرنَّك ، فالعسر واحدٌ ، واليسر اثنان ؛ لتكرر النكرة .

وهكذا المؤمن عند الابتلاء والأذىٰ والعسر يجد فرحاً به ، ونظراً إليه ، وانتظاراً منه[1] ، فيفرح بربه ، ويستريح من كربه ، وقال سبحانه وتعالىٰ حكاية عن كليمه موسىٰ عليه السَّلام : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۞ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ۞ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ۞ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ۞ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ۞ هَٰرُونَ أَخِى ۞ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ۞ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ۞ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۞ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۞ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ والإشارة في هـٰذه الآية مثل المتقدمة ، سأل موسىٰ ربه عند مقاساة بني إسرائيل ، وعداوة فرعون وقومه شرحَ الصَّدر ، وتيسير الأمر ، وحلَّ العقدة ، وقوله : ﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا ﴾ معيناً ومَعْضِداً من أهلي ؛ لارتباط الجنسيَّة ، وتعاضد أهل الإيمان بالصَّفاء الباطن ، ومددُ الظاهر يُفهم من ذلك ، وكذلك المشاركة في الأمر المطلوب ، وثمرته التعاون على الحق والنَّصر على الأعداء ، ﴿ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴾ نصلِّي لك ونعبدك ، ﴿ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۞ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ والإشارة في الآية وأسرارها واسعة .

وافهم الفرق بين المقامين : موسىٰ عليه السلام طلب من ربه شرح صدره ، ومحمَّدٌ صلى الله عليه وسلم قال له ربُّه : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ .

وقال الشيخ الأهدل في شرحه علىٰ قول الإمَام أبي حربة في دعائه المشهور : ( واشرح به صدورنا ) :

---

(١) في ( هـ ) : ( وانتصاراً ) .

المراد بالصُّدور هنا : القلوب ؛ أي : وسْعها لمعرفة الحق وقبوله والعمل به ، ببركة القرآن ، قال تعالىٰ : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ إلىٰ أن قال في معرض التقرير بالنعم : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ قال ابن عبّاس رضي الله عنهما : نشرحُه بالإسلام[1] ، وقال سهل : بنور الرسالة[2] ، وقال الحسن : نملأه حكماً وعلماً[3] ، حتىٰ عَلِمَ حقائق الأشياء ، وحَكَم لها بحكمها ، عَلِمَ حقيقة الدنيا فتركها ، وأنَّ الآخرة باقية فرغب فيها ، وكذلك كلُّ شيء .

وقيل : معناه ألم نطهِّر قلبك حتىٰ لا يؤذيك الوسواس[4] .

## [الحكمة في شرح الصدر دون القلب]

وقال بعضهم : حكمة النص في الآية علىٰ شرح الصَّدر دون القلب : أنَّ الصدر محل الوسوسة كما في ( سورة الناس ) فإزالتها وإبدالها بدواعي الخير هي الشَّرح ، فهو راجع إلى المعرفة والطاعة ؛ لأنَّه لما بُعث إلى الأحمر والأسود من الإنس والجن.. أخرج من قلبه جميع الهموم ، فاتسع لجميع المهمات من غير قلق ولا ضجر[5] .

وقال الواحدي : شرح الصَّدر : الفتح وإذهاب ما يصدُّ عن الإدراك ، والله فتح صدر نبيِّه صلى الله عليه وسلم بإذهاب الشواغل التي تصدُّ عن إدراك الحق[6] ، قال ابن عبَّاس في معنىٰ هٰذه الآية : قالوا : يا رسول الله ؛ أينشرح

---

(١) انظر « الدر المنثور » ( ٨/ ٥٤٧ ) .

(٢) تفسير التستري ( ص ١٩٨ ) .

(٣) انظر « الدر المنثور » ( ٨/ ٥٤٧ ) .

(٤) تفسير السمرقندي ( ٣/ ٤٨٩ ) .

(٥) انظر « تفسير الرازي » ( ٣٢/ ٣ ) .

(٦) انظر « زاد المسير » ( ٩/ ١٦٢ ) .

الصَّدر ؟ قال : « نعم » ، قالوا : هل لذلك من علامة ؟ قال : « نعم ، التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلىٰ دارِ الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله »[1] .

أشار صلى الله عليه وسلم إلىٰ زوال الشَّواغل التي تصدُّ عن حقيقة الإدراك ، انتهىٰ ملخصاً من الشرح المذكور .

وقال تبارك وتعالىٰ : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ أي : نور الهداية ، ونور الإنابة ، ونور الرضا والتسليم والإجابة ، إجابة داعي الصِّدق إلىٰ شهود الحق ، والنُّور ضدُّ الظلمة ، والكدورة هي الحجاب الأعظم ، وقوله : ﴿ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ عامٌّ في جميع أحوال العبد وتقلباته وحركاته وسكناته ، والنور الفرح بالله ، وبما جاء من الله ، وبحسن الظن في الله ، وكلام المفسرين في معنىٰ هـٰذه الآية معروف فتأمله .

## آياتُ الصَّبر

قال الله تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ أمره بالصَّبر عند ضيق الصَّدر ، وأرشده إلى الصلاة في قوله : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ والتنزيه له والتوحيد ؛ ليريحه بذلك عن المقابلة بالنَّفس والغيظ والتشفي ، ثم رقَّاه إلى اليقين في قوله : ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ أي : حتَّىٰ تثمر لك العبادةُ الطمأنينةَ واليقين بأن ذلك من الله حقيقة لا منهم ، فعند ذلك يسكن الغضب ، ويفرح القلب بما منَّ الله .

وهـٰذا من طريق الإشارة ، وإلا . . فقد قال المفسِّرون : اليقين هنا :

---

(١) المستدرك ( ٤/ ٣١١ ) ، وشعب الإيمان للبيهقي ( ١٠٠٦٨ ) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

الموت ؛ أي : واصبر على عبادة ربك إلى أن يتوفاك الله[1] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ أمره بالصَّبر أيضاً ، وما الصَّبر كائن إلاَّ بالله ، وبعدم الحزن على أذياتهم وعدم هدايتهم ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ﴾ ، ولا تحزن بسببهم ؛ إذ هم مسخَّرون ومقهورون ، ﴿ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ إذ البشرية تقتضي ذلك ، سلاَّه بذلك وعزَّاه ، وعرَّفه أن ذلك كله راجع إليه ، ثم قال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ أمره بالتقوى والإحسان ، وأخبره بأنه مع المتقين والمحسنين ، ومعيَّة الله كافية ، ومن الأدواء شافية .

## [آيات التَّوكُّل]

وآيات التَّوكُّل : كلُّها مَسْلاة للقلوب ، مُذهبَة للكروب ، قال تعالى : ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ قيِّماً بأمورك ، ففوِّضها إليه ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ أمره بالتوكُّل عليه ، وبالصَّبر والهجر الجميل وإن كانت الآية منسوخة بآية القتال ؛ إرشاداً لنبيِّه وأمته إلى الهجر الجميل ظاهراً وباطناً ، يقول : أخرجهم من قلبك وظاهرك إخراجاً مصحوباً بالرفق ، وَأْمُرْهُمْ وَانْهَهُمْ شريعةً ، وَاعْذرهم حقيقةً ، واشرح قلبك بربك ، وَارْضَ بقسمته لك .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ فتخلق وتحقق بمعاني هـٰذه الآية ، وقل : رضيت بالله ربّاً ، وتحقَّق بذلك وارض بقسمة الله ،

---

(١) انظر « تفسير القرطبي » ( ١٠/ ٦٤ ) .

وقل : حسبنا الله ؛ أي : كافينا ، وقل أيضاً : سيؤتينا الله من فضله ورسوله ، الواسطةُ الأعظم ، الشفيع المكرَّم صلى الله عليه وسلم ، وارفع همتك عن المخلوقين ، واستغن بالرازق عن المرزوقين ، وتحقَّق بقولك : ﴿ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ في أن يغنينا الله من فضله ، ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾ في نيل العطاء كلّه .

وإذا طمَحتْ عينك إلىٰ زهرة الدنيا ، وغرَّكَ زخرفها ، ولم تقنع بقسمة الله لك ، ولم ترض بحكم الله فيك ، وغبطت من ابتلي بشيء من هـٰذه القذرة المنغِّصة ، أو تمتع بلذة فيها . . فقد سقطْتَ من أعين أهل البصيرة بنظرك إلى الحقيرة ، فذكِّر نفسك قوله تعالىٰ : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي : فجعلنا هـٰذا غنياً ، وهـٰذا فقيراً ، وهـٰذا مالكاً ، وهـٰذا مملوكاً ، فكما فضلنا بعضهم علىٰ بعض في الرِّزق كما شئنا كذلك اصطفينا بالرِّسالة من شئنا ، ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾ بالغنىٰ والمال وجميع الأحوال إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ وَٱلْءَاخِرَةُ ﴾ يعني : الجنة ﴿ عِندَ رَبِّكَ ﴾ أي : عند حضرته في مقعد صدقٍ ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أي : خاصَّة ، والدُّنيا من قسمته وخلقه ، لكن لم يقل فيها : ( عند ربك ) بل هي عند الشيطان والنفس والهوىٰ ، وفي الحديث : « ألحقوا بي أشياعي وأتباعي »[1] ، زهَّدنا الله فيها على الحقيقة ، وسلك بنا أوضح الطريقة .

## فصل

## [في عدم الميل إلى الدنيا]

وتأمَّل أيضاً قوله تعالىٰ لنبيِّه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا . . . ﴾ إلىٰ آخر الآية .

---

(١) أخرجه بنحوه البيهقي في « شعب الإيمان » ( ١٠١٨٩ ) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

نهاه عن مدّ العين إلىٰ زهرتها ، وعرَّفه أنَّ ذلك إنَّما هو فتنة لهم بقوله : ﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ أي : نبتليهم ونختبرهم هل يقومون بحقنا فيه ، وحقيقة شكرنا عليه ، أو يكفرون نعمتنا به ؟ وأعلمه أن رزقه خير وأبقىٰ ، أضاف الرِّزق إليه في قوله تعالىٰ : ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ ﴾ أي : ما رزقه من الأرزاق المعنوية من كمال محبَّة الله تعالىٰ ، ومعرفته والغنىٰ به ، والحسية الإمدادية ، وذلك خيرٌ عاقبةً ومآلاً ، وأبقىٰ وأدوم ؛ لأنَّ نعيمها متصل بنعيم الآخرة الدَّائم .

ثم أمره بأمر أهله بالصلاة التي هي فتح باب المشاهدة والمواصلة والمناجاة ، والصلاة هي الدُّعاء والتضرع والصَّلاة المعهودة ، وفي ذلك سرٌّ لطيفٌ ، ورمز شريفٌ ، وهو أنَّه صلى الله عليه وسلم لم يزل في حضرة المشاهدة والاتصال ، وأَهْله بالنسبة إلىٰ مقامه الشريف متأخرون ، فدعاهم بملازمة الصَّلاة ؛ ليتصلوا بمقامه المخصوص ، والأهل خصوصٌ وعمومٌ ، فيكون المراد بهم هنا جميع الأمَّة ، وكل ذلك تعليماً لأمته ؛ إذ هو صلى الله عليه وسلم معصومٌ عن مد العين إلىٰ ما الأولىٰ غضها عنه ، والله أعلم .

وفي كتاب « التنوير » لابن عطاء الله كلامٌ عجيب مقنعٌ في هـٰذا المقام ، فتأمله ؛ لتتم لك الفائدة .

## زهد يوسف الصِّدِّيق عليه السلام

ثم انظر إلىٰ زهد يوسف الصدِّيق عليه السَّلام ، لَمَّا بلغ أعلىٰ سعادات الدنيا بتمام الملك الدُّنيوي ، وعِلْم تأويل الأحاديث .. رأىٰ ذلك كله بعين الفناء ، فقال : ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا ﴾ أوليتني فيها نعمة الإسلام ﴿ وَٱلْآخِرَةِ ﴾ تتولاني فيها بجزيل الإنعام ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ أي : للقائك ، وقال البيضاوي : ( ﴿ بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ أي : من آبائي ، أو بعامة الصَّالحين في الرتبة والكرامة .

روي أن يعقوب عليه السَّلام أقام معه أربعاً وعشرين سنة ثم توفي ، فأوصى أن يدفن بالشَّام إلىٰ جنب أبيه ، فذهب ودفنه ثَمَّة ، ثم عاد وعاش بعده ثلاثاً وعشرين سنة ، ثم تاقت نفسه إلى الملك المخلَّد ، فتمنَّى الموت ، فتوفي فاختصم أهل مصر في مدفنه ، فجعلوه في صندوق من مرمر ، ودفنوه في النيل ؛ ليمر عليه الماء ، ثم يصل إلىٰ مصر ؛ ليكونوا سواء فيه ، ثم نقله موسىٰ عليه السَّلام إلىٰ مدفن آبائه ، وكان عمره عليه السلام مئة وعشرين سنة ) انتهىٰ « بيضاوي » ملخصاً[١] .

## دعوات الخليل عليه السلام

وإذا طرقتك طوارق الخوف القالَبية والقلبية ، وغلبك الهمُّ والحزن ، والشفقة على الأهل والذرية .. فاشهد دعوة إبراهيم الخليل عليه السَّلام : ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ﴾ يعني : مكة حرسها الله تعالىٰ ، وبلدُك قلبُك ﴿ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ أي : الأوثان ، ويقال : أصنامك همك وهواك ، ونفسك وشيطانك ودنياك ، وكل ما يُعبَد من دون الله تعالىٰ .

واذكر هنا الحديث : « لكلِّ أمَّة عجلٌ ، وعجل أمتي الدِّينار والدِّرهم »[٢] أي : لأنها حائلة بينهم وبين ربِّهم ، وصادَّة عن طريقه ، إلاَّ من أمدَّه الله بتوفيقه ، وإليه يشير قوله : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾ واشهد ما تشهده حسّاً ومعنىٰ ، واذكر من تذكره من قريب وأدنىٰ ، إلىٰ قوله : ﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ بالقرب والمحبة والمودَّة ﴿ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ يشهدون أنك أنت

---

(١) تفسير البيضاوي ( ١/ ٤٩٩ ) .

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب ( ٥٠١٩ ) عن سيدنا حذيفة رضي الله عنه .

الرزاق المجيب والمعطي ، وأعط الوسائط المُعِينة المقوِّية حقَّها ، واشكرها شكراً لا يحجبك عن الأصل ، ولا تضجر ولا تسأم ، ولا تكترث ولا تهتم بما أوذيت به من الأذيات ، أو قوبلت به من السيّئات ، من أهل الزيغ والحجب والجهالات وإن كانت البشرية لا تخلو عن القلق لذلك ، فاصبر وسلِّم وفوِّض لما هنالك ، كما مرَّت الإشارة إليه عند ذكر قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ . . . ﴾ الآية .

## فصل

## [توحيد الله ومعرفته جلاء للهموم والكروب]

وإذا غشيتك الهموم والكروب بالنظر إلىٰ ظواهر الأكوان ورؤية المخلوقين ، وكثف الحجاب عليك . . فتفهَّم بنور التوحيد قوله تعالىٰ حاكياً عن إبراهيم الخليل عليه السَّلام : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ إلىٰ طرق الرَّشاد والنظر إليه ، والاعتماد عليه ، ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴾ يطعم جسدي ويسقيه بالأغذية والأشربة الحسية ، وقلبي وروحي بالرُّوحيَّة المعنويّة ، ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ ﴾ مرضُ الجسد معروف ، ومرضُ القلب بالغفلة عن الله ، والنظر إلىٰ غير الله ﴿ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ بفتح أبواب معرفته ، وأنوار مشاهدته ، إلىٰ آخر ما اشتملت عليه هـٰذه الآيات من الرُّموز والإشارات .

ثم ارفع الهمَّة كما قال : ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ وإنَّما وقَّت المغفرة بذلك اليوم ؛ لكون تحقق العبد المغفرةَ وظهورها له إنما يكون فيه ، وإلا . . فالمغفور له مَنْ قد غفر له في سابق القِدَم ، وقوله : ﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا ﴾ أي : معرفة بالله عزَّ وجلَّ ، وتوحيداً كاملاً ، ﴿ وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ القائمين بحقوق الله تعالىٰ ، وحقوق خلقه ، الصَّابرين الشاكرين ، المتواصل سرورهم ، الظاهر نورهم ، ﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴾ أي : ثناءً جميلاً ،

وذكراً حسناً ؛ لأكون قدوة للمؤمنين ، والسالكين إلىٰ رضا ربّ العالمين ، ﴿ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ .

كل ذلك مما يُدْخِل السُّرور علىٰ قلب العبد المبتلَىٰ بتوالي الأكدار في هٰذه الدار ، بطلب رضا الله ، ودخول جنته ؛ لأن النَّعيم الكامل بها ، ومعرفةُ الله في الدُّنيا هي الجنة المعجلة ، قال في « قوت القلوب » : ( قال مالك بن دينار : خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شيء فيها ، قيل : وما هو ؟ قال : المعرفة ، وأنشدوا : [من الخفيف]

إنّ عرفانَ ذي الجلالِ لَعِزٌّ ... وضياءٌ وبهجةٌ وسرورُ

وعلى العارفينَ أيضاً بهاءٌ ... وعليهمْ منَ المحبةِ نورُ

فهنيئاً لعارفِ اللهِ حقّاً ... فهْوَ واللهِ دهرَهُ مسرورُ

قال يحيى بن معاذ : في الدُّنيا جنَّةٌ من دخلها . . لم يشتق إلىٰ شيء ، ولم يستوحش من شيء ، قيل : وما هي ؟ قال : معرفة الله ، وقال آخر : لن تخطئك من العارف ثلاث : هيبة أو حلاوة أو أنس ) انتهىٰ من « القوت »[1] .

وقال إبراهيم بن أدهم : ( لو عرف الملوك ما نحن فيه . . لجالدونا عليه بالسيوف ) انتهىٰ من « الزهر الباسم »[2] .

وفيه أيضاً : لا عيشَ هني إلا مع أولياء الله تعالىٰ ، وهم أرباب البصائر ، وأرباب القلوب ، ومَنْ عَداهم فأمثال البهائم وأضل ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ .

قال الشيخ أبو بكر بن عبد الله العيدروس :

أَلَـذُّ العيشِ كلُّهُ ... معَ أربابِ البصائرْ

ولا الأسرارُ إلاَّ ... لِمَنْ صَفَّى السَّرائرْ

---

(١) قوت القلوب ( ص ١٥٢ )

(٢) انظر « حلية الأولياء » ( ٧/ ٣٧٠ ) .

## فَصْلٌ

## في دعوة يونس عليه السلام

ومن الآيات الرافعة[1] للمهمَّات دعوة ذي النون المشهورة ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ بدأ فيها بمحض التَّوحيد ، وخالص التفريد بقوله : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ ﴾ ، ثم بالتنزيه بقوله : ﴿ سُبْحَٰنَكَ ﴾ عن أن يكون معك إلـهٌ أو شريك أو معين ﴿ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي : الظالمين أنفسهم بالذنوب وَالغفلة ؛ لتعرف أنَّ الذنوب ظلم وشؤمٌ ، وأن العقوبات من طريق المخالفات .

فالإقرار بالذنب ، وطلب العفو من الربِّ ، موجب لكشف الكرب ، وغفران الذنب ؛ فلهـذا عقَّبه الله تعالىٰ بقوله : ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وقد وردت سنِّيتها بعد الوتر أربعين مرة ، والإكثارُ منها عند النوائب والمهمات حَسَنٌ وكاشف لها .

## فَصْلٌ

## في دعوة موسىٰ عليه السلام

ومن الآيات المقوية للفرح ، المزيلة للترح ، قوله تعالىٰ : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ دعوة موسى الكليم لما تولَّىٰ إلى الظلِّ ، وكذلك كلُّ من تولىٰ إلىٰ ظل الافتقار بمحض الانكسار ، فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ جاءه الإمداد من فيض الجواد ، وكان سيِّدي الوالد الإمام سقاف بن محمَّد نفع الله به يرتبها مئة مرَّة كلَّ يوم .

---

(١) في ( د ) : ( الرافعات ) ، وفي هامشها : ( وفي بعض النسخ : الدافعات ) .

## [آيات دعائية تشتمل على الخزائن الغيبية]

ومن الآيات الدعائية المشتملة على الخزائن الغيبية قوله تعالىٰ : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ فقد جمعت هٰذه الآية مصالح الدنيا والآخرة .

قال البيضاوي : ( ﴿ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ يعني : الصحّة والكفاف وتوفيق الخير ، ﴿ وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ يعني : الثواب والرحمة ، ﴿ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ بالعفو والمغفرة )[1] .

فالحسنة في الدّنيا والآخرة بعافية الأديان ، وصحة الأبدان ، ومعرفة الله في الدّنيا ، ورؤيته في الأخرىٰ .

وقد أشار سيّدنا وشيخنا الإمام الحامد بن عمر الحامد إلىٰ معانيها في مكاتبةٍ إلى الشيخ الفاضل محمد بن أبي بكر بانافع فقال :

﴿ رَبَّنَآ ﴾ نحن عبيدَك الضعفاءَ الفقراءَ المحتاجين ﴿ ءَاتِنَا ﴾ بمحض فضلك وكرمك ﴿ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ التي هي المزرعَة ، والطريق إلى الآخرة ﴿ حَسَنَةً ﴾ تلائم الطبع ، وتوافق الشرع ، محمودة الأصل والفرع ، ﴿ وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ رضاك عنّا ، وتمام فضلك ونعمتك علينا ، في دار كرامتك ، ومستقر رحمتك .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ شهادة التَّوحيد قولاً وعملاً واعتقاداً ، ﴿ وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ الموت والبعث علىٰ شهادة التَّوحيد ، وكمال اليقين وقوة الإيمان بها ، المتكفل بالأمان من دخول النيران ، المستوجب لدخول الجنان في جوار الرَّحمن الكريم المنان .

---

(١) تفسير البيضاوي ( ١/١١٨ ) .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ معرفتك في الدنيا ، ﴿ وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ رؤيتك في الآخرة .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ عافيتك في الدنيا ، ﴿ وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ عفوك في الآخرة ، آمين .

وغالب هٰذه الآيات أوردها في ورده الجامع للأذكار والادِّكار ، والدعاء والاستغفار لنا ولأمثالنا من المحبين المتعلقين ، وقد عم نفعه الخاص والعام عندنا ، فلله الحمد لما خصَّنا به ، فقد جمع هٰذا الورد من الدعوات الجامعة لخيرات الدُّنيا والآخرة ، وتسهيل كل عسير ، وبشارة الدنيا والآخرة ، وكمال التَّوحيد والتفريد ، ما هو غنيمة للطالب ، وذخيرة للرَّاغب ، فواظب عليه تر البركة في جميع أمرك ، ويحصل الشرح لصدرك ، وتشم من أسراره مشامَّ العارفين ، وتقطف من أنواره ثمار اليقين ، وإنْ قَدَّر الله وساعد بصفاء الوقت . . حصلنا بعض ما يحتويه من الأسرار ، ونبهنا عليه للادِّكار ، والله يوفق ويختم بخير .

ومن ذلك : الآية المشتملة على الرَّحمة والهداية إلى الرشد والصَّواب ، وهي قوله تعالىٰ : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ فتأمل هٰذه الرَّحمة اللَّدنية المخصوصة العرشية الغيبية ، واستمد منها فتحاً يفتح لك أبواب قربه الخاص ، ويدخلك في حيز الخواص وأهل الاختصاص ، أمدنا الله بإمدادهم ، وسترنا وغمرنا بإسعادهم ، وهيَّأ لنا من أمرنا رشداً صواباً ، ورشداً في كلِّ أمورنا ، فنهتدي إلى الحق والرشاد ، والخيرة الصالحة والسَّداد ، فتكون عواقب أمورنا محمودة ، وطوالع نجومنا مسعودة ، آمين .

## فَصْلٌ

## [في آيات من ورد الإمام الحامد]

ومما أورده سيِّدنا الشيخ الحامد من الآيات الدعائية قوله تعالىٰ : ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ فاسأل مِنْ ربّك كمال الإيمان ، وكمال الاتّباع ، وتوجه إليه أن يرقّيك إلىٰ مراتب الشاهدين أهل اليقين ، ويكتبك منهم ؛ فإن من كمل إيمانه.. ترقّىٰ إلىٰ مراتب الإحسان ثم اليقين ، وطريق ذلك الاتباع له صلى الله عليه وسلم .

وقوله : ﴿ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ أي : الذين شهدوا لأنبيائك بالصّدق ، وقال عطاء : مع النبيين ؛ لأن كلَّ نبي شاهِدُ أمته ، وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما : مع محمدٍ صلى الله عليه وسلم وأمته ؛ لأنهم يشهدون للرسل بالبلاغ )[1] .

ومما أورده أيضاً من الآيات المختومة بالرّحمة ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ وللعبد المؤمن المستعين بربّه من هٰذه الرحمة فرح بالله ، وأنس بالله ، واستبشار برحمة الله ، الشاملة لصلاح قلبه وجسمه ، ودنياه وآخرته ، والتعلّق برحمته دون خليقته .

وأفهم قوله : ﴿ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ أن اسمه تعالى الرّحيم ، وأنه قد يوفق الله من رحم من عباده ؛ لاتِّصافه بنصيب من الرَّحمة بحسَب القِسْمة .

وأفهم الحديث : « الرّاحمون يرحمهم الرّحمٰن ، ارحم من في الأرض يرحمك من في السّماء »[2] أي : من في السّماء ملكه وهيبته ، وقهره

---

(١) تفسير البغوي ( ١/ ٣٠٦ ) .

(٢) سنن الترمذي ( ١٩٢٤ ) ، وسنن أبي داوود ( ٤٩٤١ ) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

وسلطانه ورحمته . . « إنما يرحم الله من عباده الرُّحماء »[1] أي : يتفضل عليهم ، ويتكرم بإسداء النِّعم المحمودة العواقب ، ودفع النقم والمصائب .

أدخَلنا الله تحت دوائر نعمه الخاصَّة ، وكلُّ مقدوراته سبحانه وتعالىٰ رحمة للأمَّة المحمديَّة سرّاً وجهراً ، نفعاً وضرّاً .

وكل هـٰذه الآيات أوردها سيِّدنا الشيخ الإمام الحامد في ورده ، ولاحت لنا معانيها وأسرارها من بركته وإشارته ، متعنا الله بطول حياته ، وجعلنا ممن رتع في رياض القرآن العظيم ، وجنىٰ من معانيه جنا جنات النَّعيم ، فلازَمَ الرِّضا والتسليم ، وفوَّضَ أمره إلى الفتاح العليم .

وكل الآيات الدُّعائية فاتحة أبواب الأنس بالله والفرح به ، وعنوان القبول ، وبشائر الوصول ، وسلوة المكروبين ، وملجأ المستغيثين ، وفي القرآن العظيم دواء القلب السقيم ، وبه فرح القلوب ، وسرورها لنيل المطلوب ، كما قال الإمام أبو حربة : ( ونضِّر به وجوهنا ) إلىٰ أن قال : ( بالفرح الدَّائم والسُّرور ) قال شارحه نفع الله بهما : أي : نضِّر وجوهنا بالقرآن ، بأن تظهر فيها بهجة الفرح والسُّرور ، والمكاشفة والمشاهدة ، فإن هـٰذه الأربعة تزيد في نضارة الوجه ؛ لأنها من النعيم الحاصل بلقاء الله تعالىٰ ، قال الله تعالىٰ : ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾ وهو الحُسْن والنُّور والبياض ؛ أي : نضِّر وجوهنا بفرحنا وسرورنا بالمكاشفة والمشاهدة ؛ أي : مشاهدة تجَلِّي أنوار الحق علىٰ قلب العبد المؤمن بزيادة العلم واليقين والمعرفة بالله ، نسأل الله أن يجود علينا بذلك .

---

(١) صحيح البخاري ( ١٢٨٤ ) ، وصحيح مسلم ( ٩٢٣ ) عن سيدنا أسامة بن زيد رضي الله عنهما

## [الفرق بين الفرح والسرور]

والفرق بين الفرح والسُّرور : أن الفرح يكون بالقلب ، وينتشر في أسارير الوجه ، وهي عروقه ، فيستنير الوجه بالسُّرور ، فيجتمع الفرح والسُّرور ، ويكون نوراً علىٰ نورٍ ، ووَصَف الفرح بالدائم ؛ ليتصل نعيم المشاهدة في الدنيا بنعيم الآخرة ، انتهىٰ ملخصاً .

والقرآن العظيم كله دواء وشفاء وترياق للقلوب المنيرة الصَّافية الزاهدة في الدنيا ، المقبلة على الله تعالىٰ ، اللهم ؛ ارزقنا في القرآن العظيم فتحاً مبيناً ، وأَمِدَّنا من أسراره وأنواره مدداً جسيماً ، اللهم ؛ افتح أقفال قلوبنا بمحبته وحفظه وتلاوته ، واجعل فيه غنانا وشفاءنا ، آمين .

## فَصْلٌ
## في أثر التَّقوى

ثم تأمل بفهمك ، وافتح أقفال قلبك ؛ لتتحقق بهـٰذه الآية المتحِفة بكمال الفرح ، وزوال الضيق والتَّرَح ؛ وهي قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ وقوله تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ ففي ذلك الشفاء والدواء لهمك وكربك ، وصفاءُ قلبك ، فمن اتقى الله . . جعل الله له مخرجاً من كل شدة وشبهة ، وظلمة وكدورة ، وآتاه الرزق الهنيءَ المقسوم من حيث لا يحتسب ؛ لطفاً من الله لئلا يتتبع الظنون ، وفي الحديث : « أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب »[1] وفي هاتين الآيتين أسرار

---

(١) الفردوس بمأثور الخطاب ( ١٧١٤ ) عن سيدنا علي رضي الله عنه .

وأنوار لائحة ، ونسمات الفرج بالله من مشامُّها فائحة ، وهي مفزع المكروبين ، وحصن الخائفين .

وإذا رتبها المكروب في شدة أو عسرة مئة مرة . . فهو حسن بالغ ، وقد رتبها سيدنا الشيخ عبد الله الحداد بعد كل مكتوبة عشراً .

## [من يتق الله يجعل له مخرجاً]

وفي « كتاب الفرج بعد الشدة » عن أبي ذرٍّ قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يتلو هذه الآية : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ﴾ ثم يقول : يا أبا ذر ؛ لو أن الناس كلَّهم أخذوا بها . . لكفتهم ، وعن أبي عبيدة : جاء رجلٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن بني فلان أغاروا علي فذهبوا بإبلي وابني ، فقال صلى الله عليه وسلم : إنَّ آل محمَّد لكذا وكذا بيتاً ما فيها مُدَّان من طعام ، فاسأل الله تعالىٰ ، فرجع إلى امرأته فأخبرها ، فقالت : نِعْمَ ما ردَّك إليه ، فما لبث أن ردَّ الله عليه إبله أوفر ما كانت وابنه ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فصعد صلى الله عليه وسلم المنبر وقرأ : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ . . . ﴾ الآية[1] .

## [كلمة بعشرة آلاف دينار]

وحكي : أنَّ قوماً ركبوا البحر فسمعوا هاتفاً يقول : من يعطيني عشرة آلاف دينار وأعلِّمه كلمةً إذا أصابه غمٌّ أو أشرف علىٰ هلاك فقالها . . فرَّج الله عنه ؟ فقام أحدهم ومعه عشرة آلاف ، فقال : أنا أعطيك وعلِّمني ، فقال : ارم المال في البحر ، فرمى العشرة الآلاف ، فقال الهاتف : إذا أصابك غمٌّ أو أشرفت

---

(١) الفرج بعد الشدة ( ١/ ٨٦ ) وما بعدها

علىٰ هلاك فاقرأ : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ قَدْرًا ﴾ فلامه أهل المركب ، فقال : كلا ، إنَّ هـٰذه كلمة أتحقق نفعها ، فبعد مدَّة انكسر المركب ، ولم ينج إلا هو ، فوقع علىٰ جزيرة فسار فيها فإذا بقصر منيف فدخله ، قال : فإذا فيه من كلِّ ما في البحر ؛ جواهر وغيرها ، وإذا جارية حسناء لم أر أحسن منها ، فاستخبرتها فقالت : أنا بنت فلان التاجر بالبصرة ، ركبت البحر مع أبي ، فانكسر المركب فاختطفت إلىٰ هنا ، وإن شيطاناً يجيء إليَّ فيلامسني بغير جماع سبعاً ، ثم يغيب في البحر سبعاً ، وهـٰذا يوم مجيئه ، فَمُرَّ وإلاَّ . . قتلك ، فما تم كلامُها حتىٰ رأيت ظلمة هائلة ، فقالت : قد والله جاء وستهلك ، فلما قاربني وكاد يغشاني . . قرأت الآية فاحترق ، فقالت المرأة : هلك والله ، فمن أنت الذي مَنَّ الله بك عليَّ ؟ فأخبرتها ، قال : فانتخبنا من ذلك الجوهر ما شاء الله ، ونظل بالساحل ، ونأوي إلى القصر فنجد فيه ما نأكل ، فبعد أيَّام مرَّ بنا مركب ، فركبنا فيه إلى البصرة ، وتقدمت إلىٰ منازل أهلها فأخبرتهم ، فكادوا يموتون فرحاً ، وزوجوني بها وأعطوني ذلك الجوهر ، فأنا اليوم أيسر أهل البصرة ، انتهىٰ ملخَّصاً من كتاب « الفرج بعد الشدة » للشيخ أبي الحسن التنوخي رحمه الله ، آمين[1] .

## فَائِدَة

### من « حياة الحيوان » عند ذكر الأسد

هاتان الآيتان من الأسماء المخزونة المكنونة ، من كتبهما وحملهما . . بورك له في جميع أحواله ، ونصر علىٰ أعدائه ، وتنفعان من الأمراض الباطنة والظاهرة ، وكل آية منهما جمعت حروف المعجم بأسرها ، وتكتب في إناء

---

(١) الفرج بعد الشدة ( ١ / ١٠٠ ) .

نظيف وتمحىٰ بدهن طيب ويطلىٰ بها ، فكل ألم يزول ويبرأ من يومه في الغالب ، مجرَّب .

وهما قوله تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ وقوله تعالىٰ : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ . . . ﴾ إلىٰ آخر السورة ، انتهىٰ ملخصاً[1] .

## فَائِدَة

### [أشدُّ شيء على الجن ، واسم الله الأعظم]

من « سفينة » سيدنا الشيخ أحمد بن زين الحبشي عن أنس : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ليس شيء أشد علىٰ مردة الجن من هـٰذه الآيات : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ . . . ﴾ الآيتين »[2] .

وعن أسماء بنت يزيد بن السَّكن ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ و﴿ الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ »[3] .

وعن إبراهيم بن رثيمة قال : الآيات التي يدفع الله بهن الهمَّ من لزمهن في كلِّ يوم . . ذهب عنه ما يجد : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ يَعْقِلُونَ ﴾ ، وآية الكرسي ، وخاتمة البقرة ، و﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ﴾ إلىٰ ﴿ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ، وآخر الحشر ، بلغنا أنهن مكتوبات في زوايا العرش ، وكان يقول : اكتبوهن لصبيانكم من الفزع والهمِّ ، انتهىٰ[4] .

---

(١) حياة الحيوان الكبرى ( ١/ ٤٩ ) .

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب ( ٥١٧٧ ) .

(٣) سنن الترمذي ( ٣٤٧٨ ) ، وسنن أبي داوود ( ١٤٩٦ ) .

(٤) انظر « تاريخ دمشق » ( ٧/ ٢٤٤ ) ، وفيه : ( إبراهيم بن وثيمة )

ولو تتبعنا الآيات الجالية للقلوب المصفية للسّرائر ، من الأدناس والأكدار والسّوائر ، وأسرارها ومعانيها .. لطال الكلام ، وخرج عن الإيجاز ، ولا يحيط البشر ولا تطيق القوىٰ حمل أعباء كلام الله سبحانه وتعالىٰ ، إلا بما أمدَّ من قطرة من بحار علومه المخزونة المكنونة ، التي أفاضها علىٰ قلوب الصفوة من علماء الأمة المحمدية ، رزقنا الله محبتهم والاقتداء بهم ، آمين .

## فَصْلٌ

## في فضل قراءة ( يس )

وأما ( سورة يس ) العظيمة المقدار ، الشهيرة الفضل والأجر في حديث المختار .. فإنها قلب القرآن[1] ، والمجلّية للأحزان ، الماحية للأشجان ، وهي العُدَّة لكشف النّوازل والمهمّات ، والسلامة من الفتن والبليات ، وقد أوصىٰ بها العارفون ، وواظب عليها الأولياء الصّالحون ، وكلُّ صادق يجد النجح في مقاصده وقضاء الحوائج بها ، فافزع إليها عند كلّ مهم ونازلة ، يحصل الفرج ، ويزول الضيق والحرج ، وينشرح الصّدر ، ويتيسر لك الأمر ، وأكثر من قراءتها ، وأحسن الحضور في تلاوتها .

وتأمل ما جمعت من أسماء الله الظاهرة والمضمرة في قوله : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا ﴾ ونحوها ، فقد جمعت من ذلك ما لم يجمعه غيرها ، وإن قرئت ثلاثاً ، أو خمساً ، أو سبعاً إلى الأربعين .. كان حسناً ، فقد ذكرت هـٰذه الأعداد ، واستحسنوا أدعية بعدها مشهورةً ، وتكرير بعض الآيات مثل أن يقول عند ﴿ وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ اللهمَّ ؛ أكرمني بقضاء حوائجي كلها يا أرحم الرّاحمين ، ويكرر قوله : ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ اثنتي عشرة مرة ، وقوله تعالىٰ : ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ ست عشرة مرّة .

---

(١) انظر « شعب الإيمان » للبيهقي ( ٢٢٣٣ )

وعند قوله تعالىٰ : ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ ﴾ يقول : بلىٰ قادر علىٰ أن يفعل لي كذا ، ويذكر حاجته ، ويقول بعد ختمها : سبحان المفرِّج عن كلِّ محزون ، سبحان المنفِّس عن كلِّ مديون ، سبحان من أمره بين الكاف والنُّون ، اللهمَّ ؛ فرِّج عنِّي همِّي وغمِّي ، عاجلاً وآجلاً في يسر وعافية وسلامة ، آمين .

وكان سيِّدنا الشيخ عمر بن زين بن سميط يسمع منه عند ختمها يقول : يا مفرِّج الهموم ، يا حي يا قيُّوم .

وبالجملة فقراءة ( يس ) سلوة المكروبين ، وكنز المقلِّين ، وعمدة الرَّاجين ، وسلم الطالبين ، وقد صنف في فضائلها جمع من العلماء ، وأعظمها « الدر الثمين في فضائل يس » للسيد عبد الله بن علي صاحب الوهط .

ولما كنت كثير الشجون ، متطلباً للسكون .. جعلت قراءة سورة ( يس ) سلَّماً إلىٰ كشف الأشجان ودفع الشرور ، وسلوة وطريقاً إلىٰ إبدال الترح بالسرور ، جعل الله ذلك منه وله وبه وإليه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ولا مفزع منه إلا إليه ، ولا ملجأ منه إلا إليه .

## [قصيدة للشيخ بامخرمة في فضل سورة ( يس )]

وقال الشيخ عمر بن عبد الله بامخرمة رضي الله عنه ونفع به هٰذه القصيدة في فضائل هٰذه السُّورة :

باوزيرْ آنْ جَفَا جافي وَجا منه إجْناف ... أو ظَهَرْ منه ميل أو صَحَفْ أو حَرَفْ أو حاف
أو رمَانا بعيبْ أو غِيبةْ أو قلَّة آنصاف ... قل لُهْ إنا قد آطلَقْنا عُصوب التِكلأَفْ
وانطلقنـا وطَلَّقنـا الحِيَـلْ والتَّظـرّاف ... واعتصمنا بجبّار السَّماءْ عند الأَحواف
فاحْك بالله لمنْ شُفْتُهْ إلىٰ يمَّنا شاف ... بالحِرابةْ وقُلْ ما زوفنا آنْ زاف زَوّاف

بالعساكِرْ وجمّاع العشائرْ والأجلافْ ... ما عددْنا وعُدّتنا على أهل التّحرّافْ

غيرْ ( يسَ ) نقرأها وقدْ سرّها كافْ ... فأقرها أن كنتْ خائفْ شرْ من شرْ الأعوافْ

فأنّ فيها وربْ البيتْ أمانٌ لمنْ خافْ ... وأنْ حظيتْ أو طلبْتْ أو شفت إلىْ شوف شوّافْ

شُفْ بها تُفتحْ أبواب المعونةْ والاسعافْ ... فأنَّها في صحيح النقلْ ذِيْ ليسْ بالخافْ

عن رسولَ اللهْ المخصوصْ بالمنهل الصّافْ ... لِأَيْشْ ما أنواهْ قاريها مِنْ أصنافْ لصْنافْ

وأدخل البحرْ وأغطُسْ في حِدَبْه أو في لَطْرافْ ... كيف ما شيتْ تَخرجْ مِنْهْ بأسرارها جافْ[1]

فَصْلٌ

## في فضل سورة الواقعة

وأما سورة الواقعة . . ففيها سرٌّ عظيمٌ في جلب الأرزاق ، كما وردت به الأخبار والآثار ، قال ابن مسعود رضي الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة . . لم تصبه فاقة »[2] . وفي رواية : « من قرأ سورة الواقعة كل يوم . . لم تصبه فاقة أبداً »[3] . وقال بعض العلماء : من قرأها علىٰ طهارة لم يجع ولم يعطش ولم تلحقه شدَّة ، وقال بعضهم : من قرأها أربعين مرة في مجلس واحدٍ قضيت حاجته خصوصاً فيما يتعلق بطلب الرّزق ، ولما عوتب ابن مسعود رضي الله عنه إذ لم يترك لبنيه مالاً . . قال : لقد خلفت لهم ( سورة الواقعة )[4] .

قال الشريف أبو عبد الله الفاسي : سمعت الشيخ العارف القدوة أبا محمد عبد الله بن محمد المرجاني يقول في قوله عليه الصلاة والسلام : « إنَّ قراءة

---

(١) انظر « ديوان بامخرمة » ( ١/ ٤٣٩ ) .

(٢) شعب الإيمان ( ٢٢٦٨ ) .

(٣) انظر « تفسير السمرقندي » ( ٣/ ٣٢٠ ) .

(٤) انظر « فيض القدير » ( ٦/ ٢٠١ ) .

سورة الواقعة أمان من الفاقة » قال الشيخ رحمه الله تعالى : سرُّ ذلك في السورة قوله تعالىٰ : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ ، ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾ ، ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴾ فهـٰذه موادُّ الأسباب ، فإذا قرأ القارىء هـٰذه الآيات ، وانسلخ من الالتفات إليها واثقاً بمنشئها وخالقها .. تيسرت له الأسباب ، وسُيِّرت إليه خادمة ، فلا تناله فاقة ؛ لكونه واثقاً بمسبب الأسباب ، لا ملتفتاً إلى الأسباب ، والله المستعان .

وكان عليٌّ رضي الله تعالىٰ عنه يقول بعد ﴿ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ ﴿ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ و﴿ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾ و﴿ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴾ : بل أنت يا رب « ثلاثاً »[1] .

وفي « الجامع الصغير » حديث : « علِّموا نساءكم سورة الواقعة فإنها سورة الغنىٰ »[2] ، وقال حجة الإسلام الغزالي في « منهاج العابدين » : ( سألت بعض مشايخنا عما يعتاده أولياؤنا من قراءة « سورة الواقعة » في أيام العسرة ، أليس المراد بذلك أن يدفع الله تعالىٰ عنهم تلك الشدة ، ويوسع عليهم بشيء من الدنيا علىٰ ما جرت به العادة ؟ وكيف تصح إرادة متاع الدنيا بعمل الآخرة ؟ ! فقال ما معناه : إن مرادهم أن يرزقهم الله قناعة وقواماً ؛ لتكون لهم عدة وقوة علىٰ درس العلم ، وهـٰذه من جملة إرادات الخير دون الدنيا ) انتهىٰ[3] .

وفي « حلية الأبرار » : ( مَنْ سَرَّهُ أن يعلم علم الأوّلين والآخرين .. فليواظب علىٰ قراءة سورة الواقعة ) .

---

(١) انظر « الدر المنثور » ( ٨ / ٢٢ ) .

(٢) انظر « الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير » ( ٢ / ٢٣١ ) ، وهو في « الفردوس بمأثور الخطاب » ( ٤٠٠٥ ) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٣) منهاج العابدين ( ص ٢٣٠ ) .

## [أقوىٰ أسباب جلب الرزق]

وفي كتاب « تعليم المتعلم » : ( من أقوى الأسباب الجالبة للرِّزق : إقامة الصلاة بالتعظيم والخشوع ، وتعديل الأركان وسائر واجباتها وسننها وآدابها ، وصلاة الضُّحىٰ ، وقراءة « الواقعة » خصوصاً بالليل وقت النوم ، وقراءة « تبارك الملك » ، و« المزَّمّل » ، و« الليل إذا يغشىٰ » ، و« ألم نشرح لك صدرك » ، وحضور المسجد قبل الأذان ، والمداومة على الطهارة ) انتهىٰ .

## الدعاء بعد الواقعة

ومما يُدعىٰ به بعد الواقعة صباحاً ومساءً : ( اللهم ؛ صُنْ وجوهنا باليسار ، ولا تُوهِنّا بالإقتار ، فنسترزق من طالبي رزقك ، ونستعطف شرار خلقك ، ونشتغل بحمد من أعطانا ، ونبتلىٰ بذم من منعنا ، وأنت من وراء ذلك كلِّه أهل العطاء والمنع ، اللهم ؛ كما صنت وجوهنا عن السجود إلاّ لك . . فصنَّا عن الحاجة إلا إليك بجودك وكرمك وفضلك ، يا أرحم الراحمين « ثلاثاً » اللهم ؛ أغننا بفضلك عمَّن سوَاك ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم ) .

## دعاء آخر للواقعة

اللهم ؛ يا من اكتفىٰ من خلقه جميعاً ، ولا يكتفي منه أحد من خلقه ، يا أحد من لا أحد له ، يا سند من لا سند له ؛ انقطع الرَّجاء إلا منك ، وخابت الآمال إلا فيك ، يا غياث المستغيثين ؛ أغثني ( سبع مرَّات ) .

## دعاء آخر بعدها

سبحان ربي العظيم المرتجىٰ لكلِّ عظيم ، اللهم ؛ سخر لي أمر رزقي ، واعصمني من النصب في طلبه ، ومن شغل القلب وتعلق الهم به ، ومن الذلِّ للخلق بسببه ، ومن التفكر والتدبير في تحصيله ، ومن الشحِّ والبخل بعد حصوله ، اللهم ؛ اجعله سبباً لإقامة العبودية ، ومشاهدة أحكام الربوبية ، اللهم ؛ تولَّ أمري بذاتك ، ولا تكِلني إلىٰ نفسي طرفة عين ، ولا إلىٰ أحد من خلقك ، وأصلح لي شأني كله ، واهدني إلىٰ صراطك المستقيم ، صراط الله الَّذي له ما في السماوات وما في الأرض ، ألا إلى الله تصير الأمور .

## دعاء آخر

اللهم ؛ يا ربَّ العرش العظيم ، يا حليم يا كريم ، يا غفور يا رحيم ، يا سميع يا عليم ؛ أسألك بحرمة هـٰذه السورة الشريفة وببركتها ألاَّ تخيب رجائي فيك ، وأن تأخذني مني إليك ، وأن تجعل خير أيامي يوم العرض بين يديك ، انتهىٰ .

## فَصْلٌ
## في فضل كلمة الإخلاص

**واعلم** : أنَّ كلمة الإخلاص أفضل الأذكار ، وأعظم ما يجلب المسارَّ ، وتدفع به المضارُّ ؛ إذ معناها توحيد العبد لربه ، وتحقيق أن النفع والضر من عنده ، فمعنىٰ لا إلـٰه إلا الله : لا رب ولا رازق ولا ضار ، ولا نافع ولا دافع ، ولا معزَّ ولا رافع إلا الله .

فأكثر من ذكرها ، وتخلق وتحقق بمعناها ومقتضاها ، وهو التوبة الصَّادقة الماحية للذنوب ، الدافعة للإصرار .

## [مَن هم أهل لا إلـه إلا الله ؟]

روي عن الإمام العارف أبي عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم قال : من قدم علىٰ ربه مع الإصرار على الذنوب . . فليس من أهل لا إلـه إلا الله ، وإنما هو من أهل قول : لا إلـه إلا الله ، فأهل قول : لا إلـه إلا الله من كان مرجعه إلى القول ويعمل بهواه ، وأهل لا إلـه إلا الله من كان مرجعه إلىٰ إقامة هـٰذا القول وفاءً وصدقاً ، ألا ترىٰ إلىٰ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال لا إلـه إلا الله تمنع العباد من سخط الله ، ما لم يؤثروا صفقة دنياهم علىٰ آخرتهم ، فإذا آثروا دنياهم علىٰ دينهم . . رُدت عليهم ، وقال الله عز وجل : كذبتم »[1] ، وفي روايةٍ أخرىٰ عنه صلى الله عليه وسلم : « لا يزال أهل لا إلـه إلا الله حسناتهم مقبولة ، وسيئاتهم بها مغفورة ، وترفع البلايا عنهم ، ما لم يبالوا ما نقص من دينهم إذا كملت لهم دنياهم ، فعند ذلك إذا قالوا : لا إلـه إلا الله . . ردت عليهم الملائكة وقالوا : كذبتم لستم من أهلها ، لستم بها صادقين » .

وفي الحديث : « آمركم بلا إلـه إلا الله ؛ فإن السَّماوات والأرض وما فيهما لو وضعت في كفة ، ووضعت لا إلـه إلا الله في الكفة الأخرىٰ . . لكانت أرجح منها ، وآمركم بسبحان الله وبحمده ؛ فإنها صلاة كل شيء ، وبها يرزق كلُّ شيء »[2] .

وروى الترمذي عن ابن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ( ١٠٠١٥ ) ، والفردوس بمأثور الخطاب ( ٧٢٧٦ ) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وانظر « نوادر الأصول » ( ص ٢٤٦ ) .

(٢) المستدرك ( ١/ ٤٩ ) ، ومسند أحمد ( ٢/ ١٦٩ ) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

« التسبيح نصف الميزان ، والحمد لله تملؤه ، ولا إلـه إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتىٰ تخلص إليه »[١] .

وعن سمرة رضي الله تعالىٰ عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت رجلاً من أمتي انتهىٰ إلىٰ أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءت شهادة أن لا إلـه إلا الله فأدخلته الجنة » ، أخرجه [الحكيم] الترمذي في « نوادر الأصول » في حديث طويل[٢] .

وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « جدِّدوا إيمانكم » قالوا : بماذا يا رسول الله ؟ قال : « بلا إلـه إلا الله »[٣] .

وكان من شأن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه أن يقول : كان كذا ولا إلـه إلا الله ، وفعلت كذا ولا إلـه إلا الله ، يختم أمره وكلامه بهـٰذه الكلمة ؛ امتثالاً لما أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم من تجديده ، ذكره الشيخ علي بن أبي بكر السكران باعلوي في كتابه « معارج الهداية »[٤] .

## فصل

## في فضل الاستغفار

وأما الاستغفار . . فهو من أسباب تيسير الرزق ، ودلت علىٰ فضله نصوص الكتاب ، وأحاديث سيد الأحباب ، وفيه تكفير للذنوب ، وتفريج للكروب ، وإذهاب للهموم ، ودفع للغموم ؛ وذلك لأن كثرة الهموم وتوالي الأكدار سببها شؤم الذُّنوب والإصرار ؛ فجدير بأن يكون دواؤها الاستغفار ، وصِدْق

---

(١) سنن الترمذي ( ٣٥١٨ ) ، وفي النسخ : ( عن ابن عمر ) ، ولعل الصواب ما أثبت .

(٢) نوادر الأصول ( ص ٣٢٩ ) .

(٣) المستدرك ( ٤/ ٢٥٦ ) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) معارج الهداية (ص ٢٢٠ ) .

التوبة والاعتذار ، قال صلى الله عليه وسلم : « من لزم الاستغفار . جعل الله له من كل همٍّ فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب »[(١)] وقال الله تعالىٰ حكاية عن نبيه نوح عليه السلام : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ .

## [فوائد الاستغفار]

ومن فوائد الاستغفار كما في « شرح تراجم البخاري » للإمام محمد بن أحمد فضل : محو الذنوب ، وستر العيوب ، وإدرار الأرزاق ، وسلامة الخلق ، والعصمة في المال ، وحصول الآمال ، وجريان البركة في الأموال ، وقرب المنزلة من الديَّان ؛ فالثوب المتوسخ أحوج إلى الصَّابون منه إلى البخور ؛ لتزول الآثار ، وتنشرح الصدور ، فلله الحمد والمنة .

وشكا رجل إلى الحسن البصري الجدب ، فقال : استغفر الله ، وشكا إليه آخر الفقر ، فقال : استغفر الله ، وشكا إليه آخر عدم الولد ، فقال : استغفر الله ، وتلا عليهم جميعهم آيات الاستغفار[(٢)] .

وروي : أن عمر رضي الله تعالىٰ عنه استسقىٰ يوماً فلم يزد على الاستغفار ، فقالوا له : ما رأيناك زدت على الاستغفار ! فقال : طلبت الغيث بمفاتيح السماء ، ثم قرأ قوله تعالىٰ : ﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[(٣)] .

وقال الله تعالىٰ حكاية عن يعقوب عليه السلام : ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ﴾ ،

---

(١) سنن أبي داوود ( ١٥١٨ ) ، وسنن ابن ماجه ( ٣٨١٩ ) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) انظر « عمدة القاري » ( ٢٢ / ٢٧٧ ) .

(٣) السنن الكبرىٰ للبيهقي ( ٣ / ٣٥١ )

قيل : أخَّر يعقوب الاستغفار إلىٰ وقت السَّحر ؛ لأن الدُّعاء بالأسحار لا يحجب عن الله تعالىٰ ، وقيل : أخَّره إلىٰ ليلة الجمعة يتعمد وقت الإجابة ، وقيل : أخره إلى السَّحر من ليلة الجمعة ، فوافق ليلة عاشوراء ، وقيل : ليعرف حالهم في صدق التوبة وإخلاصها ، وقيل : أراد إدامة الاستغفار لهم ، فقد روي أنه كان يستغفر الله لهم كلَّ ليلةِ جمعةٍ نيفاً وعشرين سنة[1] .

وقالت عائشة رضي الله تعالىٰ عنها : ( كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم وبحمدك ، اللهم ؛ اغفر لي » يتأوّل القرآن )[2] أي : يعمل بأمره في قوله تعالىٰ : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ .

كان صلى الله عليه وسلم يقول هٰذا الكلام البديع الجزل المستوفي لما أمر به في الآية ، وكان يأتي به في الركوع والسّجود ؛ لأنَّ حالة الصَّلاة أفضل من غيرها ، فكان يختارها لأداء ما أمر به ؛ ليكون أكمل وأفضل .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إنه لَيُغانُ علىٰ قلبي حتىٰ أستغفر الله في اليوم سبعين مرة »[3] قال الشعراوي في كتابه « البحر المورود في المواثيق والعُهود » : أُخِذَ علينا العهود أن نكثر من الاستغفار ليلاً ونهاراً سواء وقع منا ذلك النهارَ معصية أم لم تقع ، وأكمَل عدد في الاستغفار ألف مرَّة صباحاً وألف مرَّة مساءً ، وكان سيدي أفضل الدّين يقول ألف مرَّة : أستغفر الله العظيم الذي لا إلـٰه إلا هو الحيَّ القيوم وأتوب إليه من كلِّ ذنب فعلته إلىٰ وقتي هٰذا والله غفورٌ رحيم[4] .

---

(١) انظر « الكشاف » ( ٢/ ٤٧٥ ) .

(٢) صحيح البخاري ( ٨١٧ ) ، وصحيح مسلم ( ٤٨٤ ) .

(٣) صحيح مسلم ( ٢٧٠٢ ) عن سيدنا الأغر المزني رضي الله عنه ، وفيه : « مئة مرة » .

(٤) انظر « البحر المورود » ( ص ٢٣٢ )

وكان صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يدعو ثلاثاً ، ويستغفر ثلاثاً[1] . وقال صلى الله عليه وسلم للذي شكا الدَّين وقلة ذات اليد : « أين أنت من سيد الاستغفار ؟! قل ما بين طلوع الفجر وصلاة الصُّبح : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله مئة مرة »[2] .

وحقيقة الاستغفار ومعناه طلب المغفرة بقوله : أستغفر الله ، وصيغ الاستغفار الواردة عنه صلى الله عليه وسلم كثيرة ، وكلّها مذهبة للكروب ، ممحِّصة للذنوب .

## سيِّد الاستغفار

فمنها سيِّد الاستغفار كما في « الصَّحيحين » وهو : « اللهمَّ ؛ أنت ربي ، لا إلـٰه إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا علىٰ عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليَّ ، وأبوء بذنبي فاغفر لي ؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت »[3] .

ومنها : « اللهم ؛ إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني ؛ إنَّك أنت الغفور الرَّحيم »[4] .

وقال سيدنا الشيخ علي بن أبي بكر السكران باعلوي رضي الله تعالىٰ عنه في خاتمة « حدائقه » : ( ومن أنواع الاستغفار المأثورة المشهورة : ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال : أستغفر الله الذي لا إلـٰه إلا

---

(١) صحيح ابن حبان ( ٩٢٣ ) ، وسنن أبي داوود ( ١٥٢٤ ) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) انظر « إحياء علوم الدين » ( ٢/ ٣٦٠ ) .

(٣) صحيح البخاري ( ٦٣٠٦ ) عن سيدنا شداد بن أوس رضي الله عنه .

(٤) صحيح البخاري ( ٨٣٤ ) ، وصحيح مسلم ( ٢٧٠٥ ) عن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

هو الرحمـٰنُ الرحيم ، الحي القيوم ، الذي لا يموت ، وأتوب إليه ، ربِّ اغفر لي ، خمساً وعشرين مرة كلَّ يوم، أو كل يوم وكل ليلة . . لم ير في بيته ، ولا في أهله ، ولا في أهل داره ، ولا في مدينته ، ولا في البلد الذي هو فيه ما يكرهه » .

فتنبغي المواظبة علىٰ هـٰذا الاستغفار صباحاً ومساءً ، فقد كان جماعة من مشايخنا وعلمائنا يتواصون به فيما بينهم ، ويوصون به تلامذتهم وأولادهم ، وإخوانهم وأصحابهم ، منهم : الإمام محمَّد بن أبي بكر عباد ، والفقيه محمَّد بن حكم قشير ، والشيخ سعد بن علي مدحج وغيرهم ) انتهىٰ .

وفي كتاب « معارج الهداية » للشيخ علي بن أبي بكر علوي أيضاً : ( ومن أنواع الاستغفار المبارك المشهور : استغفار الشيخ أبي عبد الله القرشي وهو : « اللهم ؛ إنا نستغفرك من كلِّ ذنب أذنبناه استعمدناه أو جهلناه ، ونستغفرك من كلِّ ذنب تبنا إليك منه ، ثم عدنا فيه ، ونستغفرك من كل الذنوب التي لا يعلمها غيرك ، ولا يسعها إلا حلمك ، ونستغفرك من كلِّ ما دعت إليه نفوسنا من قِبَل الرُّخَص ، فاشتبه ذلك علينا وهو عندك حرام ، ونستغفرك من كل عمل عملناه لوجهك الكريم ، فخالطه ما ليس لك فيه رضا ، لا إلـٰه إلا أنت ، يا أرحم الراحمين » ) انتهىٰ[١] .

## [استغفار جامع نافع]

وهـٰذا استغفار جامعٌ نافعٌ استحبَّه بعض العلماء كلَّ يوم وليلة ولو مرَّة ، قال : إن الناس يتساهلون في الكلام بما لا ينبغي ، حتىٰ إنَّ أحدهم ليتكلم بالكلمة تخرجه عن الإسلام ، فينبغي أن يقال هـٰذا ويعتنىٰ به ، وهو هـٰذا : ( أشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ،

---

(١) معارج الهداية (ص ٢١٩ )

آمنت بالله وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، صدق الله وصدق رسوله ، صدق الله وصدقت رسله ، آمنت بالشريعة ، صدَّقتُ بالشريعة ، إن كنت قلت شيئاً خلاف الإجماع . . رجعت عنه ، تبرأت من كل دين خالف دين الإسلام ، اللهمَّ ؛ إني أومن بما تعلم أنه حق عندك ، وأبرأ إليك مما تعلم أنه باطل عندك ، فخذ منِّي جُملاً ، ولا تطالبني بالتفصيل ، أستغفر الله العظيم وأتوب إليه ، ندمت من كل شر ، أشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسىٰ عبدُ الله وابن أمته ، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروحٌ منه ، وأن الجنة حقٌّ ، وأنَّ النار حق ، أشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمَّداً عبده ورسوله ) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من استغفر الله في كلِّ يومٍ مئة مرة . . لم يمت حتَّىٰ يرى البركة في ماله » .

وهـٰذا استغفارٌ يقال دبر كلّ صلاة : أستغفر الله من كلّ ذنب أذنبته قصداً أو خطأً ، سرّاً أو علانية ، وأتوب إليه من الذنب الذي أعلم ، ومن الذَّنب الَّذي لا أعلم ، وهو علاَّم الغيوب ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ومن وصايا الفقيه عمر بن عبد الله بامخرمة : ( أستغفر الله العظيم الذي لا إلـٰه إلا هو الحيَّ القيُّوم وأتوب إليه ) مئة مرة كلَّ يوم .

وَمِن أنواع الاستغفار : أستغفر الله الذي لا إلـٰه إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ، ربِّ اغفر لي ، اللَّهم ؛ اغفر لنا وارحمنا ، وتب علينا إنَّك أنت التواب الرَّحيم .

## فَائِدَة

## في الاستغفار

من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كلَّ يومٍ سبعاً وعشرين مرة أو خمساً وعشرين مرَّة ـ أحد العددين ـ كان منَ الذين يستجاب دعاؤهم ، ويُرزق بهم

أهل الأرض ، وهو : « اللهمَّ ؛ اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، حيِّهم وميِّتهم ، وشاهدهم وغائبهم ، وقريبهم وبعيدهم ؛ إنك تعلم مثواهم ومنقلبهم »[1] .

## فائدة

### [أخرىٰ في الاستغفار]

من قال بعد الفجر ثلاث مرات ، وبعد العصر ثلاث مرات : أستغفر الله الذي لا إلـٰه إلا هو الحيَّ القيوم وأتوب إليه . . غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر[2] .

## فائدة

### [كيف يفعل من أصاب ذنباً ؟]

جاء في الحديث : « ما من عبد يذنب ذنباً فيتوضأ ويصلي ركعتين

---

(١) في هامش ( ج ) : ( قال صلى الله عليه وسلم : « من استغفر للمؤمنين والمؤمنات . كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنةً » ، اهـ « مقال الناصحين » « ص ٢٩٢ » ) .

(٢) أخرجه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » ( ١٢٦ ) ، والديلمي في « الفردوس » ( ٥٤٧٦ ) عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه .

وجاء في هامش ( ج ) : ( وقال صلى الله عليه وسلم : « من قال دبر كلِّ صلاة مكتوبة : أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه . غفر له وإن كان قد فر من الزحف » رواه الطبراني .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من قال : أستغفر الله قبل صلاة العصر سبعين مرة . . كفر الله عنه ذنوب سبعين سنة » قيل : فإن لم يبلغ سبعين سنة . . قال : « لأبيك ثم لإخوتك » .

وهـٰذا الحديث رواه الحافظ أبو بكر الخطيب مرفوعاً في « تاريخه » وقال فيه . يقول بعد صلاة العصر : أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه سبعين مرة . . إلىٰ آخر ما ذكره ، قال : حديث صحيح ، انتهىٰ من « مقال الناصحين » لباجمَّال « ص ٢٩٠ » ) .

ويستغفر الله لذلك الذنب إلا غفر الله له وتلا هـٰذه الآية : ﴿ ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه . . . ﴾ الآية»[1] قيل : يا رسول الله ؛ كيف أستغفر ؟ قال : « قل : اللهمَّ ؛ اغفر لنا وارحمنا وتب علينا ؛ إنك أنت التوّابُ الرَّحيم »[2] .

وقال البُوني في تفسيره « مفاتيح الغيوب » : ( اعلم : أن لكلِّ مقامٍ كرامة وبركة مخصوصة ؛ كفعل الاستغفار في توسعة الرِّزق للمضيَّق عليه ، يتوضأ ويصلِّي ركعتين ، ويقرأ في الأولىٰ : الفاتحة وقوله تعالىٰ : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ . . . ﴾ الآية ، وفي الثانية : الفاتحة و : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا . . . ﴾ الآية ، ثم يجعل ذكره : أستغفر الله الغفور الرَّحيم ، يستديم هـٰذا الذكر لا يعدل عنه ، وليس له حد معلوم ، إلا توسعة الرِّزق ) انتهىٰ .

## فائدة
### عظيمة المقدار

ينبغي لطالب العزيمة أن يحافظ عليها ، أحببنا نقلها ؛ تنشيطاً لمن وفقه الله تعالىٰ ، منقولة من كتاب « سبيل العبادة ودليل السعادة » للعارف بالله محمد بن عمر بن عبد الله بن عمر بن أحمد مؤذن باجمال قال ما ملخصه : ( كان العباد والزهاد يلازمُون هـٰذه العشرة الأوراد وهي من وظائف الأبدال والأوتاد بعد صلاة الصُّبح والمغرب ، مجربة لتيسير الرِّزق ، وتسخير الخَلْق ، والحفظ من الأعداء والسِّحر والشياطين ، وكلِّ عاهة في النفس والأهل والمال ، وشرح الصَّدر وحسن الثناء والذكر ، والنور في القبر ، وللآخرة أكبر درجات وأكبر

---

(١) صحيح ابن حبان ( ٦٢٣ ) ، وسنن الترمذي ( ٤٠٦ ) ، وسنن أبي داوود ( ١٥٢١ ) عن سيدنا علي عن سيدنا أبي بكر رضي الله عنهما بنحوه .

(٢) عمل اليوم والليلة لابن السني ( ٣٧١ ) عن سيدنا خباب بن الأرتِّ رضي الله عنه .

تفضيلاً ، وهي : بسم الله الرحمـٰن الرحيم « مئة مرة » ، والحمد لله ربّ العالمين « مئة مرة » ، اللهمَّ ؛ صلِّ علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آل سيّدنا محمَّد وسلِّم « مئة مرة » ، لا إلـٰه إلا الله محمَّدٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم « مئة مرة » ، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم « مئة مرة » ، أستغفر الله العظيم وأسأله التوبة « مئة مرة » ، اللهمَّ ؛ إنِّي أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحبَّ المساكين ، وأن تغفر لي وترحمني « مئة مرة » ، سورة الإخلاص « مئة مرة » ، حسبنا الله ونعم الوكيل « مئة مرة » ، اللهم ؛ صلِّ علىٰ سيدنا محمَّد النبي الأميِّ وعلىٰ آل محمَّد وسلِّم « ثلاث مرّات » ) انتهىٰ .

## فَصْلٌ

## في فضل لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

ومن الأذكار المذهبة للكروب ، الممحِّصة للذنوب قول : ( لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ) فإنها تشتمل علىٰ مقام التبري من الحول والقوة ، وهو مقام عظيم ، يغلب علىٰ صاحبه الرضا والتسليم ، والفرح بما يقضي الحليم الكريم ، ووردت في هـٰذه الكلمة أحاديث كثيرة لا نطيل بذكرها ، وبها يحصل السُّرور وتتيسر الأمور ، وتدفع المهمَّات ، وتكفى البليات ، قال صلى الله عليه وسلم : « لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم دواءٌ من سبعين داء ، أدناها الهم والغم »[1] .

### [الفرق بين الهمِّ والغمِّ]

قال الحلبي في « سيرته » : ( وفرق بين الهم والغم : بأن الغم يعرض منه السهر ، والهم يعرض منه النوم ، وفي حكمة آل داوود : العافية مُلْكٌ خفيٌّ ،

---

(١) المستدرك ( ١ / ٥٤٢ ) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه .

وهمُّ ساعة هرمُ سنة ، وقال الأطباء : الهم يوهن القلب ، ومنه ذهاب الحياة ؛ كما أن في الحزن ذهاب البصر ، وفي الحديث : « من كثر همُّه .. سقم بدنه » ) انتهى[1] .

## فائدة

### [لإحراق الجانّ]

ذكر الحلبي في « سيرته » عند ذكر الجني الذي يخلف ذلك الرَّجل في أهله أن : ( لا حول ولا قوة إلا بالله العَليِّ العظيم ، ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ) صيَّرته رماداً ، انتهى[2] .

## فائدة

### [للفرج الكامل ودفع الشواغل]

ومما نقل وصح ، ولازَمْتُه وأَمَرتُ به ، ورأيت الفرج الكامل ، ودفع الشواغل بالمحافظة عليه ، وذلك عن الشيخ العارف بالله عمر بن عبد الله بامخرمة قال : ومما جرِّب لدفع كل مهمة وملمة أن يقول كل يوم مئة مرة : ( حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، العزيز الحكيم ) فقد جمعت هـٰذه الكلمات كفاية المهمات في قوله : ( حسبنا الله ) أي : كافينا كل مهم ومخوف ، ونعم الوكيل هو .

وتأمَّل قوله تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ

---

(١) السيرة الحلبية ( ١/ ٢١٢ ) .

(٢) السيرة الحلبية ( ١/ ٢١٢ ) .

يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ فينشرح صدرك ، ويذهب همك وكربك ، وكرِّر هـٰذه الكلمة ، وتخلَّق وتحقَّق .

## فَائِدَة

## [لكشف النوازل والمهمات]

ومما تنكشف به النوازل والمهمات قول : ( حسبنا الله وكفىٰ ، سمع الله لمن دعا ، ليس وراء الله منتهىٰ ، ولا دون الله ملجأ ) وإن كرر ثلاثاً أو عشراً أو مئة . . كان أقرب إلى المقصود .

## دعاء الكرب

ومما يذهب الكروب ، وتغفر به الذنوب دعاء الكرب المشهور ، وفيه صيغ واردة منها : « لا إلـٰه إلا الله العظيم الحليم ، لا إلـٰه إلا الله ربُّ العرش العظيم ، لا إلـٰه إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم »[1] وتحقق بمعنىٰ كلمة الإخلاص الموجبة للخلاص ، وحَقِّقها وتذكر عند ذكر الحليم أن الكروب عقوبة للذنوب ، والحليم يجود علىٰ عبده بستر العيوب .

## فَائِدَة

## [للأرزاق الحسيَّة والمعنوية]

ومما أمر به ولازمه ورتبه الصالحون ؛ كالحبيب الشيخ محمَّد بن زين بن

---

(١) صحيح البخاري ( ٦٣٤٦ ) ، وصحيح مسلم ( ٢٧٣٠ ) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

سميط : ( يا فتَّاح يا رزَّاق ، يا كافي يا مغني ) ولازمه سيدنا الوالد وأمر به ، وهو مجرَّب للأرزاق الحسيّة والمعنوية مئة مرّة كل صباح ، وزاد فيه سيدنا الشيخ أحمد بن الحسن الحدّاد ( يا رحيم يا ودود ) في مكاتبة إلىٰ جامع هٰذه الفوائد ، فينبغي الاعتناء بذلك ، والمحافظة عليه .

## فائدة

## في الاستخارة

ومن موجبات السُّرور ، وحسن عواقب الأمور توجُّه القلب إلى الله تعالىٰ في كل ما يقصده العبد في كلِّ أموره بطلب الخِيرة الصَّالحة خصوصاً وعموماً، وذلك بركعتي الاستخارة الواردة في السنة والدُّعاء المشهور بعدها : « اللهمَّ ؛ إني أستخيرك . . . إلىٰ آخره[1] ، والدّعاء المشهور عن الشيخ أبي مدين وهو : « اللهمَّ ؛ إنَّ العلم عندك وهو محجوبٌ عنِّي . . . إلىٰ آخره » ويكرر هٰذا الدُّعاء مرَّات علىٰ قدر الأمر ، ويكثر من قول المولىٰ عز وجل : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ ، وقوله : « اللهم ؛ خر لي واختر لي »[2] ( سبعاً ) .

وإن كانت الاستخارة كُلَّ يومٍ التي ذكرها الإمام الشعراوي والسهروردي في « العوارف » . . فحسن ، وقد لازمها الصَّالحون والموفقون ، فرأوا البركة والنّجاح في مقاصدهم[3] .

وقد ضعفت الآراء ، وحارت العقول ، ولا بقي من يستشار ؛ لفساد

---

(١) صحيح البخاري ( ١١٦٢ ) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٢) سنن الترمذي ( ٣٥١٦ ) ، وشعب الإيمان للبيهقي ( ٢٠٠ ) عن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه .

(٣) انظر « عوارف المعارف » ( ٢/ ٦٨٨ ) .

الزَّمان ، وضعف صفاء المودَّات ، فما بقي مع العبد إلا صدق التوجه إلى الله تعالىٰ في الخيرة الصَّالحة ، والعاقبة الحسنة ، والتَّأنِّي في الأمور ، والأخذ بالرفق والحزم في أمره ، واستشارة من توسم فيه الخير والصِّدق والمودة ، والزُّهد في الدنيا ، ولا تستشر من ظهرت في الدنيا أطماعه ، وامتد إليها باعه ، وغلب عليه حَظُّه وهواه ، وغرَّته دنياه ، واعتمد علىٰ خيرة ربِّك . . تَحْظَ بالمراد من ربِّ العباد[1] .

---

(١) في هامش ( ج ) : ( قوله رضي الله عنه : « فما بقي مع العبد . . . إلىٰ آخره » .
وأشار رضي الله عنه وعنَّا به إلىٰ موجبات الهداية إلى الرشاد ، ووسائل العناية والإسعاد ، **والصورة التي أولها** : صدق التوجه إلى الله تعالىٰ ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام : « ما خاب من استخار » ، و« من يمن المرء استخارته واستشارته » ، وفي الحديث القدسي : « كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم » .
**والثاني** : التأني ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام : « من تأنىٰ . . أصاب أو كاد ، ومن استعجل . . أخطأ » .
**الثالث** : الأخذ بالرفق ؛ كما قال عليه الصلاة والسلام : « من أعطي حظه منه . . أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة » ، و« ما خيِّر عليه السلام بين أمرين إلا اختار أيسرهما ، ما لم يكن إثماً » .
والحزم : هو ترك ما يخشىٰ عاقبته ، وهو مقتضى العقل ، وثمرته السلامة .
**والرابع** : استشارة من اتصف بهذه الصفات الأربع ، التي أولها الخيرية ؛ أي : الإيمان ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام : « اتقوا فراسة المؤمن ؛ فإنه ينظر بنور الله تعالىٰ » ، والثانية : الصدق ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام : « الصدق يهدي إلى البر ، والكذب يهدي إلى الفجور » ، ويحتمل صدقه على الثقة بمشورته ، والثالثة : المودة من المشير تحمله علىٰ كمال الشفقة والنصيحة التامَّة ؛ كما قال عليه الصلاة والسلام : « المؤمنون وادُّون متناصحون » ، والرابعة : الزهد ؛ لأن الزهد يلقِّن الحكمة ؛ كما ورد عنه عليه الصلاة والسلام ، وقال الشافعي رضي الله عنه : « لو أوصي لأعقل الناس . . صُرف لأزهدهم في الدنيا » ولذلك عقَّب رضي الله عنه بالنهي عن استشارة المحب للدنيا ؛ لأن حبها يعمي ويصمُّ ، وعن استشارة من غلبه حظٌّ أو هوىً ؛ لأن ذا الحظ لا يصدقك في نصيحة ، ولأن الهوىٰ . . . لأضاليل كلها ، والله أعلم ، انتهىٰ . . . . . . على الأم المنقول منها . . الحبيب عبد الرحمـٰن بن علي بن عمر . . . السقاف ، نفعنا الله به آمين ) .

## فَصْلٌ
## في دعاء الفرج

ومما يحصل به الفرج ، ويزول به الضيق والحرج ، دعاء الفرج المذكور في « الإحياء » وغيره من التصانيف المشهورة وهو : ( اللهمَّ ؛ كما لطفت . . . إلىٰ آخره )[1] وهو دعاء عظيم البركة يدعىٰ به عند المهمات والنوازل في كل الأحيان ، وخصوصاً مع العوارض والشواغل ، فأَحضِرْ قلبك فيه ، وتأمل دقيق معانيه ، وظواهر ألطافه وخوافيه ، وله فضل عظيم لولا خشية الإطالة . . لذكرنا منه طرفاً صالحاً ؛ إذ فيه من المعاني اللطيفة ، والأسرار المنيفة ، ما لا يخفىٰ علىٰ من له إشراف على الأسرار ، وتطلع إلى الاعتبار ؛ إذ اللطف هو جميل الصنع واللطف بالرَّحمة ، وحسن التدبير للعباد ، فلله الحمد علىٰ لطفه الكامل مع عظمته وتعاليه ؛ إذ العظمة تقتضي الكبرياء والتجبر ، فمن لطفِهِ لطفُه في عظمته ، ولطفُه دون كل لطيف ، وجدير هـٰذا الدُّعاء بالتكرار والمحافظة ، وخصوصاً عند استقبال المهمات والملمّات ، وكذلك قول : يا لطيف يا حفيظ يا كافي ( مئة مرة ) ، وكان سيدنا الشيخ علي بن عبد الله السقاف يرتِّبُهَا خمس مئة مرة ، ويوصي بذلك .

### [من أدعية الإمام الحداد]

وأدعية اللطف كلها ميسِّرة للألطاف ، وجميل الإسعاف ، وفيها فتح باب

---

(١) في هامش ( ح ) : ( تمامه : . . . في عظمتك فوق اللطفاء ، وعلوت في عظمتك على العظماء ، وعلمت ما تحت أرضك كعلمك ما فوق عرشك ، وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك ، وعلانية القول كالسرِّ في علمك ، وانقاد كل شيء لعظمتك ، وخضع كل ذي سلطان لسلطانك ، وصار أمر الدنيا والآخرة بيدك ، اجعل لي من كل همٍّ أصبحت فيه فرجاً ومخرجاً ) . انظر « إحياء علوم الدين » ( ٤/ ٦٩٢ ) .

العطاء والمدد ودفع الشِّدد ، وقد اشتملت أوراد سيِّدنا الشيخ عبد الله الحداد علىٰ جملة منها .

من ذلك دعاؤه المشهور : يا الله يا لطيف يا كافي يا حفيظ يا معين. . . إلىٰ آخره .

ومن ذلك : يا الله يا لطيف يا رازق يا قوي يا عزيز. . . إلىٰ آخره .

## [أبيات لدفع الضيق والنوازل]

ومما يكثر الأئمة الصالحون إنشاده مع الضيق والنَّوازل الأبيات المشهورة : [من الوافر]

وكَـمْ للهِ مِـنْ لطـفٍ خفـيٍّ ... يَـدِقُّ خفـاهُ عـنْ فهـمِ الـذكـيِّ
وكَـمْ يسـرٍ أتـىٰ مـنْ بعـدِ عسـرٍ ... ونَفَّـسَ كـربـةَ العبـدِ الشجـيِّ
وكَـمْ أمـرٍ تُسـاءُ بـهِ صبـاحـاً ... وتـأتيـكَ المسـرةُ بـالعشـيِّ
إذا ضـاقـتْ بـكَ الأحـوالُ يـومـاً ... فثِـقْ بـالـواحـدِ الفـردِ العلـيِّ
تـوسَّـلْ بـالنبـيِّ فكـلُّ عبْـدٍ ... يغـاثُ إذا تـوسـلَ بـالنَّبـيِّ
تـوسـلْ بـالنبـيِّ وصـاحبيـهِ ... وذي النـوريـنِ والمـولـىٰ علـيِّ[1]

نسأل الله تعالىٰ كمال لطفه لنا ولأحبابنا أجمعين .

وفي « الزهر الباسم » للسيد الجليل عبد القادر بن شيخ العيدروس عند ذكر اسمه تعالى اللطيف : ( قال ابن عطاء الله في « مفتاح الفلاح » : « اسمه اللطيف هو بمعنى الرحمة مطيف ، ذكره في الخلوة ينفع كثيف الطبع

---

(١) الأبيات لسيدنا علي كرم الله وجهه ، وهي في ديوانه « أنوار العقول لوصي الرسول » ( ص ٢٧٨ ) ، مع اختلاف يسير ، ودون ذكر البيت الأخير

فيتلطف ، وأهل المشاهدة يقوىٰ به شهودُ منْ ضعُف شهوده منهم »[1] .

وقال الأستاذ الأعظم عبد الله بن أبي بكر العيدروس في شرح أبيات عمّه عمر المحضار :

## فَصْلٌ

## [في ذكر ( يا حفيظ ) و( يا لطيف )]

الفرج عند الشدائد في ذكر يا حفيظ « مئة مرة » ويا لطيف « مئة مرة وتسعاً وعشرين » ، وقال الشيخ الكبير شيخ بن إسماعيل السقاف :

في يا لطيف معانيْ لو بها تعلمونْ ... كانت رواتبْ معاكم فوق ذي تقدرون

وكان هجّيرى الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس ذكر ( يا لطيف ) وكذلك هجّيرى الأستاذ أبي العبّاس المرسي : ( نسأل الله اللّطيف ، نسأله اللطف ) قلَّ أن يفتر عن ذلك .

فهٰؤلاء الأكابر بحسب شهودهم اللطفَ من الباري جلَّ وعلا ، واحتياج كلِّ أحد إلى اللطف كل وقت . . كان شعارهم سؤال اللطف في جميع الأوقات.

وقال الإمام علي بن أبي بكر السَّكران نفعنا الله به : [من البسيط]

اللهُ ألطفُ بالإنسانِ في الخطرِ ... مـن أمِّـهِ وأبيـهِ جَـلَّ فـاْعتبـرِ

حسِّن ظنونكَ بالمولىٰ ومِنَّتِهِ ... تأتيكَ ألطافُهُ كاللَّمحِ في البصرِ

غبْ عنكَ واْحضرْ بهمْ تشهدْ لَطائفَهمْ ... وعيـنْ أفـراحِهـمْ فيّـاضـةُ الغُمـرِ

كمْ مُكرَبٍ فرَّجَ المولىٰ لكربتهِ ... وآيسٍ فـازَ بـالمطلـوبِ والظَّفـرِ

فـرحمـةُ اللهِ لا شـيءٌ يقـاسُ بهَـا ... كلاَّ ولا منتهىٰ في ثُمْرِها الخَضِرِ

قدْ عمَّ كلَّ الدُّنىٰ منها بواحدةٍ ... فيَّاضُها عمَّ كلَّ السَّهلِ والوَعَرِ

---

(١) مفتاح الفلاح ( ص ٢٩ ) .

فكيفَ ما ليس يُحصىٰ من زواخرها ... ولا يُحدُّ برقمِ الكتْبِ والسُّطُرِ
ولا يحيطُ بهِ إلاَّ العليمُ بما ... قدْ غابَ عنْ كلِّ هذا الخلقِ فاْعتبِرِ

انتهىٰ من « الزهر الباسم من روض السيد حاتم » وهو كتابٌ جليل الفائدة ، حوىٰ فيه مؤلفه فوائد متعددة ، وجمع نفائس مبدَّدة .

## [لطيفة في ندرة من تَسمَّىٰ بحاتم]

ومما ذكره فيه قال : ومن العجائب أني كنت عزمت علىٰ أن أجرد سِفْراً لطيفاً أذكر فيه كل من اسمه حاتم ، فكشفت عن كتب كثيرة كـ« الميزان » للذَّهبي ، و« طبقات الشافعيّة » للسُّبكي ، و« مختصر طبقات الشَّرجي » ، و« البلغة في أئمة اللغة » للمجد الفِيرُوزاباذي ، و« النُّور المضيء والدر البهيّ » للمعلم خرد ، و« ذيل طبقات الإسنوي » لعبد الله بن عمر مخرمة . و« الضَّوء اللامع لأهل القرن التاسع » للحافظ السَّخاوي ، و« تاريخ ابن خلكان » و« تاريخ الديبع » و« تاريخ شنبل » و« تاريخ ابن الشحنة » وغيرها فلم أجد فيها من اسمه حاتم إلا اثنين أو ثلاثة ، فتذكرت حينئذ غرابة الأستاذ ـ يعني : السيد حاتماً الأهدل ـ في كلِّ شيءٍ حتى في اسمه ، واستشعرت قول القائل : [من الطويل]

مساكينُ أهلُ العشقِ حتَّىٰ قبورهُمْ ... عليها ترابُ الذُّلِّ بينَ المقابرِ[1]

* * *

(١) البيت لسيدنا علي رضي الله عنه ، وهو في ديوانه « أنوار العقول لوصي الرسول » ( ص ١٢٩ ) ، وفيه : ( أهل الفقر ) بدل : ( أهل العشق ) .

# القِسمُ الثَّاني

## في الأسباب الدافعة للهموم

## الكاشفة للغموم ، الشارحة للصُّدور ، والمبشرة بصلاح الأمور

ولما انتهى الكلام على الآيات والأحاديث المبشَّرات ، والأذكار والاستغفارات . أحببنا ذكر الأسباب العلميَّة والعملية ؛ إذ التخلق بها أقرب طريق إلىٰ صفاء الباطن والظاهر ، وحسنُ المعاملة مع الله ، وحسنُ الصُّحبة مع خلق الله سبيل إلى النَّجاة والسَّلامة في الأوَّل والآخر .

### فضل الطهارة والصَّلاة في دفع الهموم

**اعلم** : أولاً أن مما يدفع الهم والحزن ويشرح الصَّدر ، ويُصِحُّ البدن النظافةَ البدنيةَ ، والطهارةَ علىٰ كمال السنة المحمدية ، ودفع الوساوس الشيطانية ، والقيام إلى الصَّلاة بدفع الشواغل القلبية ، قال صلى الله عليه وسلم : « أرحنا بالصَّلاة يا بلال »[1] .

فإن اغتسل المكروب ، وصلَّىٰ ركعتين بنية التوبة . . كان أذهبَ لكربه ، وأصفىٰ لقلبه ، وليجتنب الوسوسة في طهارته التي لا أصل لها إلاَّ خبال العقل أو جهل السنة ، قال الشيخ زروق في كتابه « النصيحة الكافية لمن خصَّه الله تعالىٰ بالعافية » : ( متعاطي الوسوسة متكبر علىٰ عباد الله ، معجب بعمله متبع للشيطان ، والخلاص منها بأن يعلم أن أحداً لن يقدر الله حق قدره ، واعتقاد أنه متعبِّد بعمله والإكثار من قول : « سبحان الملك الخلاق » :

(١) سنن أبي داوود ( ٤٩٨٥ ) ، ومسند أحمد ( ٥/ ٣٦٤ ) عن سالم بن أبي الجعد عن رجل من أسلم

وقد جاء الشيطان لابن المبارك فقال له : لمَ تمسح الرأس ، فقال له : « البيِّنة على المدَّعي ، واليمين على المنكر » والله الذي لا إله إلا هو ؛ لقد مسحت رأسي .

ومن آفات الطهارة كثرة صب الماء في الغسل ، وذلك غلوٌّ في الدِّين .

وقال بعض العلماء : الحضور في الصلاة بقدر الحضور في الوضوء ، وقد جرب ذلك ، وإدمان الوضوء موجب لسعة الخلق والرِّزق ، ومحبَّة الحفظة ، ودوام الحفظ من المعاصي والمهلكات فقد جاء : « الوضوء سلاح المؤمن » وهو مجرب ، وتأخير غسل الجنابة يورث الوسواس ، ويمكِّن الخوف من النفس ، ويقل البركة في الحركات ، ويقال : الأكل على الجنابة يورث الفقر ، والكلام في الخلاء يورث الصَّمم ، والبول في الماء الراكد يورث النسيان . . . إلىٰ آخر ما ذكره نقلاً عن الشيخ أبي طالب في « القوت » .

ثم قال : وتجديد الوضوء بعد الصلاة موجب لتنوير القلب والقالب ) انتهىٰ ملخصاً من كتاب « النصيحة »[1] .

قلت : والصَّلاة كلها أصل النُّور ومظهر السُّرور ، ويعين على الحضور في الصَّلاة الفكر فيها قبلها ، وإدمان الطهارة والحضور فيها ، واستواء القامة ، وقراءة : ( قل أعوذ بربِّ النَّاس ) ويطعن بسبابته في فخذه الأيسر بعد الحضور . ذكر ذلك في « النصيحة »[2] .

ويقرأ التوحيد قبل الصَّلاة ، وقوله : ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ ويستعيذ بالله من الشيطان الرَّجيم ، ويدخل حضرة الأنس بالله ونسيان ما سوى الله تعالىٰ ،

---

(١) النصيحة الكافية ( ص ٣٧ ـ ٤٠ ) .

(٢) النصيحة الكافية ( ص ٤١ ) .

حققنا الله بذلك ، ونعوذ بالله من الشقاء والحرمان ، وأن يكون حظنا الهذيان .

يـا مُجلّـي القمَـرَ بـالنُّـورْ      جَـلِّ قلبِـي مِـنَ الكَـدرْ

## فَصْل
## في علاج العوارض النفسانية

قال الإمام الأزرق في كتابه في الطب : ( اعلم : أن آفة القلب في الهم والغم ، وراحته في الفرح والسُّرور ، فأما الهم . . فهو ظهور الحرارة الغريزية إلىٰ ظاهر البدن عند الاهتمام بالأمور المهمَّة ، فإن لم يحصل الغرض المقصود . . حصل الغم وهو دخول الحرارة إلىٰ داخل الجوف ، وظهور طبيعة السَّوداء ، وهي طبيعة الموت ، وربَّما مات بعض الناس عند ذلك فإذا كثر الهم والغم . . نحُف الجسم ؛ لاختلافهما عليه ، قال عليٌّ كرَّم الله وجهه : أقوىٰ خلق ربِّي ابن آدم ، وأقوىٰ منه السُّكْر الذي يزيل العقل ، وأقوىٰ منه النوم ، وأقوىٰ من النَّوم الهم ، فالهمّ أقوىٰ خلق ربِّي .

### [دواء الهمِّ والغمِّ]

وللهم والغم دواءٌ ، وهو ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من عبد أصابه همٌّ أو غمٌّ فقال : اللهم إنِّي عبدك وابن عبدك ابن أمتك ؛ ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيَّ حكمك ، عدل فيَّ قضاؤك ؛ أسألك بكلِّ اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علَّمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور بصري وذهاب همِّي وغمِّي ، إلا أذهب الله همه وغمه ، وأبدله مكانهما فرحاً وسروراً » .

وينبغي للإنسان ألاَّ يهتم إلا بما يسهل ، ولا يكثر منه أيضاً ، ثم إذا حصل

الغرض المطلوب . . فلا يفرح إلا فرحاً معتدلاً ولا يُفرِط ؛ فقد يقتل الفرح الشديد المُفرِط ، فليعتدل .

## من آفات النُّفوس شدَّة الغيظ والغضب

ومن العوارض النفسانية شدة الغيظ والغضب ، وهو من الشيطان ، والشيطان من النار ، وينبغي أن يُطفأ ذلك بالماء ؛ كما في الحديث ، فليغتسل بالماء ويُسبِغ الوضوء ويصلي ركعتين ثم يقول : « اللهم ؛ اغفر لي ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأعذني من الشَّيطان الرَّجيم » فيهون غيظه وغضبه ويسكن .

## من آفات النُّفوس الحُزْن على الفائت

ومن العوارض النفسانية الحزن علىٰ فائت ، فينبغي ألاَّ يكثر الأسف عليه ؛ فإن الدُّنيا بأسرها فانية ، ويعزِّي نفسه بأنه لو أصيب بمصيبة أعظم . . لكان أعظم حزناً ؛ مثل أن يقع الحزن في المال ، فيقول : لو وقع هـٰذا في الولد . . لكان أكثر مصيبة ، ونحو ذلك مما يهوِّن عليه الحزن فيهون .

قال عمر بن الخطَّاب رضي الله تعالىٰ عنه : ما أصبت بمصيبة إلا ونظرت أن الله سبحانه وتعالىٰ أنعم عليَّ فيها بثلاث نعم :

الأولىٰ : أن الله تعالىٰ هوَّنها عليَّ ، فلم يصبني بأعظم منها ، وهو قادر علىٰ ذلك سبحانه وتعالىٰ .

الثانية : إذ لم تكن في ديني .

الثالثة : أن الله سبحانه وتعالىٰ يأجرني بها يوم القيامة ، وقال بعض الأدباء : [من البسيط]

لا تَلْقَ دهـرَكَ إلاَّ غيـرَ مكتـرثٍ ما دامَ يَصحَبُ فيهِ روحَكَ البَدَنُ

فما يدومُ سرورٌ ما سُرِرت بهِ ولا يـرُدُّ عليـك الفائـتَ الحَـزَنُ[١]

وفي « رياض الحاضر وتحفة المسافر » : أن كسرىٰ قبض حكيماً ، فمكث مدَّة لا يطعم ، فأتاه جمع من تلامذته فسألوه : ما بال بدنِك وقلبك كما نعهده ، مع أنك لم تأخذ طعاماً ولا شراباً ؟ فقال : إني اتَّخَذْتُ معجوناً من ستة أخلاط أتناول منه كلَّ يوم جزءاً فأبقاني علىٰ ما ترون :

الأول : الثقة بالله تعالىٰ .

الثاني : علمي بأنَّ كلَّ مقدَّر كائن .

الثالث : الصبر خير ما استعمله الممتحَن .

الرَّابع : إذا لم أصبر . . فأي شيءٍ أعمل ؟ !

الخامس : أنه يمكن أن أكون في أشرَّ مما أنا فيه .

السادس : من ساعة إلىٰ ساعة فرج .

فينبغي أن يتمسك المبتلىٰ بهـٰذه الأشياء عند هجوم العوارض النفسانية ؛ دفعاً للضَّرر عن النفس ) انتهىٰ من « الأزرق »[٢] .

## فصل

## في ترك مجالس اللغو والغِيبة والمحرمات

ومما يشرح الصَّدر ويُذهِب الهمَّ ترك مجالسة العامة المشتملة على اللغو والغِيبة ، والسخرية بالناس ، وذكر عيوبهم ، وكثرة الحَلِف بالأيمان والملاحاة ، وتضييع الأوقات في البطالة والجهالة ، وكثرة القالة في حوادث الزَّمان بغير اعتبار ، وكثرة القال ، وذكر حوادث الظلم وفعله ، وكثرة الخوض

---

(١) ديوان المتنبي بشرح العكبري ( ٤/ ٢٣٤ ) .

(٢) تسهيل المنافع ( ص ٧٦ ـ ٧٧ ) بتصرف وزيادة .

في ذلك كله باعتراض وإنكار ، فكلُّ ذلك مما يكدر صفاء أهل الإيمان ، ويشوش قلوبهم المنيرة ، فليبادر إلى العزلة والعبادة ، ويأخذ كتاباً يهديه ويسلِّيه ويصفِّيه ، وينظر سِيَر السلف الصَّالح وما ابتُلوا به وصبروا عليه ، ورجوعهم إلى الله تعالىٰ ، ويتحقق أن ذلك كله ؛ أعني : البلاء والامتحان للخاص والعام تقريباً لهم[1] إلى الله تعالىٰ وإلىٰ رضاه ، ومكفِّر لسيِّئاتهم ، وموفر لحسناتهم ، وموجبٌ للتوبة والنَّدم ، وفي الحديث : « الكلام في الفتنة دم يقطر »[2] .

وكان سيِّدنا الشيخ الحامد بن عمر رضي الله عنه يأمرنا في كتبه بعدم الخوض في الفتن وأحوالها ، وكثيراً ما يوصي بالتغافل عن الزَّمان وأهله ، بل عن خاصة الإنسان فيما يحسن التغافل فيه ، وقد أوصىٰ متع الله به السيد الأفضل الصفي محمد بن سالم الجفري بوصيَّةٍ جامعة نافعة ، كافية للطالب الراغب ، وهي من الجوامع الكوامل ، قال في آخرها بعد أن رتَّب له الأوراد والدعوات ، وأوصاه بملازمة الحزب القرآني وتلاوة القرآن العظيم ، ومطالعة الكتب النافعة ؛ مثل : « الأربعين النووية » و« الأذكار » و« رياض الصالحين » وكتب الإمام عبد الله بن علوي الحدَّاد .

## وصايا جليلة للإمام الحامد

قال رضي الله تعالىٰ عنه : وأوصيه بالتقلل من مجالسة العامة والجموع المطلقة ، التي لا تحتوي علىٰ قراءة شيءٍ من الكتب النافعة ومذاكرة العلم ، وإن اتفق المجلس لموجب حق من قرابة أو جيرة أو نحو ذلك . . فيخففه ويتحفظ فيه ، ويذكر الله تعالىٰ فيه ويذكِّر غيرَه ، ويحسن الظنَّ بجلسائه ،

---

(١) كذا في النسخ ، ولعل الصواب : ( تقريب لهم ) .

(٢) السنن الواردة في الفتن ( ١٦٨ ) .

ولا يسبُّهم ولا يغتابهم بعد المفارقة ، ويسأل الله خير المجلس ، ويتعوذ من شره ويقول عند المفارقة : « سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إلـه إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك »[1] كما ورد أن ذلك كفارة لِلَغو المجلس ، وزيادة في مجلس الخير والله الموفق للصَّواب .

وأوصي سيدي باغتنام حضور جموع المسلمين من زيارة الصَّالحين ، وجموع الخير من ذكر وقراءة علم ، وتهاليل ومولد وذكر بالشلِّ ورفع الصَّوت ، إذا لم يقارنها شيءٌ من المحرَّمات والمكروهات ، واشتمل علىٰ أخيار وصالحين ، فللّه ضنائنُ في خلقه ؛ ظاهرون ومستورون بهم يرحم الله العباد والبلاد ، والمدد في المشهد ، وحسنُ الظن البابُ المُوصِل إلى الله تعالىٰ ، والخير كله في حسن الظنون ؛ ولهـٰذا ورد : « المؤمن يطلب المعاذير ، والمنافق يتتبع العثرات »[2] .

فاشهد الخصوصية والخير . . يُفَضْ عليك من الله كلُّ خير ، واستمدَّ وتوسل بكلِّ مَن شَهِدْتَهُ من أهل التوحيد ظاهراً وباطناً إن كان ظاهره الخير والاستقامة والصَّلاح والهداية ، وإلا . . فباطناً بحسن الرَّجاء له والسابقة الحسنىٰ من الله تعالىٰ : ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ .

وفي حديث جبريل المشهور عنه صلى الله عليه وسلم : « من مات لا يشرك بالله شيئاً . . دخل الجنة وإن زنىٰ وإن سرق »[3] كرَّر ذلك ثلاثاً إشارة إلىٰ تغليب حسن الظن ، وعدم الجزم بخاتمة السوء بكبيرة رأىٰ مرتكباً يرتكبها .

---

(١) سنن الترمذي ( ٣٤٣٣ ) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وسنن أبي داوود ( ٤٨٥٩ ) عن سيدنا أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه .

(٢) ذكره في « إحياء علوم الدين » ( ٤/ ٨٥ ) من كلام عبد الله بن المبارك رحمه الله .

(٣) صحيح البخاري ( ٦٤٤٤ ) ، وصحيح مسلم ( ٩٤/ ١٥٤ ) عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه

ومعنىٰ حديث : « لعل الله اطلع علىٰ أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم »[1] يشير إلىٰ حسن الظن بشهود وتغليب الخصوصية ، ورجاء حُسْن السابقة والخاتمة ، ولا تجزم بغضب من الله علىٰ أحد من الخلق بحال من الأحوال ، ومن حيث الإنسان نفسه يطلب منه محو شهود خصوصيته من غلبة رجاء حسن السابقة ، إلا إذا غلب واستقوىٰ عليه الإياس ، واستبعد أن يغفر الله له بسبب من الأسباب . . فيطلب منه غلبة الرجاء لنفسه ، وشهود الفضل من الله تعالىٰ ، والله ذو الفضل العظيم .

وأوصي نفسي ووليّي في الله بسعة الخاطر والبال مع من لا بد له من معاشرته ؛ من نساءٍ ورجال من الأهل والأقارب والأباعد ، قال الله تعالىٰ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ .

ولا تَحُكَّ ولا تفحص عن أحوال الخصوص والعموم ؛ لتبقىٰ سليم الصَّدر ، وإن سمعت أو بلغك ما تكره من سابقة قول أو فعل يحتمل ، مما لا يحرم في الشرع . . فتغافل عنه ، وكن كأنَّك لم تره ولم تسمعه ، وتباعد عن الاطلاع والاستخبار والاستماع عن كل ما يحرك الطبع ، ويشوش الخاطر : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ كما قال الله تعالىٰ ، وكن من الذين إذا مرُّوا باللغو مرُّوا كراماً .

## [العيش لا يهنأ إلا بالتغافل والصبر علىٰ من يخالطك]

**واعلم** : أنه لا يهنأ عيش الإنسان ، ويَسْلَم دينه إلاَّ بالتجاهل والتغافل عن أحوال وأقوال أهل الوقت ، والصَّبر والكظم والاحتمال ممن لا بد له من لقائه

---

(١) صحيح البخاري ( ٣٠٠٧ ) ، وصحيح مسلم ( ٢٤٩٤ ) عن سيدنا علي رضي الله عنه .

ومخالطته من أقرب وأبعد ، والزَّمان دهليز السَّاعة والقيامة ، ولا يُستغرب فيه إلاَّ الخير وفعل الخير وكلمة الخير ، والشر لا يُستنكر فيه ، فهو مظنته وزمانه : ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ ، ولا يعدل بالسّلامة شيء ، وأقوىٰ أسبابها التغافل ، وقد ورد عن بعض السلف الصَّالح : التغافل مدار أهل الزَّمان عليه ، وورد في الحديث : « العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصَّمت وواحدٌ منها في العزلة عن النَّاس »[1] .

وورد في الحديث : « خيركم بعد المئتين الخفيف الحاذ ، الذي لا مال له ولا ولد »[2] أشار بالخيريَّة إلىٰ تيسير هناء العيش ، وسلامة الدين في خفة العلائق ، وضيق الدوائر .

فينبغي لمن بلي بالأهل والخلق ومخالطتهم توسيع باله ، وملازمة الصَّبر الجميل الذي لا يقترن به ضجر ولا جزعٌ ، ولا ردُّ الأمر بشدة وعنف ، والرفقُ خير كلُّه ، « وإنَّ الله يُعطي بالرفق ما لا يعطي بالعنف »[3] والله المستعان على الأمور كلِّها .

اللهُمَّ ؛ أعنَّا علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، ومن يستعن بالله . فقد هدي إلىٰ صراط مستقيمٍ ، انتهىٰ ما ذكره شيخنا الحامد نفع الله تعالىٰ به آمين .

وفي ذلك من الإشارات الجامعة النافعة ما ينبغي الاعتناء والاهتمام به ، خصوصاً ما ختم به كلامه من حسن الصُّحبة في مخالطة الخلق ، والرَّحمة بهم ؛ فإنَّ الصحبة مع الله ومع خلقه من أعظم شعائر الدِّين الموصلة إلىٰ رضا ربِّ العالمين .

---

(١) الفردوس بمأثور الخطاب ( ٤٢٣١ ) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) تاريخ دمشق ( ٦/ ٥٥ ) عن سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما .

(٣) صحيح ابن حبان ( ٥٤٩ ) ، وسنن ابن ماجه ( ٣٦٨٨ ) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

## [معاني الصحبة]

نقل الإمام القشيري في « رسالته » عن أبي عثمان الحِيري قال : ( الصُّحبة مع الله بتحسين الأدب ، ودوام الهيبة والمراقبة ، والصحبة مع الرسول صلى الله عليه وسلم باتباع سنته ، ولزوم ظاهر العلم ، والصحبة مع أولياء الله عزَّ وجل بالاحترام والخدمة ، والصُّحبة مع الأهل بحسن الخلق ، والصُّحبة مع الإخوان بدوام البشر ما لم يكن إثماً ، والصُّحبة مع الجهال بالدُّعاء لهم ، والرحمة عليهم ) انتهىٰ[1] .

وذكر في كتاب « النّصيحة » عن بعض العلماء : ( الغِيبة صاعقة الدِّين ، وهي مَسامر الملوك ، ومراتع النّساء ، ومزبلة المتقين ، وفاكهة القراء ، وإدام كلاب الناس ) انتهىٰ[2] . فتأمل وافهم الفرق بين الفاكهة والإدام .

## [أربع يُذْهِبْنَ أربعاً]

وفي « النَّصيحة » عن إبراهيم بن أدهم قال : ( صحبت رجالاً بجبل لبنان فكانوا يوصونني : إذا رجعتَ إلىٰ أهل الدُّنيا فعظهم بأربع خصالٍ قل لهم : من يكثر الأكل باللَّيل . . لا يجد للطاعة لذة ، ومن يكثر النوم . . لا يجد للعمر بركة ، ومن طلب رضا الناس . . فلا ينتظر رضا الربّ ، ومن يكثر الكلام بفضول أو غِيبةٍ . . فلا يخرج من الدنيا على الإسلام ) انتهىٰ[3] .

فليترك طالب الخلاص والفرح بالله تعالىٰ والسرور به هٰذه المجالس العامة ، ويغتنم صفاء وقته وخلوته بربّه ، ومجالس المؤمنين الزاهدين المذكِّرين بالله ، القانعين من الدُّنيا باليسير .

---

(١) الرسالة القشيرية ( ص ٨٢ ) .

(٢) النصيحة الكافية ( ص٥٣ ) .

(٣) النصيحة الكافية ( ص٥٣ ) بتصرف .

وفي الحديث القُدُسيّ : « أنا عند المنكسرةِ قلوبُهم من أجلي »[1] وأما مجالسة العامة . . فسمٌّ قاتلٌ ، ونقصٌ في الدِّين لأهل الدِّين ، إلا بطريق التذكير والهداية إن كان من أهلها ؛ فإنَّ لهم في مجالسهم وخوضهم ألفاظاً تؤدي إلى الكفر نعوذ بالله من ذلك .

وقد ذكر في « النصيحة » فيما ينبغي الاحتراز عنه من أقوالهم كلاماً مفيداً فتأمَّله[2] .

## فَائِدَة

### سبيل السَّلامة من آفات اللسان

من أراد السَّلامة من آفات اللسان . . فليكثر من قراءة ( قل أعوذ برب النَّاس ) و( القدر ) ، ويذكر قوله تعالىٰ : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ ، وقوله : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ ، وقوله في وصف عباده المؤمنين : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ إلىٰ غير ذلك من الآيات المرشدة إلى الإعراض عن الجاهلين ، ومجانبة لغو اللاغين ، المبشرة بأن في ذلك سلامة الدُّنيا والدِّين ، والفوز يوم الدِّين ، والقرب من ربِّ العالمين ، والعاقبة للمتَّقين .

فعليك بالعزلة عنهم والخلوة مع الله ، وقطع الوساوس والهموم ، وترك المخالطة والمزاحمة ؛ ففي ذلك السَّلامة والغنيمة ، قال الشيخ عمر بن محمد بن حميد نقله عنه في « مقال الناصحين » : ( إذا خلا القلب من الوساوس والهموم ، وخلا البدن من مزاحمة الناس . . لُقِّمَ من لطائف

---

(١) ذكره الإمام الغزالي في « بداية الهداية » ( ص٢٣٤ ) .

(٢) انظر « النصيحة الكافية » ( ص ٤٧ ) وما بعدها .

المعارف ، وانقطعت النفس عن كدورات المألف ، وإذا كثرت المكاره والهموم على القلب . . مات ، وإذا مات . . عُدم المطلوب وفات ، وإذا كثر الشقاء على البدن . . خرب ، وإذا فقد القلب الذكر والمذاكرة ثلاثة أيام . . قسا ، وإذا قسا . . تجرّأ ، وإذا تجرّأ . . وقع فيما لا طاقة له به ) انتهى[1] .

## فَصْلٌ
## في العزلة عن النَّاس

ومن الأسباب الجالبة للصَّفاء والسّرور ، المتممة للنُّور والحضور ، العزلة عن أهل هٰذا الزَّمان الفاسد ، الذي غلب فيه الشر والأشرار ، وقلَّ فيه الصَّالحون والأخيار ، وغلب علىٰ أهله طلب الدُّنيا وجمعها ، والسَّعي لها بالقلوب والقوالب ؛ كما قال سيدنا الإمام عبد الله بن علوي الحداد : [من البسيط]

تَنَافَسُوهَا وأعطَوْها قوالبَهُمْ ... مـعَ القلـوبِ فيـالله مـنْ عجـبِ[2]

وصار المنظور إليهم بالصَّلاح ، والمطلوب منهم الهداية والفلاح ، في غفلة وغواية ، وضلالة وعماية ، قد كسفت قلوبهم بالأهواء وكل خُلُق مذموم ، فلا يستفاد من مجالسهم إلا هموم وغموم ، وسوء ظنون واعتراض علىٰ ما كان أو يكون ، فالعزلة حينئذ فرضٌ لازمٌ ، وخير الغنائم ، كما قال الشَّاعر : [من الوافر]

أنِستُ بوحدَتِي ولزمتُ بيتي ... فطابَ الأنسُ ليْ وصفا السرورُ
وأدَّبنـي الـزمـانُ فـلا أبـالـي ... هُجِـرْتُ فـلا أُزارُ ولا أزورُ
ولستُ بقائلٍ ما عشتُ يوماً ... أَسارَ الجندُ أمْ ركبَ الأميرُ[3]

---

(١) مقال الناصحين ( ص ٢٠٦ ) .

(٢) ديوان الإمام الحداد ( ص٨٢ ) .

(٣) الأبيات لصالح بن عبد القدوس ، وهي في « ديوانه » ( ص ١٢٠ ) بتغيير يسير .

وكما قال الجعبري فيما أورده في « إيضاح أسرار علوم المقرّبين » : [من مجزوء الرمل]

مـنْ أراد الملـك والـرَّا ... حـة مِـنْ هـمٍّ طـويـلِ
فليعـشْ فـرداً مـنَ النَّـا ... سِ ويـرضـىٰ بـالقليـلِ
ويـرىٰ أنَّ قليـلاً ... نـافعـاً غيـرُ قليـلِ
ويـداوي مـرضَ العُـزْ ... لَـةِ بـالصَّبـرِ الجميـلِ
أُفٍّ مِـنْ معـرفـةِ النَّـا ... سِ علـىٰ كـلِّ سبيـلِ[1]

وكما قال الشيخ عمر بن عبد الله بامخرمة :

سَعْدْ كَمْ دُرْتُ في الدُّنيَا مُنَحّي وصاعدْ ... منْ هُنَا ٱلىٰ هُنَا ما ادركتُ فيهَا المساعِدْ
ما هُمَ ٱلاَّ لِمَرْماهُمْ عبيدُ العوائِدْ ... حينْ تَحظىٰ وتبغاهُمْ لِفَكِّ الشَّدائِدْ
راحُوا اصنافْ ذا طامعْ وذا بَانْ حاسِدْ ... ..................

إلىٰ أن قال :

قِفْ علىٰ بابْ ما يقْلِدْهْ يا سَعدْ قالِدْ ... ..................[2]

ولجامع هـٰذه الأحرف : [من الخفيف]

قـلْ لمـنْ لامَنِي علـى الإعتـزالِ ... لا تلُمْنِـي إنِّـي لـدهـرِكَ قَـالـي
إنَّمـا أهلُـهُ أقـامُـوا شِعـاراً ... ومَنَـاراً لسيِّئـاتِ الفِعَـالِ

إلىٰ آخر الأبيات .

فالعزلة والمَيْلة غنيمة أولي البصائر ، وراحة ذوي السَّرائر ، وفيها السلامة والميل عن أقوال أهل الملامة ؛ كما قال الشيخ عمر بامخرمة :

بِنْ بخيتْ إنْ بَغِيتَ الدَّهرْ يَمْنَحكْ درَّةْ ... مِلْ مِنَ الخوضْ فيمَا خاضُوا النَّاسْ في أمرهْ
.................. ... ما خَذُوا فيهْ ٱلىٰ يَمْنَهْ فخُذْ فيهْ يَسْرَهْ

---

(1) إيضاح أسرار علوم المقربين ( ص ١٧٩ ) .
(2) ديوان بامخرمة ( ١/ ١٩٨ ) .

إلى أن قال :

| | |
|---|---|
| .................. | والعجبُ في زمانكْ ذا فسُفْ فيهْ وآدْره |
| مِنْ صحبْتهْ وراعيتهْ وجرّيتْ جرّهْ | واحتملت المشقّةْ في شفايتهْ وآمْرهْ |
| ما دَرَىٰ بكْ ولا راعَاكْ في وزنْ ذرّةْ | .................. (١) |

وقال أيضاً في قطع الرَّجاء عنهم والطمع فيهم :

| | |
|---|---|
| بِنْ يزيدِ اقطَعِ الرَّجوىٰ من الخلْقْ مرّةْ | فـأنَّهـمْ ضُعفْ لـوْ كلّفتَهـمْ وزنْ درّةْ |
| مَا استَطَاعُوا فدعْهُمْ وانْظُرَ الله وآمْرَهْ | .................. (٢) |

أي : وانتظر أمر الله فيهم ، واغتنم زمانك وخلوتك بربّك ، ففي غفلة العامة عن الخاصة غاية مطلوبهم ، وصفاهم مع محبوبهم ، واعذرهم في الحقيقة ، فكلٌّ ميسّر لما خلق له ، وقم لهم بما عليك ، وسامحهم فيما لك ، ولله تعالىٰ في إعراضهم عنك حكم وأسرار ، ولو كشف نور العبد العاصي لأهل الأرض.. لعُبد من دون الله ، فكيف بأهل الخصوصيات ؟ ! فكما أعرضوا عنك.. فأعرض عنهم بقلبك ، واعف عنهم واصفح ، واجعل أنسك بربّك ؛ فهـٰذا مغنم الصّادقين ، ومشهد العارفين ، ألحقنا الله بهم حالاً ومآلاً وذوقاً .

## [عليكَ نفسَك]

وقال في « مقال النّاصحين » : ( روي عن الشيخ الجليل أحمد بن سهل الهينني أنه شكا إلىٰ سيّدنا الشيخ الكبير إبراهيم بن عبد الله هرمز رحمهما الله تعالىٰ ، فقال له : يا سيدي ؛ أما ترى الناس وإعراضهم عنا وعن إخواننا

---

(١) ديوان بامخرمة ( ١/ ٣٢٧_٣٢٨ ) .

(٢) ديوان بامخرمة ( ١/ ٣٠٠ ) ، وفيه : ( يالغريب ) بدل : ( بن يزيد ) .

السّادة العارفين ، فهل يفلحون مع هٰذا الجفاء ؟ فقال له : يا أحمد ؛ احفظ للنَّاس ما عليك من الشفقة والرَّحمة ، ولا تطلب ما عليهم ، إن فاتهم حقهم . . فلا يفوتنا نحن حقنا إن شاء الله تعالىٰ ، والعارف يرىٰ ما لا يرون ، فيراهم معذورين ، والعارف أحق بالإعذار والسَّعة من الجاهل ، فكيف وقد قال صلى الله عليه وسلم : « طلب الحرمة من الجاهل محالٌ ، والمرء عدوُّ ما جهله . . . » الحديث ، فقال له : صدقت ، ما أحسنك من معلِّم ! فجزاك الله عنا خيراً ) انتهىٰ[1] .

ولجامع هٰذه الفوائد : [من مجزوء الرمل]

| | |
|---|---|
| ليتَ شعرِي ما لدهرِي | لَمْ يوافِ حقَّ قدرِي |
| قالَ دهري لا تلُمْنِي | إنَّني أوضحتُ سرِّي |
| إنَّ أربابي بِدُنيا | هُمْ كغرقىٰ وسْطَ بحرِ |
| همُّهُمْ جمعٌ ومنعٌ | واتِّجارٌ وتجرِّي |

إلىٰ آخرها .

فهٰذا حال العامة فالواجب الرَّحمة لهم ، وعدم العتب عليهم ، ولا ترىٰ نفسك فوقهم بحال ، وارض بحكم الله فيك وفيهم .

وفي جواب بعض الفضلاء[2] لمَّا طُلب لتولِّي إمامة وفتيا مع ضرورة حاله ، فأبىٰ فضلُه وعلمه ذلك ، فرأى الصبر وعدم الخلطة أولىٰ بحاله ، فأجاب بجواب نافع ، وذكر في الجواب نقلاً عن ابن الوردي هٰذين البيتين : [من الكامل]

| | |
|---|---|
| إني تركتُ عقودَهُمْ وفسوخَهُمْ | وفروضَهُمْ والحكمَ بينَ اثنينِ |
| ولزمتُ بيتِيَ قانعاً ومطالعاً | كتبَ العلومِ وذاكَ زَيْنُ الزَّيْنِ |

---

(١) مقال الناصحين ( ص ١٧٧ ) .

(٢) في هامش ( ح ) : ( هو محمد بن عبد الرحيم الجابري ) .

انتهى[1] . فرضي الله عن الزَّاهدين ، آمين .

وبالجملة ففي العزلة سلامة الدين وراحة القلب وبها الأنس بالله لأهل الله جعلنا الله منهم .

## [الأنس في الوحدة]

وذكر في « الإحياء » في ( كتاب المحبّة والشوق ) نقلاً عن عبد الواحد بن زيد قال : مررت براهب فقلت له : يا راهب ؛ لقد أعجبتك الوحدة ! فقال : يا هٰذا ؛ لو ذقتَ حلاوة الوحدة . . لاستوحَشْتَ إليها من نفسك ، الوحدة رأس العبادة ، قلت : يا راهب ؛ ما أقل ما تجد في الوحدة ؟ قال : الراحة من مداراة الناس ، والسَّلامة من شرّهم ، قلت : يا راهب ؛ متىٰ يذوق العبد حلاوة الأنس بالله تعالى ؟ قال : إذا صفا الودُّ وخلصت المعاملة ، قلت : ومتىٰ يصفو الود ؟ قال : إذا اجتمع الهمُّ فصار همّاً واحداً في الطاعة .

وقال بعض الحكماء : عجباً للخلائق كيف أرادوا بك بدلاً ؟! عجباً للقلوب كيف استأنست بسواك عنك ؟! [من البسيط]

الأُنسُ بِاللهِ لا يحويهِ بطَّالُ ... وليسَ يُدرِكُهُ بالحولِ محتالُ

والآنسونَ رجالٌ كلُّهُمْ نُجُبٌ ... وكلهُمْ صفوةٌ للهِ عمَّالُ[2]

## [معنى الأنس بالله]

وذكر في « الإحياء » قبل هٰذا قال : ( معنى الأنس بالله تعالى استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال ، حتىٰ إنه إذا غلب وتجرَّد عن ملاحظة ما غاب

---

(١) انظر « ديوان ابن الوردي » ( ص ٣٥٧ )

(٢) إحياء علوم الدين ( ٨/ ٥١٢_٥١٤ ) .

عنه ، وما يتطرق إليه من خطر الزوال . . عظُم نعيمه ولذّته )[١] ، ثم ذكر معنى الانبساط والإدلال الذي تُثمره غلبة الأنس بالله ، وذكر قصة برخ الأسود المشهورة ، وكلام أبي حفص لما مشىٰ يوماً فاستقبله رستاقي مدهوش ، فقال له أبو حفص : مالك ، ما أصابك ؟ قال : ضل حماري ، ولا أملك غيره ، فقال أبو حفص : وعزتك ؛ لا أخطو خطوة ما لم تَرُدَّ عليه حماره ، قال : فظهر حماره في الوقت ، فهٰذا وأمثاله يجري لذوي الأنس بالله ، وليس لغيرهم أن يتشبَّه بهم فيه ، انتهىٰ ملخَّصاً[٢] .

## [من نتائج الأنس بالله]

قلت : ولعل من نتائج الأنس ومطالعة الجمال بروز الكلمات الصَّادرة عن المشائخ الكمّل ، التي تؤذن بلسان الشكر وظاهرها الافتخار ، وحقيقتها العبودية والانكسار ، ولهم القدوة بالمصطفى المختار في قوله صلى الله عليه وسلم : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر »[٣] .

قال الإمام القسطلاني في « المواهب » بعد أن ذكر الحديث المذكور : ( لم يقل صلى الله عليه وسلم ذلك عجباً وافتخاراً علىٰ من هو دونه ، بل إظهاراً للنعمة وإعلاماً للأمة بعلو منزلة متبوعهم ؛ لتُعرَف نعمةُ الله عليه وعليهم ، وكذلك العبد إذا لاحظ ما هو فيه من فيض المدد ، وشهده من عين المنَّة ومحض الجود ، وشهد مع ذلك فقره إلىٰ ربه في كلِّ لحظة . . أنشأ له ذلك في قلبه سحائب السُّرور ، وإذا انبسطت هٰذه السحائب في سماء قلبه . .

---

(١) إحياء علوم الدين ( ٨/ ٥١٠ ) .

(٢) إحياء علوم الدين ( ٨/ ٥١٥ ) .

(٣) سنن الترمذي ( ٣١٤٨ ) ، وسنن ابن ماجه ( ٤٣٠٨ ) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

أمطرت عليه وابل الطرب بما هو فيه من لذيذ السُّرور ﴿ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾ فحينئذ يجري على لسانه الافتخار من غير عُجْب ولا فخر ، بل فرح بفضل الله ورحمته كما قال الله تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ فالافتخار على ظاهره ، والافتقار والانكسار على باطنه ، وإلى هذا المعنى يشير قول سيدي العارف الرباني علي الوفائي في قصيدة أولها : [من المجتث]

| | |
|---|---|
| مَــنْ أنــتَ مــولاهُ حــاشَــا | عُــلاهُ أنْ يَتــلاشَــىٰ |
| واللهِ يـــا روحَ قلبِـــي | لا مـــاتَ مـــنْ بـكَ عـــاشَــا |
| قـــومٌ لهُـــمْ أنـــتَ ســاقٍ | لا يَبْـــرحُـــونَ عِطـــاشَــا |
| عبـــدٌ لـــهُ بـــكَ عـــزٌّ | فكيـــفَ لا يَتحَـــاشَـــىٰ |
| حـــاشَــا وفـــاؤكَ يَـــرْمِـــي | مَـــنْ أنـــتَ مَـــوْلاهُ حـــاشَــا |

انتهى من « المواهب اللدنية »[1] ، وامتد الكلام هنا للفائدة وإن لم يكن مما نحن فيه ، غير أن من فوائد العزلة والخلوة الأنسَ بالله تعالى ، رزقنا الله الأنس به ، وجعل لنا نصيباً مما رزق عباده الصَّالحين ، آمين .

## [كيف تعامل أهل الغفلة ؟]

ومن كتاب « مقال الناصحين » قال الشيخ العارف بالله تعالى عمر بن محمَّد بن حميد اليمني في رسالته : ( اعلم : أنَّ هذا الزَّمان قد اختلط فيه الصحة والسقم ، والصِّدق والكذب ، وعمِل كلٌّ برأيه ، وتركَ أمر ربّه ، فهو يعامل الناس بظاهره ، والنَّاس يعتقدون أن باطنه مع ربّه ، فخَوْفُه من سقوط جاهه عند الناس أعظم من خوفه من سقوط منزلته عند الله عزَّ وجلَّ ، فسالِمْ أرباب هذا المقام ، ولا تردَّ عليهم كلمة واحدة في مقام الدِّين ، فإن

(١) المواهب اللَّدنية ( ٣/ ١٢٤ـ ١٢٥ )

سألوك .. فأجبهم بالحق ، وإن سكتوا عنك .. فاغنم السَّلامة ، واحذرهم ولا تستمع إلىٰ أقاويلهم ؛ فهم مغرورون ، بل مسحورون ، ويحرصون علىٰ جمع الدنيا دون الفضائل ، ويحزنون علىٰ ما فاتهم منها ، ولا يبالون بما فاتهم من الدين ، قد سحرهم حب الدنيا ، وحُشيت قلوبهم هموماً وغموماً ، ولم يبق للدِّين في قلوبهم متسع ، يستجهلون من أنفق الدنيا ، ويستخفُّون مَن زهد فيها ، لو رأوا الحق مثل الشَّمس .. ما قبلوه ولا ارتدوا عما هم فيه ، ولو تلَوْتَ عليهم علوم الأولين والآخرين .. لقاموا من عندك وما دخل في قلوبهم مثقال ذرة .

ما أكثر الغرور والزور في هـٰذا الزَّمان ! والله المستعان ، خاصة من يُنْسَب إلى الدِّين ، أو يقال : إنه من أبناء الصَّالحين ، قد مالوا إلى الدنيا غاية الميل ، فكأن العلماء نيام ، والمغرورون منهم في الغرق ، والعوام موتىٰ ، ولله در القائل : [من الكامل]

ذهبَ الرِّجالُ المقتدىٰ بفعالِهِمْ ... والمنكِرونَ لكلِّ أمرٍ منكَرِ
وبقيتُ في خَلْفٍ يزكِّي بعضُهمْ ... بعضاً ليدفعَ مُعْوِرٌ عنْ مُعْوِرِ
أَبُنَيَّ إنَّ منَ الرِّجالِ بهيمةً ... في صورةِ الرَّجلِ السَّميعِ المُبْصِرِ
فَطِنٌ بكلِّ مصيبةٍ في مالِهِ ... فإذا أصيبَ بدِينِهِ لمْ يُبصِرِ )

انتهىٰ من « مقال النَّاصحين »[1] .

وفيه أيضاً قال : ( وعليك ثمَّ عليك بالعزلة عن الناس جملة ، إلا مَن يُعينك علىٰ دينك ، أو يكفيك من الدنيا همك ، فلا خير في الخلطة للناس في هـٰذا الزمن خاصَّة أصلاً ، فانصح لنفسك ، ولا تغتر بكل بطال من أبناء جنسك ) انتهىٰ .

---

(١) مقال الناصحين ( ص ١٤٧ )

## فَصْلٌ

## في التعاطف والتراحم والتوادّ

ومما يدفع النوازل ويكشف البلايا ، ويكمل به السُّرور والعطايا تعاطف الإخوان وتراحمهم ، واجتماع قلوبهم على الخير والطاعة والمودة الصافية ، فبذلك تَنزِل البركات ، وتُدفع البليات ، وتُرفع الدرجات ، وتُستجاب الدعوات ؛ إذ هو الطَّريق الأقرب إلىٰ رفع نوازل الزَّمان ، وطوارق الحدثان ؛ أعني : التآلف والتعاطف بين القرابة والجيران ، وقد عزَّ بل عُدِمَ ذلك في زماننا هٰذا ؛ لغلبة القسوة والجفوة ، فترادفت البلايا والنوازل ، نعوذ بالله من ذلك .

قال الإمام الشعراوي : ( أُخِذَ علينا العهود أن نعلِّم كلَّ من رأيناه في بلاء في هٰذا الزَّمان طريقَ الخلاص منه ، ومن أعظم[1] طريق إلىٰ رفع البلاء النازل على الناس في حارة أو قرية أو زاوية مُصالحةُ بعضهم بعضاً بالبر والإكرام والهدايا ، حتىٰ يحصل الائتلاف والمحبة ، فعند ذلك يرتفع عنهم البلاء كالبرق الخاطف ، وقد عَلَّمتُ ذلك لبعض أهل القرىٰ وكانت بينهم عداوة شديدة فاصطلحوا وتعاطفوا ، فارتفع عنهم البلاء ، وإيضاح ذلك : أن البلاء لا ينزل قط علىٰ قوم وهم علىٰ قلب رجل واحد في الطاعة والخير أبداً ، ولو قُدِّر أن البلاء نزل .. يمكث بين السماء والأرض السنة وأكثر لا ينزل ، حتىٰ تقع بينهم العداوة فينزل .

وقد سئل سيِّدي علي الخواص عن سبب منافرة قلوب الناس فقال : سببه عدم إحسانهم بعضهم بعضاً ؛ فإن الحسنة هي التي تربط بعض القلوب

---

(١) في « البحر المورود » : ( وأعظم ) .

بعض ، وهـٰذا أمر قد أيسنا من وقوعه في الدنيا ، وصار فعل المعروف روايات وأخباراً لا غير ) انتهى ملخصاً بمعناه[1] .

## فَصْلٌ
## في الصَّفح والعفو والتغافل

**واعلم** : أن من أعظم ما يُذهب الأكدار ، ويجلب المسار عدمَ مقابلة أهل الشر بالشر ، بل بالعفو والصَّفح ، والتغافل عنهم ، والصَّبر الكامل عن المقابلة لأهل النُّفوس بالنفوس ؛ فإنَّ ذلك هو الداء العضال ، والهمُّ الذي لا يزال ، فاصبر وصابر خصوصاً في هـٰذا الزمان الفاسد ، الذي غلب فيه الباطل ، وعمَّ فيه الفساد ، وكثر في أهله الحظ وثوران الأهواء والعناد ، فسلِّم تَسْلَمْ ، وتربح وتغنم ، وتكون عافية قلبك عن المقابلة بالأهواء أحسنَ الأدواء ، وأَرْبَحَ في السر والنجوىٰ ، ويهون عليك ما فاتك من دنياك بسلامة قلبك والرضا في عقباك ، وقد أوذي الصالحون والأخيار ، وابتُلوا ببلاء اختبار ، فصبروا ورضوا ، وكانت العاقبة لهم ، فاصبر كما صبروا تظفرْ كما ظفروا ، قال تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ . . . ﴾ الآية ، وقال صلى الله عليه وسلم : « رحم الله أخي موسىٰ لقد أوذي بأكثر من هـٰذا فصبر »[2] .

والقصص مشهورة فيما حصل على الأولياء وخصوصاً أهل البيت من الأذيات والبليات ، والمعاداة من الأقارب والأجانب .

---

(١) انظر « البحر المورود » ( ص٤١١ ) .

(٢) صحيح البخاري ( ٣١٥٠ ) ، وصحيح مسلم ( ١٠٦٢ ) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

## [توجيه الإمام الحداد لمن شكا إليه حاله]

وفي مكاتبات سيدنا الشيخ عبد الله بن علوي الحداد لبعض السادة الأكابر ، وقد شكا إليه أذىً بعض أهل الرسوم له قال : ( وما ذكرتم من أجل كذا فما هناك كبيرُ أمرٍ ، والناس كما تعلم وترىٰ ، وعلىٰ ما هو أكثر من ذلك وأنْكَرُ ينطوون ويضمرون ، فاتّقِ ما بدا منهم وما خفي من فتنتهم وشرورهم بالرفق واللُّطف ، وحسن المداراة عند الملابسة ، واغتنم العافية التي هي أوسع الأشياء ، والسُّكون من أفضل أجزائها كما يقال : السكون عافية ، ولا تأخذ بشيء ولا في شيء أي شيء كان يؤول إلىٰ تحريك الطباع ، وإيحاش القلوب ، ممن لا يتقي عاراً ولا ناراً ، وعامة أهل الزَّمان كذلك ، إلا من رحم الله ، وقليل ما هم ، ولا تغالب ولا تزاحم ، ولا تنازع ولا تخاصم ، واعلم أنا آخذون بهٰذا المأخذ في محلّنا ومع أصحابنا ، وهو أطيب من محلكم وأطهر ، وأكثر خيراً وأظهر ، ولولا ذلك .. لتحرك علينا من شرورهم وفتنتهم ما تضيق به الصُّدور والأماكن ، وينزعج به كلُّ ظاهر وباطن ، فاسمع ولا تجرِّب ، واقبل النَّصيحة عفواً ممن قامت عليه غالية ، وخذها لهٰذه ولغيرها ) انتهىٰ ما ذكره سيِّدنا الشيخ عبد الله .

## [لا يكسف إلا الشمس والقمر]

**واعلم وتحقق** : أنه لا يعادىٰ ويؤذىٰ إلا من خصَّه الله بالفضائل ، وتوالت لديه أحسن الوسائل ، فاعرف نعمة الله عليك .. تَبقَ وتكمُل لديك كما قيل :

[من البسيط]

قلْ للَّذي بصروفِ الدَّهرِ عيَّرنَا ... هلْ عاندَ الدَّهرُ إلا مَنْ لهُ خطرُ

أما ترى البحرَ تعلو فوقَهُ جيفٌ ... وتستقرُّ بأقصىٰ قعرِه الدُّررُ

وإنْ تكن عبثتْ أيدي الخطوبِ بنا ... ومسَّنا مِنْ توالي صرفها ضررُ
ففي السماء نجومٌ ما لها عددٌ ... وليس يكسفُ إلا الشمسُ والقمرُ[(١)]

وكما قيل : [من الكامل]

وإذا الجهولُ طغتْ بهِ غُلَواؤهُ ... فاجعلْ لهُ الحلم الرَّصينَ لجاما[(٢)]

فما أرى المقابلة لذوي الأهواء بأهوائهم إلاَّ تعباً في العاجل ، وندماً في الآجل ، وناراً تحرق ، وندماً يغرق[(٣)] ، فليست المغالبة من شيم الأبطال ، بل هي طريقة الأسافل ومذهب الأنذال ، فنزِّه نفسك أيها الطالب للراحة والسَّلامة ، عن هٰذه الخلة الذميمة الداعية للملامة ، ولا تبال بمن قال فيما قال ، وكما قيل : [من الطويل]

ولستُ أبَالي مَنْ رماني بريبةٍ ... إذا كنت عندَ اللهِ غيرَ مُريبِ[(٤)]

وتأمّل ما قال سيّدنا الشيخ القطب عبد الله بن علوي الحدّاد في القصيدة الفريدة : [من الرمل]

نسماتُ الحيِّ وهناً إذ سرَتْ ... بشذا نجدٍ لروحِي بشَّرتْ[(٥)]

تشم منها روائح الرِّضا والفرح بالله تعالىٰ ، والقناعة بعلم الله ، واجمع الهم ، واشرح الصَّدر عند سماعها ، إلىٰ أن قال :

بَهَتُونَا بمقالٍ سيِّءٍ ... كانتِ الأحرىٰ بهِ لوْ أبصرَتْ
قد حلُمنَا وصفحْنَا عنهُمُ ... وبذا أسلافنا قدْ أخبرَتْ[(٦)]

---

(١) الأبيات للأمير قابوس بن وشمكير ، انظر « يتيمة الدهر » ( ٤/ ٦٩ ) .

(٢) ذكره في « ربيع الأبرار » ( ٢/ ٢٨٨ ) من غير نسبة ، وفيه : ( طمت ) بدل ( طغت ) .

(٣) في غير ( هـ ) : ( مغرق ) .

(٤) ذكره في « محاضرات الأدباء » ( ٣/ ٤٥١ ) ، و« التذكرة الحمدونية » ( ٧/ ١٩٩ ) دون نسبة .

(٥) ديوان الإمام الحداد ( ص ١٢٥ ) .

(٦) ديوان الإمام الحداد ( ص ١٢٧ ) .

ثم إذا وفقك الله لهذه الخصلة الشريفة ، وتخلقت بهذا الخلق السني ، وكظمت الغيظ ، وأعرضت عمن عاداك ، وتغافلت عمن آذاك .. فاحذر من الدسيسة الذميمة ، وهي رؤيتك نفسك فوقه في المقام ، والنظر إليه بعين الاستحقار ، فاحذر من العجب بذلك ، واستعذ بالله من المهالك ، وآحمد الله علىٰ ما هداك ، واشكره علىٰ ما أولاك ، واسأله التَّوفيق ، والهداية لأرشد طريق .

## فَصْلٌ

## في الرِّضا والقناعة

**اعلم** : أنَّ باب السُّرور الأعظم هو الرِّضا عن الله تعالىٰ بما قسم وأعطىٰ ، والقناعة بعلم الله وعدم التَّسخُّط والتشكي بقدر الله ، فذلك موجب للفرح بالله ، والجذل بنظر الله ، فإنَّ الشكوىٰ إلىٰ غير الله تعالىٰ موجبٌ للبليَّة ، ومعظِّمٌ للرزية ، ويُخشىٰ على الساخط علىٰ ربه ، الذي لا يشكر الله فيما ابتلاه زيادةُ بلواه ، وقطع رجواه ، فآرْضَ عن ربك فيما أنت فيه ، وإذا سئلت عن حالك .. فقل : أنا من الله في خير .. تكن في خير ، ويبسط لك الخير ، وإن شكوت إلىٰ عبد للضرورة ، أو إلىٰ صديق ناصح لطلب قضاء حاجة .. فاشهد ربك القاضي لها ، وفوِّض إليه وارض بما قسم الله لك علىٰ يد من جعله واسطة لك في قضائها ، وأعط ربَّك الشكر في البلاء .. يحسن لك القضاء .

قال الإمام الشعراوي في كتابه « البحر المورود » : ( أُخِذَ علينا العهود ألاَّ نمكِّن أحداً من إخواننا يقول لأحد : حالنا اليوم ضيِّقٌ وهو يملك قوت يومه وليلته ، ولا نرخِّصَ له في ذلك القول ، إلا إذا لم يجد الرغيف اليابس ، ثم إنَّ ذلك القول الَّذي نرخص له فيه يكون خطاباً لله تعالىٰ أولاً قبل الخلق ؛ أدباً مع الله ، فقد ورد أن من نزلت به فاقة فأنزلها بالله قبل النَّاس .. أوشك أن

يرسل الله له رزق عامه من حلال ، ثم لا يخفىٰ أن من طلب من ربه زيادة الرّزق طلب منه ربه زيادة العمل ، حتىٰ يصير كالشنّ البالي من الجوع والسّهر ، ثم لا يفي جميع ذلك بشكر نعمة واحدة في بدنه ، كما في حديث العابد الذي عبد الله في جزيرة خمس مئة عام فقال له الحقّ : ادخل الجنّة برحمتي ، قال : يا رب ؛ بل بعملي ، فوزنوا جميع أعماله بنعمة البصر فرجحت ، فأمر به إلى النّار ، فقال : يا رب ؛ أدخلني الجنة برحمتك .

وكان سيدي علي الخواص يقول : لا ينبغي لأحد أن يشكو من ضيق الحال حتّىٰ لا يبقىٰ عنده ثوب زائد ، ولا عمامة ولا شيء من أمتعة البيت ، قال : وأقرب شيء إلىٰ حصول التوسعة على العبد قوله في حال الضيق : « نحن بخير » وإكثاره من مدح ربه علىٰ نعمه التي لا تعد ولا تحصىٰ ، فلا يزال يقول : « نحن بخير » حتّىٰ يكون أوسعَ النّاس حالاً ، ولا يزال من في سعة يقول : « نحن بشر » حتىٰ يكون أضيقَ النّاس معيشة والله بالمرصاد علىٰ أعمال عباده .

حكي أنَّ امرأة كانت ولدت ست بنات متوالية ، فحملت فقيل لها : إن جئت ببنت . . فاحمدي الله ، فقالت : والله ؛ إن جئتُ بأخرىٰ . . لا حَمِدْتُه ، فولدت قردة فأرضعتها سبعة أيّام ، ثم ماتت ) انتهىٰ من عهود المشايخ المسماة بـ« البحر المورود في المواثيق والعهود » للشيخ العارف بالله عبد الوهاب الشعراوي رضي الله عنه .

فاحذر أيها العبد الموفق مِن بث شكواك إلىٰ غير مولاك ؛ فإن ذلك شكوىٰ لربك إلىٰ عبيده الذين لا ينفعونك ولا يضرونك إلا بما قَدَّر وقضىٰ ، وحكم وأمضىٰ ، فتأمل عاقبة ذلك فإنه من المهالك ؛ كما ذكر الشيخ عبد الوهاب فيما مر وأرض بحكم الله ، واطلب العافية من الله لا من غيره .

قال الشيخ ابن عطاء في « التنوير » : [من الكامل]

شكوى الضَّعيف إلىٰ ضعيفٍ مثله ... عجزٌ أقام بصاحبِه علىٰ شفا

ولجامع هذه الفوائد : [من الكامل]

لا تشكُونَّ إلىٰ صديقٍ حاجةً ... وإلى المهيمنِ فاجعلنْ شكواكا
واعلمْ بأنَّ الله مطَّلعٌ علىٰ ... حالَيْك في الضرَّا وفي يسراكا
وإنِ اكتفيتَ بعلمِه فلكَ الهنا ... فعنِ الخليلِ ورثتَ يا بُشراكا

فناد ربَّك في الأسحار بلسان الاعتذار والانكسار ، وقل : [من البسيط]

لبستُ ثوبَ الرَّجا والناسُ قدْ رقدُوا ... وقمتُ أشكو إلىٰ مولاي ما أجدُ
وقلتُ يا أملي في كلِّ نائبةٍ ... ومَنْ عليهِ لكشفِ الضُّرِّ أعتمدُ
أشكُو إليكَ أُموراً أنتَ تعلمُهَا ... ما لي علىٰ حَمْلِهَا صبرٌ ولا جلَدُ
وقدْ مددْتُ يدي بالذلِّ مبتهلاً ... إليكَ يا خيرَ مَنْ مُدَّتْ إليهِ يدُ
فلا تردنَّهَا يا ربِّ خائبةً ... فبحرُ جودِكَ يَرْوِي كلَّ مَنْ يرِدُ[1]

وفي قصيدة الشيخ عمر بن عبد الله بامخرمة التي أولها : [من الطويل]

إليكَ إليكَ القصدُ يا اللهُ يا أحَدْ ... إليكَ إليكَ الوفدُ يا اللهُ يا صَمَدْ
إليكَ فأنتَ الكنزُ والعزُّ والغنىٰ ... وملتجأُ اللاجينَ والذُّخرُ والسَّنَدْ

إلىٰ أن قال :

مددْتُ إليكَ الكفَّ ألتمسُ الغنىٰ ... ولمْ أبغِ نَحْوَ النَّاسِ يا ذا الجلالِ مَدْ

إلىٰ أن قال :

إلىٰ من تكلني يا ملاذي وموئلي ... إلىٰ نفسيَ أهْلِكْ أو تكلِني إلىٰ أحَدْ
مِنَ الخَلْقِ يا ربِّي أضيعُ فلاَ ولاَ ... ولكنْ إليكَ الملتجا والرَّجا وقَدْ
قصَدْتُ بحاجاتِي إليكَ وليسَ لي ... سواكَ وهلْ ربٌّ سواكَ لهَا يُعَدْ

---

(١) الأبيات للإمام أبي إسحاق الشيرازي ، صاحب « المهذب » و« التنبيه » وغيرهما ، انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » ( ٤/ ٢٢٥ )

وكل هـٰذه القصيدة العظيمة المقدار اشتملت على خالص الدُّعاء ومحض الانكسار[1] ، نفعنا الله به وبسائر عباد الله الصَّالحين ، وحققنا بأقوالهم الناطقة عن الحقيقة والوجدان ، ولا جعل حظنا النقل والهذيان .

وكل ما ننقله في هـٰذا الكتاب فمقصودي به تذكير قلبي ، وتفريج كربي ، وكلِّ محبٍّ له حسن ظنٍّ وإقبال ، وتوبة وإنابة واتِّصال .

وبالجملة فكيف لا يرضى العبد عن ربه وهو مشتمل بجميل إنعامه ، وعنده من الإفضال كاملُ أقسامه ؟! فلو لم تكن عنده إلاَّ نعمة الإسلام ، وعافية الأجسام ، وما أعطاه من العقل الشريف . . فقد حَسُن حاله ، وتم كماله وإن عُدِم ماله .

## [عقلك محسوب من رزقك]

قال في « الإحياء » : ( والعجب ممَّن يتعجب إذا رزقه الله تعالىٰ عقلاً وأفقره ممن[2] أفاض عليه من المال من غير علم ، فيقول : كيف منعني قوت يومي وأنا العالم العاقل ، وأفاض علىٰ هـٰذا نعيمَ الدُّنيا وهو الغافل الجاهل ؟! حتىٰ يكاد يرىٰ هـٰذا ظلماً ، ولا يدري المغرور أنه لو جمع له بين العلم والمال . . لكان بالظُّلم أشبه في ظاهر الحال ؛ إذ يقول الجاهل الفقير : يا ربِّ ؛ لِمَ جمعت له بين العلم والمال ؟ ! هلاَّ رزقتني أحدهما .

قيل لعلي : ما بال العقلاء أفقر الناس ؟ فقال : إنَّ عقل الرَّجل محسوبٌ عليه من رزقه .

ومن العجب أن العاقل الفقير ربَّما يغبط الغني الجاهل ، ولو قيل له : هل

(١) انظر القصيدة كاملة في « ديوان بامخرمة » ( ٢/ ٤٢٣ ) .

(٢) قوله : ( ممن ) متعلق بقوله : ( يتعجب ) .

تؤثر جهله وغناه بدل عقلك وفقرك .. لأبىٰ ، فإذاً ؛ نعمة الله عليه أكثر .

مثاله : المرأة الحسناء الفقيرة ترى الحلي والجواهر على القبيحة فتقول : كيف يُحرَم هـٰذا الجمال من الزِّينة وتُخصُّ به هـٰذه القبيحة ؟! ولا تدري أن جمالها محسوبٌ من رزقها ، وأنها لو خيِّرت بين الجمال والمال .. لآثرت الجمال ، وقولُ الحكيم العاقل الفقير : ربِّ ؛ لم حرمتني الدنيا ، وأعطيتها الجاهل .. كقولِ من أعطاه الملك فرساً فقال : أيها الملك ؛ لمَ لمْ تعطني الغلام وأنا صاحب الفرس ؟! فيقول له الملك : كيف كنت لا تعجب من هـٰذا لو لم أعطك الفرس ، فهب أني لم أعطك فرساً ، أصارت نعمتي عليك وسيلة وحجَّة تطلب بها نعمة أخرىٰ ؟!

فهـٰذه أوهام لا تخلو عنها الجهَّال ، ومنشؤها الجهل ، وتزول بالعلم المحقَّق ) انتهىٰ ملخصاً[1] .

فاشكر ربَّك علىٰ ما أعطاك ، وارض بما قسم لك ؛ فإنَّ الشكر قيد النِّعم ، وأَثْنِ عليه سبحانه بما أنعم .

## [الشكر سبب الزيادة]

قال سيِّدنا الشيخ عبد الله في « رسالة المعاونة » : ( واعلم : أنَّ الشكر سببٌ لإبقاء النعم الموجودة ، ووسيلةٌ إلىٰ حُصول النِّعم المفقودة ، قال تعالىٰ : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ والله تعالىٰ أكرم من أن ينزع نعمه عن شاكر ، وقال تعالىٰ : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ أي : بتركهم الشكر عليها ـ ثم قال سيِّدنا عبد الله ـ : وأصل الشكر : معرفة القلب بالنِّعم ، وأنها من الله تعالىٰ وحده ، لم يصل إليه منها شيء بحوله

---

(١) إحياء علوم الدين ( ٦/ ٥٨٧ ـ ٥٨٨ )

وقوّته ، بل بفضل الله ورحمته ، وغاية الشكر : أن تطيع الله بكلّ نعمة أنعم بها عليك ، ومن الشكر : كثرة الثناء على الله والفرح بالنِّعم من حيث إنها وسيلة إلىٰ نيل القرب من الله ، ومن حيث إنها دالَّة علىٰ عناية الله بعبده ، ومن الشكر : تعظيم النعمة وإن كانت صغيرة ، روي عن الله تعالىٰ أنه قال لبعض أنبيائه : إذا سقت إليك حبَّة مسوّسة . . فاعلم أني قد ذكرتك بها ، فاشكرني عليها ، ومن الشكر : التحدث بالنعم من غير خروج إلىٰ ما يوهم تزكية النفس في الدينيات ، والتَّبجُّح بالدنيويات ، والأعمالُ بالنيات ، والخير كلُّه في الاقتداء بالسلف الصَّالح في جميع الحالات )[١] ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ ، ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ .

## [حكايات وحِكَم بليغة]

قال الشيخ علي بن حسام الدِّين الشَّهير بالمتقي في كتابه « تذكار النِّعم والعطايا في الصبر والشكر على الفقر والبلايا » : ( ذكر عن بعض الملوك أنه حبست الريح في بطنه حتىٰ قارب الهلاك فقال : من أزال عني هـٰذا البلاء . . أعطيته ملكي كلَّه ، فسمعه شخصٌ من أولياء الله تعالىٰ فجاءه فمسح بطنه بيده ، فخرجت منه ريح منتنة فشفي الملك حالاً ، فقال : يا سيدي ؛ عزلت نفسي ، فاجلس علىٰ سرير المملكة ، فقال الشَّخص : لا حاجة لي بمتاع قيمته ريحٌ منتنة ، ولكن اتَّعِظْ بهـٰذا ، فالذي تعزَّزْتَ به قيمته هـٰذه ، والعافية مملكة ونعمة لا قيمة لها[٢] ؛ كما ورد في الحديث « من أصبح منكم آمناً في سربه ، معافىً في جسده ، وعنده قوت يومه وليلته . . فكأنما حيزت له الدنيا »[٣] .

---

(١) رسالة المعاونة ( ص١٦٩ـ ١٧١ ) .

(٢) قوله : ( لا قيمة لها ) أي : لا تقدَّر بثمن لنفاستها

(٣) سنن الترمذي ( ٢٣٤٦ ) عن سيدنا عبيد الله بن محصن رضي الله عنه

وجاء فقير إلىٰ بعضهم يشكو فقره . فقال له : أرىٰ عندك جواهر ثمينة ، فكيف تشكو الفقر ؟! فقال : لا والله يا سيدي ، أنا مفلسٌ ، فقال : بعني عينيك بكذا وكذا ، فقال : حاشا ما أبيع ، ثم التمس بيع اليد والرِّجل ، قال : ما أبيعك، قال : هٰذه هي الجواهر التي أردتُ معك[1] ، فانتبه الفقير واستغفر ورجع .

وشكا رجلٌ إلىٰ بعضهم كثرة عياله فقال له : انظر أيُّهم ما كتب في ديوان المرزوقين فأخرجه من بيتك ، ففهم المقصود وانتبه .

ومرَّ عمر بن الخطاب بمبتلىً أجذم أصم أعمىٰ أبكم وهو يبُول فقال لمن معه : هل ترون في هٰذا من نعم الله تعالىٰ شيئاً ؟ قالوا : لا ، قال : بلىٰ ، ألا ترونه يبول فلا يعتصر ولا يلتوي، فيخرج بوله سهلاً ، فهٰذه نعمة من الله تعالىٰ .

ومرَّ عيسىٰ عليه السلام بأعمىٰ مقعد قَطَّعه الجذام ، السَّماء من فوقه ، والوادي من تحته ، والثلج عن يمينه ، والبرد عن يساره وهو يحمد الله فقال له عيسىٰ عليه السلام : علام تحمد الله تعالى وهٰذا حالك ؟! فقال : أحمد الله إذ لم أكن الساعة ممن يقول : إنك إلـٰه ، أو ثالث ثلاثة ) انتهىٰ ملخصاً .

## فَصْلٌ
## في فضيلة الزُّهد

وأصل السُّرور والراحات والسَّلامة من الآفات الزُّهد في الدُّنيا ، وتقليل علائقها ، وعدم الحرص عليها ، والقناعة باليسير منها ، فهٰذا أصل الخيرات ، وبه تنشرح الصُّدور ، وعليه الشأن يدور ، والآيات في ذم الحرص عليها والحب لها كثيرة ، والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصر ، قال صلى الله عليه وسلم : « حب الدُّنيا رأس كلّ خطيئة »[2] .

---

(١) في (أ) : (منك) .

(٢) شعب الإيمان للبيهقي ( ١٠٠١٩ ) عن الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ

**واعلم** : أنَّ الزهد في الدُّنيا لأهله نعيم عاجل ، ولا يستطيعه إلا من شرح الله صدره بإشراق أنوار المعرفة واليقين ، قال صلى الله عليه وسلم : « إنَّ النُّور إذا دخل القلب . . انشرح له الصَّدر وانفسح ، قيل : فهل لذلك من علامة ، قال : التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلىٰ دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله »[1] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الزهادة في الدنيا تريح القلب والبدن ، والرغبة فيها تُكثر الهم والحزن »[2] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ازهد في الدنيا يحبّك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس »[3] .

وأصل الزهد معرفة القلب بحقارة الدنيا وخستها ، وأنها لو كانت تزن عند الله جناح بعوضة . . ما سقىٰ كافراً منها شربة ماء ، وأنها ملعونة ملعونٌ ما فيها إلا ما كان لله تعالىٰ ، وأن من أخذ منها فوق ما يكفيه . . أخذ حتفه وهو لا يشعر .

وثمرة هٰذه المعرفة المقصودة منها ترك الميل إلى الدنيا باطناً ، وترك التنعُّم بشهواتها ظاهراً .

وفي كتب الأئمة العارفين في ذلك الغنية والكفاية ؛ مثل كتب حجة الإسلام ، وكتب سيدنا الشيخ عبد الله بن علوي الحدَّاد ؛ مثل : « كتاب

(١) المستدرك ( ٤/ ٣١١ ) ، وشعب الإيمان للبيهقي ( ١٠٠٦٨ ) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

(٢) الزهد للإمام أحمد ( ٥١ ) ، وشعب الإيمان للبيهقي ( ١٠٠٥٤ ) عن طاووس رحمه الله تعالىٰ .

(٣) المستدرك ( ٤/ ٣١٣ ) ، وسنن ابن ماجه ( ٤١٠٢ ) عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنه

« النصائح الدينية » و« الدعوة التامة » و« رسالة المذاكرة » ، وكلها نافعة للخاص والعام ، وكلامه في « الديوان » ترياق القلوب ، ومسلاة الكروب ، وكلُّ « ديوانه » رضي الله تعالىٰ عنه تزهيد في الدُّنيا ، لا تخلو قصيدة غالباً عنه ، وسنذكر من غرر قصائده التي كلها غرر أبياتاً تشير إلى الزهد ، وما فيه ذمُّ الحرص آخر الكتاب إن شاء الله .

والحاصل : أنه لا راحة للحريص عليها ؛ إذ لا سكون ولا ركون إليها ، تمضي أوقات محبِّها في كدر وهموم ، وساعاته في عناء وغموم ، فطوبىٰ للزاهدين ، استعجلوا الراحة ، وأحسنوا الظن بمولاهم ، وحققوا فيه رجواهم ، فأحسن عقباهم ، كما قال سيِّدنا الشيخ عبد الله :

والمـواهِـبُ جميعـاً والمِنَـنْ تحتَ حُسْنِ الرَّجا فاحطط هُنا[1]

ولجامع هٰذه الأحرف : [من الطويل]

عليك بحسـنِ الظـنِّ فـي الله إنَّـهُ يُنِيلُكَ ما ترجوهُ في الدينِ والدنْيا

ولا تخشَ منْ فقرٍ وضرٍّ وحاجةٍ وخذْ منْ فعالِ الخيرِ بالهمَّةِ العُلْيَا

وفي « مقال الناصحين » بعد كلام يتعلق بالزهد قال : ( فانصح لنفسك ، واقطع عنها علائق الدُّنيا وشواغلها كلها ؛ فالدُّنيا بأنواعها وزينتها وزهرتها شاغلة للقلب ، ملهية عن ذكر الربِّ البتة قطعاً ، لا يدَّعي القوة عليها ، والسلامة من آفاتها مع الخوض في غمراتها إلا مغرور مفتون ، قد زيِّن له الشيطان سوء عمله فرآه حسناً .

ثم قال : وفي الحديث : « مَن زهد في الدنيا . . علمه الله بلا تعلُّم ، وهداه بلا هداية » ، وفي هٰذا بشارة جميلة للزاهدين ، فكم رجل أوتي زهداً

---

(١) ديوان الإمام الحداد ( ص٥٣٠ ) .

فوهبه الله بسببه المواهب الجليلة ، وأعطاه العطايا الجزيلة ) انتهى[1] .

وعليك بمجالسة الزاهدين والفقراء المقلّين ، والسُّؤال عن أحوالهم ، وتنفيس كرب أهل الحاجة والضرورة بالبذل والإيثار ، وفعل ما تقدر علىٰ فعله إن كنت من أهل اليسار بما ساعدتك به الأقدار ، والدُّعاء لهم والاعتناء بهم ، وتحسين رجائهم في ربِّهم ، وتبشيرهم بالفرج ، وزوال الضيق والحرج ، وما لهم من الثواب وحسن المآب إن كنت من أهل الإقتار والإعسار .

واحذر مما يبتلىٰ به أكثر أهل الدُّنيا المبتلين بمحبتها والحرص عليها ، وهو كراهة مجالسة المقلِّين المحتاجين من المؤمنين ، وغلبة سوء الظنّ عند الاجتماع بهم ، بأنَّ هـٰؤلاء طامعون فينا ، وناظرون إلينا ، واستثقالهم وكثرة الخواطر السيئة في ذلك ، فهـٰذا سمٌّ قاتل ومُذْهِبٌ نورَ الإيمان ، وسببٌ لسلب النعمة التي خوَّلها هـٰذا المسكين المغرور ؛ جاهاً أو مالاً ، نعوذ بالله من ذلك ، ونسأله السَّلامة من شرور الدُّنيا وآثامها وغرورها وتبعاتها .

## [تثبيط الشيطان لمن أراد البذل]

**واعلم** : أن من خدع الشيطان ومكره وحسده للمتوجهين إلى الله تعالىٰ بفعل الخير وسخاوة النُّفوس أن يهيىء لهم شراء الضِّياع والعقارات ؛ ليستحقروا نعمة الله تعالىٰ عليهم ، ويدخل عليهم الشحَّ والبخل من جهتها ، ثمَّ إذا خطر له حينئذ خاطر الخير بصدقة أو حسنة . . قال في نفسه : ذمتي مرهونة ، وهي مرهونة في الاستكثار وطلب سعة المال ، وطول الأمل المحبط للعمل ، ويرىٰ أنه فقير محتاج وهو في طمع ظاهر ، وهو الفقر الحاضر ، ولو قنع بما منحه الله تعالىٰ . . لاستراح وأراح ، وجادت نفسه بطلب أرباح

---

(١) مقال الناصحين ( ص٨٧ )

الآخرة ، وعزفت عن هذه الأطماع البائرة ، وما أحسن قول سيدي الشيخ عمر البار ، الجامع للأسرار والأنوار : [من الطويل]

خذِ السَّهل واقنعْ تستريحْ من العنا    وعوّلْ علىٰ مولاك في الدينِ والدُّنا

ولقد مررت يوماً علىٰ قطعة من المال قد بعتها ، فحسُنت وزادت ونمت لمشتريها ، بحيث إنَّ النَّفس تميل وتلتفت بحكم الطبع إليها ، فأنطقني الله حالاً بهذه الأبيات : [من الكامل]

يا قلبُ لا تجزعْ علىٰ ما قدْ مضىٰ    أو فاتَ مِنْ دارِ الغرور[1] الفانيةْ
كلاً ولا تحرصْ عليهَا إنَّهَا    عمَّا قليلٍ كلُّهَا متلاشِيَةْ
وإذا بُليتَ بشدَّةٍ أو عُسرةٍ    فاصبرْ هُديتَ فإنَّ دهرَكَ ماضيةْ
واطلبْ مِنَ المولى الجمَالةَ دائماً    فهيَ المرادُ وعفوُهُ والعافيةْ
واقنعْ بميسورِ المعاشِ فإنَّهَا    أعني القناعةَ خيرُ عِيشةٌ راضيةْ
وازهدْ بقلبكَ تستريحُ وشمِّرَنْ    ذيلاً لأيَّامٍ طوالٍ باقيةْ

والتوفيق من الله تعالىٰ ، ونسأله أن يحققنا بما نقول فعلاً وحالاً ، ويرزقنا حسن اليقين ، وأن يحشرنا مع الصادقين ، آمين .

## [من أخلاق السلف الصالح]

وفي « تنبيه المغترين » للإمام الشعراوي قال : « ومن أخلاقهم رضي الله تعالىٰ عنهم عدم خوفهم من ضياع ذريتهم من بعدهم ، ولذلك كانوا ينفقون كل ما دخل في أيديهم من الدنيا ، ولا يدَّخرون شيئاً ، ولو أنهم خافوا ضياع ذريتهم . لَحَكَم عليهم الحرص والشح ، وخرجوا عن طريق القوم ، وفي الحديث : « الولد مَبْخَلة مَجْبَنة » أي : يدع أباه بخيلاً جباناً عن الجهاد

---

(١) في ( د ) : ( الهموم ) .

وغيره ، قال صلى الله عليه وسلم : « مالُك ما قدَّمت ، ومالُ غيرك ما أخرت » وقال الحسن البصري : انفق يا بن آدم ، ولا تغرنك السِّباع الضارية حولك ؛ ابنك وحلائلك وخادمك ، فإنَّ ابنك مثل الأسد ينازعك فيما في يديك ؛ ليختصَّ به دونك ، فلا هو يتصدق به عليك ، ولا هو يدعه في يديك لتنفق منه في مرضاة الله عز وجل ، وأما حلائلك . . فمثل الكلب في البصبصة والهرير ، وأما خادمك . . فمثل الثعلب في الحيل والسرقة ، فلا تطلب المحبة من هٰؤلاء ، وتدخر مالك لهم ، وتُوقِرْ ظهرك ؛ فإنَّهم إنما هم معك علىٰ علالة ، فإذا ألحدوك . . رجعوا إلىٰ بيوتهم ، فبخروا الثياب ، وعانقوا النساء ، وبطروا بمالك وحسابه عليك .

وقال أبو حازم : أنفقوا ولا تخشوا الضيعَة علىٰ أولادكم ؛ فإن كانوا مؤمنين . . فيرزقهم الله بغير حساب ، وإلا . . فلا تساعدوهم على الفسق بمالكم .

وكان سالم بن أبي الجعد ينفق كل ما يملك ، فلامته امرأته فقال : لأن أذهب بخير وأترككم بشرٍّ أحبُّ إليَّ من أن أذهب بشرٍّ وأترككم بخير .

وقال محمد بن يوسف : أنفق علىٰ أخيك الصَّالح ؛ فإنَّه خير لك من ورثتك ، فإنَّه يدعو لك وأنت تحت أطباق الثرىٰ ، حتىٰ ربَّما تُبْعَث وما عليك ذنب بدعائه ، وأمَّا ورثتك . . فيقتسمون مالك وينسونك ، ولا يرون لك منَّة عليهم ، ويقولون :

إن الله سبحانه وتعالىٰ جعل لنا ذلك .

وكان مالك بن دينار لا يقتني في بيته إلا الإبريق والحصير والمصحف ، وجاءه شخصٌ بركوة جديدة فقال لآخر : خذ هٰذه الركوة فإنها شغلت قلبي خوفاً أن تسرق .

وقال الحسن البصري : دخلت علىٰ فقير فرأيت عينيه قد غارتا من الجوع ، فقلت له : خذ هٰذين الدرهمين ، فاشتر بهما شيئاً وكله ، فقال : في

قدرة الله تعالىٰ أن يقوّيني علىٰ قيام هـٰذه الليلة بلا طعام ، وأخاف أن يبيتا عندي فأموت ولم أشتر بهما شيئاً ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يجدوا في بيته ديناراً ولا درهماً .

ولما حضرت محمد بن كعب القرظي التابعي الجليل الوفاة . . أنفق ماله كلَّه فقيل له : هلاَّ ادَّخرت شيئاً لذريتك . . فقال : ادِّخاره لنفسي أولىٰ ، وادَّخرت لذرِّيتي فضلَ ربي .

ولما حضرت الحسن البصري الوفاة . . قال لامرأته : هاتي الدِّرهمين اللذين عندك فأتته بهما ، فتصدق بهما وقال : أخاف إن متُّ وهما عندي أن تحرقني النَّار .

وقال يحيى بن معاذ : يخاف أحدنا فضيحة الدنيا وفقرها ، ولا يخاف فضيحة الآخرة وفقرها ، مع أن فقر الإنسان من الأعمال الصَّالحة في الآخرة يكون به أشدَّ خجلاً من النَّاس ، فبئس ما فعلنا .

وقال أيضاً : هَمُّ النفقة والأكل والشرب قد منع قلوب الغافلين عن كلِّ خيرٍ ، ودرهم يتصدق به الإنسان في حياته خير له من ألف دينار بعد موته .

وقال المدائني : توريث الأولاد الأدبَ خير لهم من توريث المال ) انتهىٰ من « تنبيه المغترين » ملخصاً [١] .

وقال أيضاً في « البحر المورود » : ( أُخِذَ علينا العهود ألاَّ نمكن إخواننا من مدِّ أعينهم إلىٰ زينة الدنيا وأحوال أهلها فيها في ملابسهم ومراكبهم ومآكلهم ونظامهم ؛ فإنَّ الدُّنيا حلوة خضرة ، وربمَّا ازدرى الإنسان نعمة الله تعالىٰ عليه برؤية ما هم فيه من النِّعم ، فيعرِّض ما بيده من النعمة للزوال بقلة الشكر ، فاعلم ذلك ) انتهىٰ [٢] .

---

(١) تنبيه المغترين ( ص٤١ـ ٤٢ ) .

(٢) البحر المورود ( ص٣١٣ ) .

وهـذا من خاتمة علىٰ بعض الكتب التي جمعناها أحببت نقلها هنا وهي : قلت : وما الدُّنيا وما عسىٰ أن تكون ؟! هل هي إلا هموم وغمومٌ ، وفتن ومحنٌ ، وإحن في العاجلة والآجلة ؟! وخصوصاً في زماننا هـٰذا زمان القرن الثاني عشر ، تجد صاحب المال أتعب الناس جسماً وقلباً ، وأفقدهم ذهناً ولبّاً .

قال سيّدنا الشيخ رأس المحبين ، وترجمان العاشقين ، عمر بن عبد الله بامخرمة في بعض أنفاسه النفيسة في ذمِّها وكثرة همِّها ، قال رضي الله عنه :

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . إيشْ أنت غابطْ بذي هُمْ يكنزُون الذَّهبْ

وربِّكْ أنّ أهلَهْ أكثرْ حالهُمْ في التَّعَبْ وهَمُّهُمْ جَمْ وآخرْ عاقِبَتْهُمْ عَطَبْ

ومَنْ طلَبْ جاهْ وأظهرْ نومسَهْ وانتصَبْ فقُلْ لَهُ أنَّ المناصِبْ ما هِيَ الاَّ نَصَبْ[1]

وأتْبَعَ بذمِّ الجاه لأنه منها[2] .

وقال رضي الله عنه :

عَذْبْ لاَ كانَتِ الدُّنيا ولا مَنْ بِها فَاشْ لا ولا عاشْ يا عذبَ اللَّما مَنْ بها عاشْ

فإنَّها لاَشْ والرَّاكِنْ إلىٰ ظلِّها لاشْ . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

ما هيَ الاَّ مَناوِخْ للبَلاَيا والأَوْناشْ . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

فالنَّجا أنَّ النَّجا في مَجِّها يا أهلَ الاجناشْ . . . . . . . . . . . . . . . . . . .[3]

أشار بقوله : ( في مَجِّها ) أي : إخراجها من القلب والزُّهد فيها ، وأطال

---

(١) ديوان بامخرمة ( ١/ ٩٧ ) .

(٢) في ( ج ) ( د ) : ( أتبع بذي الجاه ) ، والمعنىٰ : أن الإمام بامخرمة رحمه الله أتبع ذمَّ أهل الدنيا بذمِّ الجاه ؛ لأن الجاه من الدنيا ، والله تعالىٰ أعلم

(٣) ديوان بامخرمة ( ١/ ٣٩٢ ) ، وفي هامش ( أ ) : ( أي : العقول ) شرحاً علىٰ قوله ( الاجناش )

إلى أن ختم القصيدة في ذمها والتحذير منها ، وكانت له اليد الطولى ، والقِدْح المُعلّى في تركها والزُّهد فيها ، رضي الله عنه ، ونفعنا به ، آمين .

## فَصْلٌ

## في فضل زيارة الصَّالحين

ومما يجلب السُّرور وبه تنكشف الكروب ، وتغفر الذنوب زيارة الصالحين الأحياء والميتين ، والعكوف علىٰ مشاهدهم ، والمواجهة لضرائحهم بحسن القصد وصالح النية وكمال التعظيم والأدب والتفخيم ، وشهود أنَّهم فيها حاضرون، أحياء عند ربِّهم يرزقون، وقد خص الله هـٰذا الوادي المبارك بالعترة النَّبويَّة، والعصابة العلويَّة ، الجامعين للشرفين ، الشاربين من الكأسين ، جامعي العلم والعمل ، وخصوصاً الغنَّاء تريم ، التي هي من خير بلاد الله بعد المساجد الثلاثة ؛ كما قال سيدنا الإمام عبد الله ، فقد اجتمع في جِنان بشار منها ما لم يوجد في غيرها من بلاد الله من الأقطاب والأوتاد ، والأئمة العارفين الأمجاد ، ما لم يحصره حد ولا قدر ، ولا يدخل تحت الضبط والحصر .

فقد نُقل عن الشيخ القطب السقاف أن في تربة الفريط أو فيها جميعاً أربعة آلاف موصل إلى الله ، فهـٰذا في زمانه رضي الله عنه ، وأما بعده .. فقد دفن فيها ألوف عديدة ، فلله الحمد علىٰ مَا خصَّ به هـٰذه البلدة ، التي هي دائرة شمس أهل الإيقان والعرفان ، ومحط السادة الأعيان ، فلا شيء أنفع للقلوب ، ولا أدفع للكروب ، ولا أوصل لكلِّ مطلوب من زيارتها والنُّزول بساحتها ، والعكوف بين تلك الضرائح المنيرة ، وجمع الهمِّ بالأدب بتلك الجنان الشهيرة ، كما قال سيِّدنا الشيخ عبد الله الحداد :

علىٰ بشَّارَ جادتْ سحائِبُ رحمةِ البَرْ ... وحيَّاهمْ بروحِ الرِّضا ربِّي وبشَّرْ
بها ساداتُنا والشيوخُ العارفونَا ... وأهلُونا وأحبابُ قَلبي نازلونَا

ومَنْ هـمْ في سرائرْ فؤادِي قاطنونا بساحةْ تربها منْ ذكيِّ المسكْ أعْطرْ

منازلْ خيرْ سادةْ

لكلِّ الناسْ قادَةْ

محبَّتهُـمْ سعادَةْ

ألاَ يا بخْتْ منْ زارَهمْ بالصِّدقِ وأنْذرْ إليهِمْ مُعْتَنِي كُلّ مطلوبُهْ تَيسَّرْ[1]

وقد خصَّ الله عصرَنا بشيخنا الإمام الجامع لأسرارهم ، الحامد بن عمر الحامد ، وغمر الله الخاص والعام بزيارته الجامعة النافعة ، وكانت له عند المشاهدة والمواجهة إشاراتٌ وبشارات ، واستغراقات في عين الشهود والجمعيَّات ، وله بها اعتناءٌ عظيم ، وله فيها مشهدٌ جسيم ، ويتكرر خروجه إليها ويعوِّل في كل أحواله عليها ، وهي عنده من أجل الطرائق ، الموصلة إلى اجتناء الحقائق ، ولمَّا كبر سنُّه أمتع الله به . . زاد شوقه وتردده ، ورتب يوم الجمعة والثُّلاثاء ، ويحضر زيارته الجمُّ الغفير . . حتَّىٰ أن الواصل من الجهات يتحرىٰ زيارته ، ويغتنم إشارته .

ثم لمَّا قدر الله لنا بعض الزيارات . . طلبنا منه رضي الله عنه أن يثبت لنا ترتيب زيارته من ابتدائه بالفقيه ، ومن يذكرهم ويزورهم ، ويرتب لهم القراءة والفاتحة ، فكتب ما مثاله :

## [ترتيب زيارة الإمام الحامد بن عمر لمقبرة تريم]

الحمد لله وصلى الله علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ وآله وصحبه وسلَّم ، ولما كانت زيارة القبور ورد بها الأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد النهي عن زيارتها ؛ ففي الحديث : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ؛ فإنَّها

---

(١) ديوان الإمام الحداد ( ص٢٢٦ ) .

تذكّركم الآخرة »[1] فالمقصود الأكبر من الزّيارة ذكر الآخرة ؛ لكون القبر أوّل منزلٍ من منازلها ، كما ورد في الحديث[2] ، وما يلوح ويحصل من بركة الزيارة من الاعتبار والادّكار بما صاروا فيه من الرموس المحصورة الضيّقة ، وتغير تلك الصور والأجسام ، وصيرورتها تراباً مع بقاء الأرواح ، وتفاوتها في السعة والضيق في عالم البرزخ ، ومعاودتها لحقائق الأجسام ، وإن كانت قد بَلِيَت في الظاهر . . فلها وجود برزخيٌّ في الباطن ، تتأثّر وتتنعم بالأنوار ، وتتألم وتتشوش بالأكدار .

وأما زيارة الأنبياء والشهداء ، والعلماء والصّالحين . . فيُستَمَدُّ من بركتهم ، ويُتوجه ويُتوسَّل بهم في إفاضة الخيرات ، ودفع المضرات ؛ إذ هم الأحياء المرزوقون في برازخهم بقول الربّ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ فيُخلِص الزّائر عند زيارتهم ، ويُعْلِي الهمة ويُعْظِم الرغبة ، ويحقق بنيل النفع وقبول المسألة والدعوة ، كما أشار إلىٰ ذلك الشيخ علي بن أبي بكر في قصيدته المتعلقة بزيارة النبي هود بقوله : [من الطويل]

ونيلَ المنىٰ حقِّقْ بربْعٍ بهِ الورَىٰ ... تغـاثُ وللـوُرَّادِ أعـذبُ منهـلِ

ولما قسم الله بفضله لنا الفراغ ، وتيسير الكفاف والكفاية في التعلقات والدَّوائر بالأولاد ، وقرَّت العين واطمأن الخاطر باعتنائهم . . رسمنا زيارة للتربة للوالدين والأولاد ، والأرحام والقرابة ، والدور علىٰ مشاهد الأولياء الأكابر زيارة يوم الجمعة ويوم الثلاثاء في الغالب ، فنخرج من البيت ونركب الدابة ، وفي ذلك اعتبار وتذكير بالخروج والركوب والجهاز الصدقي الحقيقي

---

(١) صحيح مسلم ( ٩٧٧ ) ، وسنن الترمذي ( ١٠٥٤ ) عن سيدنا بريدة الأسلمي رضي الله عنه
(٢) المستدرك ( ١/ ٣٧١ ) ، وسنن الترمذي ( ٢٣٠٨ ) عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه

بعد الموت ، والغالب التحفظ في الطريق إلى الزيارة بالذكر والدُّعاء ؛ كالخروج إلى الصلوات ، فإذا شاهدنا المقابر .. سلمنا عليهم خصوصاً وعموماً بنحو : ( السلام عليكم يا أهل القبور ، يغفر الله لنا ولكم ) وما حضر ممَّا ورد مما هو مذكورٌ في الزيارة ، فإذا وصلنا مقبرة زنبل ، وشملتنا بركاتها .. واجهنا الشيخ الأكبر الفقيه المقدَّم ، وبدأنا بزيارته كما هي طريقة سلفنا الصالح ، ونتمثل حضرة المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم التي كل حضرة مندرجة في حضرته ، فهو الأصل والفصل ، وحضرة النبيِّين والأولياء والصالحين خصوصاً وعموماً ، ونجلس ما شاء الله في قراءة ( يسٓ ) ، و( تبارك ) ، و( الفاتحة ) ، و﴿ الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ إلىٰ ﴿ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ ، و( آية الكرسي ) ، و﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ، و﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ . . . ﴾ إلىٰ ﴿ فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ، وما تيسَّر من تكرير ( قل هو الله أحد ) والتهليل والصلاة على النَّبي صلى الله عليه وسلم ، وندعو ونبتهل ونطلب القبول من فضل الله ، ونهب ثواب ذلك إلىٰ حضرته صلى الله عليه وسلم أولاً ؛ إذ هو الأوَّل والآخر ، ثم إلىٰ حضرة الفقيه المقدَّم المقصود ، والوالدين ومن جمعنا بسبب الزِّيارة ، وننهض لزيارة إبنه وخليفته علوي ، ونقوم عند ضريحه ونقرأ وندعو ، وما تيسَّر من التهليل والصَّلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ونهب ثواب ذلك علىٰ ما سبق ، ثم نعطف علىٰ ضريح الشيخ عبد الله باعلوي والشيخ عمر بن أحمد المنفر ، ونقوم وندعو ونتوسَّل كما سبق ، ثم إلىٰ ضريح الشيخ المقدَّم الثاني عبد الرحمـٰن السقاف ، ونجلس مواجهين الضريح ونقرأ ( يس ) وما سبق من قراءة الآيات والدَّعوات والتهليل والصَّلاة على النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وحوله والده محمد مولى الدَّويلة ، وأبوه الشيخ علي بن علوي بن الفقيه ، والشيخ حسن الورع ، والنقيطي محمد بن عبد الله بن الفقيه المقدَّم ، والغيير محمَّد بن عبد الرحمـٰن بن الفقيه

المقدّم ، والحبيب أحمد بن عمر الهندوان وأولاده ومن حوله ، والحبيب عبد الرحمـٰن بن عبد الله بلفقيه ، ووالده عبد الله بن أحمد بلفقيه .

وقد نستحضر الشيخ علي بن علوي خالع قسم ، وقد نُشْبي نزوره ومن حوله ، وبعد ذلك نزور بالمواجهة مولىٰ عيديد محمد بن علي ووالده الفقيه علي بن محمَّد ، والفقيه أحمد بن عبد الرحمـٰن ابن عمّ الفقيه ، ثم ننقلب إلىٰ مواجهة الوالد عمر وزيارته مع من معنا ، وقد نقدم زيارته الخاصة وقد نؤخرها ، هو وأولاده علوي ومن حوله وكلُّ الأقارب من والد وأولاد ، والشأن علىٰ ما سبق من الدّعاء واللجاء .

ثم نواجه أهل الرَّصة الجميع : شيخ بن سقاف، وشيخ بن العيدروس ومَنْ بَعدَهم ، ثم نقف في قيام في حضرة الشيخ الإمام عمر المحضار ببسطٍ أو باختصار ، ثم نصل إلىٰ دكة قبّة العيدروس ، فنواجه أهل الفريط ومشايخها والخاصّة لنا ؛ من مؤذّنٍ وَمُعَلّم ومتعلق ، وعموم أهل المقبرة ، وندخل إلىٰ قبة الشيخ العيدروس ، ونقف ونجلس تجاه ضريحه الشريف ، ونقرأ ( يسٓ ) وما تيسَّر معها كما ذكرنا من القراءة والدّعاء والتهليل .

ثم نخرج منها إلىٰ زيارة قبر الشيخ قطب الإرشاد عبد الله بن علوي الحداد ، ونثقّل في زيارته ، ونزيد قراءة ( تبارك ) بعد ( يسٓ ) والآيات والتهليل والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا انتهت.. عطفنا علىٰ قرابته ،فنبدأ بالحبيب حسن وزوجته أم أولاده وأولاده أحمد وإخوانه ، ونستحضر الوالد عمر ؛ إذ هم كالحال الواحد .

وبعد نتوجه إلىٰ زيارة الإمام الشيخ عبد الله بن شيخ ، وهو المقصود ، ومن شملته القبة من أولاده وأحفاده ، ونمر علىٰ قبر جدتنا مريم الشيخة بنت الشيخ محمَّد العيدروس كما أمرَنا الوالد بزيارتها ، ونزور الشيخ عبدَ الله وأخاه محمَّد ابني أحمد بن حسين العيدروس ، ونخرج إلىٰ قبر الشيخ أحمد بن

علوي باجحدب وصاحب «الغُرر» حرد ، ونزور في توجهنا إليه قرابةً وخاصَّةً ، والشيخ سالم بن عبد الله ، وكذلك بعد زيارته الحبيب عبد الرحمـٰن بارقبة ، والحبيب زين الحبشي ، ونستحضر ونتذكر ممن عاصرونا من أهل الخمول من الصَّالحين ، وقد نعود إلىٰ مواجهة ضرائح السادة الذين زرناهم ، ونقوم حول قبر الوالد عمر ، ونستحضر السادات وأهل البرزخ علىٰ ما هنالك ، وقد نأتي في الغالب بقول الشيخ عبد الله :

علىٰ بشارٍ جادتْ سحائبُ رحمَةِ البرّ    وحيَّاهُمْ بروحِ الرِّضا ربِّي وبشَّرْ

إلىٰ آخرها[1] .

وقوله :

يا أهلَ البرازخْ برزخِ السلامَةْ    ..................[2]

ونختم الزِّيارة ، وقد نخرج وقد نتخلف بأنفسنا ؛ لتمام زيارة الخاصة ، والله يتقبَّل ويتمُّ عونه ، انتهىٰ ما كتبه شيخنا الحامد رضي الله عنه ونفعنا به ، آمين .

## خَاتِـمَةُ القِسْمِ الثَّاني

### فيما يتعلق بالقهوة

الحمد لله علىٰ ما صفَّىٰ من السرائر ، وغمر من النِّعم ، وأباح وأتاح ما يُدفع به كلُّ همٍّ وغمٍّ ، وبه تُرفع الحجب وتكشف السواتر ، وذلك بالشراب الطاهر ، الذي شربه العارفون الأكابر ، ورأوه عوناً علىٰ صفاء البواطن

---

(١) انظر « ديوان الإمام الحداد » ( ص٢٢٦ ) .

(٢) هذا صدر بيت للإمام الحداد رحمه الله تعالى ، والبيت بتمامه :

يا أهل البرازخ برزخ السلامة    والروح والريحان والكرامة

انظر « ديوان الإمام الحداد » ( ص ٢١٢ ) .

والطواهر ، المسمّى بالقهوة ، التي هي للقلوب سلوة ، وفيها على الخير عون وقوة ، وصلى الله وسلم علىٰ سيّدنا محمَّدٍ الذي هو للمقتدين خير قدوة ، وآله وصحبه الذين بهم الأسوة .

## [المُفْتون بحِلِّ شرب القهوة]

**ثم اعلم** : أيها القلب المكروب أنَّ هٰذه القهوة قد جعلها أهل الصَّفاء مجلبة للأنوار والأسرار ، مذهبة للأكدار ، وقد اختُلف في حِلِّها أوَّلاً ، وحاصل ما رجحه الشيخ ابن حجر في « شرح العباب » بعد أن ذكر أنها حدثت في أول القرن العاشر : أن للوسائل حكم المقاصد ، فمهما طبخت وسيلة للخير . كانت منه ، وبالعكس ، فافهم الأصل .

وممَّن أفتىٰ بحِل القهوة شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، والشيخ عبد الرحمٰن بن زياد الزبيدي ، والشيخ زروق المالكي المغربي ، ومصنف « القلائد » عبد الله بن سهل باقشير ، والعلامة محمد بن عبد القادر الحباني وألف فيها ، والشيخ عبد الملك بن دعسين ، وممَّن أثنىٰ عليها الأستاذ أبو بكر العيدروس ، والأستاذ عبد الرحمٰن بن علي ، والسيِّد شيخ بن إسماعيل ، والإمام أحمد بن علوي باجحدب ، والشيخ أبو بكر بن سالم ، والشيخ عبد الله بن أحمد العيدروس ، والسيد عبد الرحمٰن بن محمد العيدروس ، والشيخ عبد الله الحدَّاد ، والسيد حاتم الأهدل ، والشيخ أبو الحسن البكري وابنه محمَّد بن أبي الحسن ، والشيخ عبد الهادي السودي ، والفقيه عمر بن عبد الله بامخرمة وولده عبد الله ، والشيخ عبد الرحمٰن بن عمر العمودي ، رضي الله عنهم أجمعين[1] .

---

(١) للتوسع والزيادة انظر « عمدة الصفوة في حلِّ القهوة » للعلاَّمة عبد القادر بن محمد الجزيري

## [قصيدة الشيخ بامخرمة في القهوة وصنعها]

وأما أقوال أهل الذوق ، والصُّوفية أهل الشوق والتَّوق ، وتغزلاتهم فيها . . فأكثر من أن تحصىٰ ، ويطول الكلام فيها ، ونتبرك بما يسره الله ؛ لكونه من مقصود الكتاب ، إذ فيها شرح الصُّدور ، وبطبخها بالنية الصَّالحة تتيسَّر الأمور ، ولنقدّم أوّلاً كلام الشيخ عمر بامخرمة ؛ فله فيها القصائد العجيبة ، والأبيات الغريبة ، وأجلُّها القصيدة الجامعة لشروطها وآدابها ، وهي هٰذه : [من البسيط]

لقهوةِ البنِّ يا نَدْمانَها ٱبتكِرا ... وكنْ بها يا فتىٰ صَبّاً بغير مِرا

وحينَ يدعوكَ داعيها فقُمْ عَجلاً ... مُلبِّياً تابعاً في ذلكَ الأثَرا

وخذْ شروطاً وآداباً لها وأَصغِ ... سمعاً إلىٰ قولِ مِنطيقٍ بها ٱختبَرا

فأولُ الأمرِ بسملْ ثمَّ صلِّ علىٰ ... محمَّدٍ خيرِ ساداتِ الورى الكُبَرا

وبعدَ ذاكَ خُذِ القِشْرَ العزيزَ وكِلْ ... منهُ الذي شِئْتَهُ للطبخِ واعتبِرا

ونقِّهِ الآنَ وٱلْقطهُ علىٰ مَهَلٍ ... فربَّما حولَهُ الفارُ اللعينُ خرَا

وقدِّرِ الما وجزِّ الكلَّ تجزيةً ... ولاَ تَدَعْهُمْ يقولوا زادَ أوْ قصرَا

فالقشرُ سُدْسٌ وماءٌ خُمْسهُ وإذا ... شئتَ الزيادةَ زدْ سهماً وكُنْ حذِرَا

وشُبَّ نارَكَ أوقِدْها بلاَ لَهَبٍ ... لينقصَ ٱلْما وأنتَ الآنَ مقتدِرَا

وحينَ يرسبُ ذاكَ القشرُ وانتشرَتْ ... مِنْ بُنَّةِ البنِّ ريّا عَرْفِها العَطِرَا

فصَفِّها وٱحذرِ التسكينَ فهْوَ لَها ... مفتِّرٌ وقليلُ النفعِ ما فتَرَا

حتىٰ إذَا بقيَتْ في الدَّنِّ صافيةً ... فعندَ ذَا ينبغي إمعانُك النظَرَا

في طبْعِ شاربِهَا فاليابسُ الْقِ لَهُ ... فيهَا منَ القَنْدِ كَيْما يُضعِفُ البصرَا

وضِدُّهُ الرطبُ فاستعملْ لهُ عسلاً ... وقلْ لذي الطبِّ هٰذا يدفعُ الضَّرَرَا

وجوِّدِ السَّحقَ حينئذٍ لفلفلِهَا ... وضعْهُ فيها وقلِّلْ منهُ واحتذِرا

منْ حرْقَةِ البولِ إنْ كثَّرتهُ وإذا ... لمْ تُلْقِهِ نفخَتْ منْ ذاقها قذرا

فعند ذا صلحتْ للشرب فأدْعُ لها ... خفيف دمٍّ لبيباً إنْ أشرت درا

وزِحْ بها وأغْدُ في الصِّيني على فرشٍ ... نظيف جسمٍ وثوبٍ تبلغ الوطرا

في موضع ليس فيهِ منْ يكدِّرُهُ ... فإنَّما جعلوها تذهبُ الكدرا

وقرِّب الطِّيب وأشمُمْ منهُ مبتدئاً ... ولا تدعْهُ وراها قلَّ أوْ كثُرا

ولا تكنْ غافلاً عنْ منشدٍ طَرِبٍ ... فهٰذهِ ساعةُ الأشعارِ والشُّعَرا

وإن تكنْ منْ رجالِ الدِّينِ زدتَ علىٰ ... هٰذي شروطاً فخذْ عنِّي بها خَبَرا

طهارةٌ مثلُ تطهيرِ الصلاةِ وكنْ ... مستقبلاً قبلةَ الإسلام مستَتِرَا

نقيَّ سرٍّ بذكرِ اللهِ مشتغلاً ... في السرِّ والجهرِ ممَّا قدْ ذرَا وبَرَا

كذا علىٰ شربِهَا قُلْ يا قويُّ علىٰ ... أعدادِها وبهٰذَا وَصِّ مَنْ حَضَرَا

تقولُ ذلكَ عشراً بعدَها مئةً ... وستَّةً فألتزِمْهَا تصحبِ الظَّفَرَا

وتشهدُ السِّرَّ فيمَا قلتَ منبسطاً ... فيهَا وتلمحُ ذاكَ السرَّ حينَ سَرَىٰ

فمَنْ هنَا خبطُوا فيهَا وما علمُوا ... بمَا جرىٰ مِنْ قديمِ الدَّهْرِ يومَ جَرَىٰ

فهٰذِهِ نبذَةٌ جاءَتْ علىٰ عَجَلٍ ... جمعتُ فيهَا لكَ الآدابَ مختصِرَا

وَفَتْ ثلاثونَ بيتاً قلتُ آخِرَهَا ... الحمدُ للهِ مغني فاقةِ الفقرَا [1]

## [مقتطفات من شرح الشيخ الغُرْفي علىٰ قصيدة بامخرمة وتخميسها]

وقد خمَّس هٰذه القصيدة الشيخ الأديب عبد الصَّمد باكثير تخميساً عجيباً رائقاً فائقاً ، وزاد فيه آداباً وشروطاً وفوائد جليلة ، وقد شرح الأصل والتخميس الشيخ الإمام الفقيه عبد الله بن سراج جمال الغرفي شرحاً جمع فيه فوائد نفيسة لم تجتمع في غيره ، وقد قلَّتْ نسخُ هٰذا الشرح جداً بل عُدمت ، حتىٰ إني أكثرت البحث عنه ولم أعثر عليه ، إلا أوراقاً قليلة ننقل منها ما تيسر إن شاء الله تعالىٰ .

---

(١) ديوان بامخرمة ( ٢/ ٤١٦ ـ ٤١٩ )

قال في الشرح المذكور : صحّ عن أئمة عارفين : أين نجدك ياشاذلي ؟ قال : في خانقاتي ، قيل : وما هي ؟ قال : أماكن طبخ القهوة ، اطلبوني عندها .

ولما طلب الشيخ شراحيل من القطب معروف باجمّال التحكيم والاندراج تحت نظره وسرّه.. أقامه مقهوياً بالشحر ، يكتسب بها إلا من فقير فيتبرع وعلى الله خَلَفُه ، وساق له ما صحّ عن الغزالي أنّ بعضهم أراد السُّلوك علىٰ يد بعض الأكابر فقال : قد أشغلنا أصحابنا كلاًّ برتبة ، ما بقي إلاَّ أحجار الاستنجاء هي عليك ، فامتثل ففتح الله عليه بأسرع من الجميع ، ورَجاؤنا فيك يا شراحيل كذلك ، فكان أجلَّ تلامذته .

ورآه بعض اليمانية فقال : والله ؛ إنَّ هـٰذا نراه كل ليلةٍ بالسَّودة ونواحي البن يشتري بُنَّه منها ، ورآه بعض الزيالعة بسوق ريلع يشتري البن كلَّ ليلةٍ ، وشاعت أحواله وكشوفاته ، حتىٰ بلغ أمير وقته بدر بن عبد الله بن جعفر العادل ، وكان بدر هـٰذا قليل التسليم حتىٰ يقف على الحقيقة ، فخرج إليه ليلة مظلمة بزي فقير وجلس بطرف مقهايته وبثبانه فنجانه الذي يشرب به ، مُذَهَّب بما لا يتحصل منه شيء بالعرض على النار حتىٰ جاز استعماله ، وأضمر أن يطلبه منه ؛ ليعطيه القهوة فيه ، فما جلس إلا وناوله فنجانه الذي بثبانه ، فبهت وعرف قدره .

ولما وقع للسُّلطان بدر هـٰذا ما وقع بالشيخ معروف باجمَّال ؛ لاتهامه إثارته الإمام العادل علي بن عمر بن جعفر ، ابن عم بدر ، وأَخْذه قلاع آل محمد.. قال معروف لتلامذته : ألا ترون هـٰذا يعمل بنا ونحن برآء عما ٱتَّهَمَنَا به ، فثارت همة شراحيل وقال : معي له كانون القهوة وأخرج لهاةً كلهاة البعير الهايج من فيه ، لهب نار شعلة واحدة ، فتلقاها الشيخ معروف بيده ، فاحترقت يد الشيخ وأطفأها وقال : إنما أردت المباسطة معكم لا حقيقة ؛ لأنه

أخذ عليه العهد من شيخه الأخضر باهرمز ألاّ ينتقم لنفسه منه ؛ لقصة مبسوطة في « مناقب الشيخ معروف » للعلاّمة محمد بن عبد الرحمـٰن بن سراج .

## فَائِدَةٌ
## القهوةُ لِمَا شُرِبتْ وقُصِدتْ له

فمن ذلك ما حكي أن السيِّد العارف بالله عبد الله بن أحمد بن حسين العيدروس لما وُلِدَ أتىٰ أباه ثالثَ ولادته السيدُ أحمدُ بن علوي باجحدب ، والعارف بالله حسين بالحاج ، وشيخ بن عبد الله العيدروس ؛ ليهنوه به ، فلما جلسوا . . طلبوا نظر المولود ، فطرح في طبقه بين أيديهم ، فلما جيء بالقهوة . . التفت إليها فضحكوا منه وقالوا : هـٰذا مكشوف يضحك بطبقِهِ ، فقال أبوه : بالفاتحة والقهوة ، قم يا عبد الله وقبّل أقدام هـٰذه الصفوة ؛ صفوة الصُّوفية ، فقام واستتر بخرقة فوقه ، وقبَّل أقدامهم ثم قام ، فأعطوه مُجْ مُجْ قهوة فشربه ، ثم أذن له في الرُّجوع إلىٰ طبقِهِ ، فلم يقم إلا بوقت معهودٍ غيرِهِ من الصِّبيان .

وأخبرني بعض السَّادة آل باهارون قال : كان سيدي عبد الله بن أحمد العيدروس ـ يعني : المذكور ـ يمازحني فكاشفني مرة بأمر خاص مع أهلي وقال : عَادِهَا تفرُّ منك ، فكان كذلك وتزوجَتْ بآخر ، فثارت معي لوعة عظيمة كدت أهلك ، فلمَّا رأىٰ سيِّدي عبد الله ما بي . . قال : رطل قشر سودي وكُبانَة ، فأتيت بذلك ، وفعل قهوة بِنيَّةِ قناعةِ زوجها وعودها إليَّ ، فكان كذلك .

قال الإمام محمَّد بن عبد الرحمـٰن بن سراج في مناقب شيخه أبي بكر بن سالم ذيل مناقب شيخنا القطب معروف باجمال ، قال : قدم السيد عبد الرحيم البصري المكي على الشيخ أبي بكر زائراً متشفعاً بسرِّه في التأليف بينه وبين

زوجة له مكيّة و[قد] نالت منه[1] هي وأهلها ؛ لفقره ولازموه في الطلاق ، فلما رآه الشيخ أبو بكر .. قال تحب المكية يا عبد الرحيم ؟ قال : نعم ، ومتيّم بها ، وقصدي نظركم ودعوة بإصلاح شأني معها ، عيل صبري ، والشيخ بيده فنجان قهوة كبير أخضر ، وعنده روشن مفتوحٌ فقال : جَبا بالقهوة هيا بها ، وأخرج يده ورجعت خلية بمحضر الجمّ الغفير ، فقال : أصلحنا شأنك يا عبد الرحيم بالشفاعة ، هي لما نُوِيتْ له ، فزوّده الشيخ ورجع إلىٰ مكّة ، فلمَّا علم أصهاره بمجيئه مع القافلة .. خرجوا وتلقوه بغاية الفرح ، وقصدوا به دارهم ، وأدخلوا عليه زوجته ، فوجدها بأعظم ما عنده من الحُبِّ والمودة ، وقالت : عجبتُ مع غيبتك بوقت كذا لم أدر إلا برجل صفته كذا ناولني هـٰذا الفنجان ملآن قهوة وغاب عني ، لم أدر من أين مدخله ومخرجه ، فبُهِتُّ وشربته فملأ الله قلبي من ذلك الوقت بحبك ، فإذا الفنجان ذلك الفنجان بنفسه ، ووصفتِ الشيخ والوقت بكمال وصفه .

وفي بعض نسخ « المناقب » زيادة : وبشره منها بولد عالم عارف واسمه عمر ، يعم الجميعَ نفعُه ، فكان كذلك حملت من حينه به ، فكان السيد عمر بن عبد الرحيم البصري ، واحد زمانه علماً ومعرفة ، يحب الحضارمة ؛ لأجل الشيخ ، ويفتخر بنسبته إلى الشيخ مع جلالته ، ويكرم الواردين من جهاته .

وجاء السيد عبد الرحمـٰن البيض ، وعثمان خطيب ؛ لزيارة الشيخ أبي بكر ، فلما دخلا عليه وبيده فنجان قهوة .. قال : يا سيِّدي عبد الرَّحمن ؛ همُّك كثرة البنات بلا ذَكَر ؟! ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا ... ﴾ الآية ، فقال : نعم يا سيِّدي خرجنا لنظرك ولذلك ، فقال : البنات مسعدات[2] دين ودنيا ، وبشراك بولد يختم القرآن ثم غيره ، اشرب القهوة بنيتها وناوله الفنجان ،

---

(١) في غير ( د ) : ( ... مكية نافت منه ) ، ولعل الصواب ما أثبت مع الزيادة بين معقوفين

(٢) في ( ج ) ( د ) : ( سعيدات )

وأنت يا عثمان همك كثرة العولة ؟! أصلحناك وذريتك ، وتسع دنياهم ، حبا بالقهوة ، وناوله الفنجان الثاني ، وقال : اشرب بنيّتها ، فوالله ؛ ما نقص حرف من لفظ الشيخ ، انتهىٰ .

وطبخها بعض العارفين بقصد ألاَّ يأخذ أحد منها شيئاً إلا بإذنه ، فأخذ منها ولده بلا علم بنية والده فخلعت يده حالاً ، فطبخ ثانية بنية عود يد ولده فعادت كما كانت .

وعن بعض الصالحين أنهم لما سمعوا أن فوران القهوة تهليل .. أحبوا أن يسمعوه ، فطبخوها بقصده مع جمع بمسجد الشيخ سعد تاج العارفين ، فسمعوا الجميع أصوات ( لا إلـٰه إلا الله محمَّدٌ رسول الله ) بحروف فصيحة ظاهرة مستمرة مع فورانها ، فلما سكنت .. بقي الصوت والحروف مهموسة فلهـٰذا اتفقوا علىٰ أنها لا تسكن في ظروف طبخها ، بل يصبُّها[1] قبل فتورها عمّا هي عليه من الذكر .

...................... ..... وقليـل النفـع مـا فتَـرا[2]

ولا بأس بسكونها بظروف الشرب بل هو مطلوبٌ ؛ لأن غثرها له غَيْرة على استرداد ما خرج منه بعصارة الطبخ إليه ما دامت مرتبطة به ، فإذا خرجت عنه .. سلبته ؛ فلهـٰذا قالوا :

فصفِّهـا ................ ......................[3]

أي : عنه فلا يخرج معه شيء منه إلا ما يشق الاحتراز عنه فلا يضر .

---

(١) في غير ( د ) : ( بداراً يصبها ) ، وعلق عليها في هامش ( ج ) : ( أي : يسرع ) .

(٢) هـٰذا عجز بيت للشيخ الإمام عمر بامخرمة من قصيدته الرشيقة في شروط وآداب صنع القهوة وشربها ، وقد تقدم ذكرها كاملة قبل قليل .

(٣) هـٰذا مطلع صدر البيت المشار إليه آنفاً من قصيدة الإمام بامخرمة وهو بتمامه :

فصفِّها واحذر التسكين فهو لها ... مفتِّـر وقليـل النفـع مـا فتَـرا

وجاء عن ناس صالحين أنه لو شمها عاصٍ كفور ، أو روي منها يهودي .. عادوا صالحين .

وكنت أعجب منه ، حتىٰ إن جماعة يهود كانوا يترددون إلى المقاهي وأصحابهم ينهونهم عنها ويقعون فيهم ، فبعد مدة دخل المترددون علىٰ والدي وهو قاضٍ بالشحر ، وأسلموا وصاروا صالحين .

وقال في شرح قول المخمِّس : ( فإنما جعلوها الصالحون غِذا ) أي : غذاء لمن غَلَبت روحُه شبحَه كما شوهد سنين من لا غذاء له سواها ، مع قوته مشياً ونكاحاً زيادة على المغتذين بُرّاً ولحماً ، وشباباً أيضاً ، وذلك مع كبر سنه ؛ منهم القطب معروف باجمَّال ، والسيدُ العارف بالله شيخ والدنا وتلميذ مولانا القطب أبي بكر بن سالم .. أحمد بن محمَّد الحبشي ، وفيها هاضمة وقوة باه عظيمة ، مجرب .

وقال في شرح قوله : فالقشر سدس ... إلخ والمراد بالسدس الموضوع البن بقشره أو سُبعه أو كلاً مع انفراده قبل دقه وتحميسه ، كما نبَّه عليه صاحب « القلائد » باقشير لا كما توهَّمه كثير أنه بعد دق المحمَّس ؛ لخروجها عن الاعتدال إلىٰ إفراط القوة التي هي سرف ، ففنجان قشر أو بن أو هما قبل دقه وتحميسه ، وستة أو سبعة فناجين ماء .

وقال في شرح قوله : ( حتىٰ إذا بقيت في الدن صافية ) : وقال العلامة المعمَّر عبد المعطي بن حسن بن العارف بالله عبد الله بن أحمد باكثير : [من الكامل]

أهلاً بصافي قهوةٍ كالإثْمِدِ ... جُليتْ فزانَتْ بالخِمارِ الأسودِ
لمَّا أُديرتْ في كُؤوسِ لُجَيْنِهَا ... بيمينِ ساقٍ كالقضيبِ الأملَدِ
يَحْكِي بياضُ إنائِها وسوادُهَا ... طَرْفاً كَحيلاً لا بكُحْلِ المِرْوَدِ[1]

---

(١) انظر « النور السافر » ( ص٤٨٣ )

وقال ولده أحمد بن عبد المعطي : [من الكامل]

لله مُخكمُ قهوةٍ تَجلى لنا ... في أبيضِ الصِّينيِّ طاب شرابُها

فكأنَما هي مُقلةٌ مكحُولةٌ ... ودخانُها مِنْ فوقِها أهدابُها[1]

ولو نطقت القهوة بغير التوحيد ؛ لا إله إلا الله ، محمَّدٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم .. لَمَا وصفت نفسها بغير هذا التلميح والتشبيه والتشكيل العجيب البديع ، وفي « الزهر الباسم عن السيِّد حاتم » : [من الطويل]

وما سمِّيتْ سوداءَ والعِرْضُ شائنٌ ... ولكنَّها أمُّ المحاسِنِ أجْمعَا

وقال آخر : هي كالحجر الأسود في لونه .

[وقال آخر] : [من الخفيف]

هيَ سوداءُ وهْيَ بيضاءُ معْنىً ... نافسَ الدرَّ عندَها الكافورُ

مثلُ نونِ العيونِ يحسبُهُ النَّا ... سُ سواداً وإنما هُوَ نُورُ

انتهىٰ من « الزهر الباسم » .

وقال في شرح قول المخمِّس : ( وخذ من الطيب أذكاه وأكمله ) نقلاً عن العلامة محمَّد بن عبد القادر الحباني ووالده أنَّ بعض العارفين أكثر ما يضعونه فيها من الطِّيب الزعفران ؛ لأنه يُفرِح بمجرَّده ، بل قال الأطباء : إذا طعم منه ثلاثة دراهم ضحك صاحبه حتىٰ يموت ، فإن صحَّ ذلك .. حَرُم ذلك القدر .

وفي « الصفوة » عن الفوصوني أنها تخرج عن موضوعها الأصلي بوضع سكر أو عسل إلىٰ نوع الأدوية ، فلا ينبغي ، ولعل مراده إذا كثر طَرْحُ أحد ذينك فيها بحيث سلب اسمها ألبتة ، ومثله غيرهما .

وأما الاقتصاد في التعديل في جميع ذلك .. فهو من آدابها إجماعاً ، وقال

---

(١) انظر « النور السافر » ( ص ٤٨٥ ) .

في شرح قوله : ( في طبع شاربها فاليابس الق له . . . إلخ ) قال : فإذا ظهر لك يبسه أو اعتداله أيضاً . . فألق له سكَّراً وأحسنُه الأحمر ، وأجمله القنْدُ القوالب ، وتخصيصُ الأصلِ القند ؛ لأنه أكمل لا لنفي غيره ، وأحسن ما طبخت فيه الخزف سيما الكُعْدَة[1] ، خاصة القبلية ، وأحسن من يحسن طبخها إلى الآن الصَّوَغ ؛ لأن نارهم لها جمر مع شب لطيف ، يطلع منه تقبيس أدق من الحطب ، فيأتي تحميسهم وطبخهم بغاية الكمال .

وذكر في شرح قوله : ( وضدُّه الرَّطب . . . إلخ ) أن بعض علماء المغرب يضع في مصفاها في الفناجين قليل سمن ؛ ليعدلها ، وهو لا ينبغي ؛ لأنه يكسفها مرة واحدة ، واستعمل أناس اللَّبن لتعديله ، وفضيلته لأنه لا يَشْرَقُ صاحبه قط .

وفي الحديث : « وزدنا منه »[2] ولم يقل في غيره ، وليلة الإسراء أتي بعسل ولبن وخمْرٍ ، فاختار اللبن . . . إلخ[3] ، وذلك صحيح في الفضل والتَّعديل ، لكن يأتي فيه ما مر في السمن وزيادة ، ويضعف شهوتي النكاح والطعام ، ويبعث الصفراء والصَّفار وعللاً أُخَرَ ، فلتحذر إدامته أو رجعها أيضاً ، فإن أردت التعديل به . . فاشربه صرفاً وحده ثم هي ؛ لأن السُّخْن بعد البارد محمود ، وعكسه مذمومٌ شرعاً وطباً .

وقال في شرح قوله : ( فجوِّد السحق حينئذ لفلفلها . . . إلخ ) نقلاً عن « الصفوة » عن العلامة الحكيم محمَّد بن محمَّد الفوصوني : إن طبعها

---

(١) الكُعْدَةُ : آنية فخارية تستعمل لتبريد الماء والشرب ، انظر « المعجم اليمني في اللغة والتراث » ، مادة : ( كعد ) .

(٢) سنن الترمذي ( ٣٤٥٥ ) ، وسنن أبي داوود ( ٣٧٣٠ ) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٣) صحيح البخاري ( ٣٨٨٧ ) عن سيدنا أنس بن مالك عن سيدنا مالك بن صعصعة رضي الله عنهما .

معتدل ، وإلى البرودة واليبوسة أقرب ، والبُن أقل برودة ، والقشر أقل يبوسة .

وبخاصيتها حرارة لطيفة هاضمة نافعة للشبعان ، ضارةٌ للجيعان ، سيما بارد الطبع ويابسه ، وشربها بين الحرارة والبرودة أنفع وألذُّ .

وقال الإمام عبد القادر الحباني في البن : [من الطويل]

طبيعتُـهُ سخْـنٌ كـذلـكَ يـابـسٌ ... مِنَ الدَّرجاتِ الأُوْلِ في آخرِ الوَلا

ومتىٰ لم يتأثر الطبع بالغذاء . . فمعتدل ، فإن تأثَّر به باطناً ولم يطل زمنه عرفاً بما تأثر به حرارةً ورطوبةً أو ضدهما . . وصف به بلا إضافة لدرجة ، فإن ظهر بظاهره ولم تطل مدة تأثره . . قالوا : في أول درجة ما وصف به ؛ حرّاً أو برداً أو رطباً أو يابساً ، فإن طال . . قالوا : في الثانية ، فإن طال أكثر . . قالوا : في الثالثة ، فإن فحش طوله . . ففي الدرجة الرابعة ، وهو مضر ، انتهىٰ .

وقال آخر في شرح قوله : ( وقَرِّب الطيب واشمم منه مبتدئاً . . . إلخ ) :

**تتمة** : ينبغي شم الأطياب قبلها وبعدها ، ومنه البخور ، وأن يحمد الله بعدها ، ويشكر الذي أطعمه وأشمه هٰذا ورزقه من غير حول منه ولا قوَّة .

[ويقول] : اللَّهمَّ ؛ كما أنعمت فزد ، ولا عيش إلا عيش الآخرة ، من قاله . . غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، أورده بأحاديث كثيرة ابن حجر العسقلاني ، وتلميذه السُّيُوطي ، وابن حجر الهيتمي[1] ، والحطابي ـ بحَاء مهملة ـ في « تفريح القلوب بغفران ما تقدم وما تأخر من الذنوب » ، وأنه لا تُزال عنه النعم ، زاد جمع : « وارحم الأنصار والمهاجرة » ، وما هنا إلاَّ سفينة سائرة .

---

(١) انظر « الخصال المكفرة للذنوب » ( ص١٠٠ ) ، و« الزواجر عن اقتراف الكبائر » ( ٢/ ٧١ )

وصحَّ أنه صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يرتجزون به في حفر الخندق[1] .

وقال في شرح قول المخمِّس : ( واذهب مع الدَّهر في سيْرٍ وفي خببِ ) ، ولصاحب الأصل :

وسر مع الدهر في سيره وخُبَّ إن خَبَّ .................[2]

وللقطب العدني : ( كن مُسايِرْ يسايرك الزَّمان ) .

وقال ابن عربي في « فتوحاته » و« مواقع النُّجوم » أيضاً : ( مراد الله ما أظهره فعليك بقبوله وإكرامه وإن لم يظهر لك استحقاقه ، فليس في الإمكان أبدع مما كان ) .

وفي « الحِكَم » : ( ما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه )[3] ، وذكر في شرح قول المخمس : ( واحذر كفيت الرَّدىٰ شرباً مع الثقلا ) حكايةً : أن بعض الملوك منع ضرب العود ، وكان بعض العارفين مولعاً به ، فخرج بعوَّاد إلىٰ بعيد من الناس بحيث لا يُسمع ، فأطربه العوَّاد حتى انذاب الشيخ كلُّه ، فأدخل العواد يده ؛ ليتحقق هل بقية منه في الدم ؟ فوجد داخله جواهر ، فالتقطها ورجع إلى البلد ، فبعد مدة أباحه مِلك آخر ، وباع العوَّاد واحدة بألوف وقوَّمها المقومون بألوف مؤلفة ، وأن مثلها لا يوجد بتلك الجهة ، فبحثوا عنها فإذا هي من العواد ، فسألوه فقال : وجدتها وغيرها ولم يقص القصَّة ، فأخذوه منه بثمن كثير ، وجعلهن الملك بتاجه ، فذات ليلة طَلَبَ هـٰذا العوَّادَ فأطربه ، فما علم إلا والدَّم يسيل علىٰ وجهه وثيابه ، وثقل التاج علىٰ رأسه فوضعه واستمر الطرب ، والتقت الجواهرُ

---

(١) مصنف عبد الرزاق ( ١٩٩١٢ ) عن طاووس بن كيسان رحمه الله تعالىٰ .

(٢) ديوان بامحرمة ( ١/ ٩٨ )

(٣) الحكم العطائية ( ص٣٢ )

لحماً ودماً ، وتزايد حتى استوى بشراً سوياً فوق التاج ، وعطس وحمد الله وخرج منه ، وتستر بثيابٍ بحضرة الجمّ الغفير ، فإذا هو ذلك الذي انذاب بنفسه رجع كما كان ، تبارك الله أحسن الخالقين ، انتهى ما التقطناه من « شرح ابن سراج » لتخميس القصيدة المخرمية ، رضي الله عن جميع عباده الصالحين ، آمين .

قلت : وفي هٰذا الشرح عجائب وغرائب ، وأمور خارقة للعادة ، ولا يستبعد صاحب الطبع الجامد الواقف مع العوائد ذلك ؛ فإن القدرة واسعة ولا تضيق عن شيء .

وفي كرامات الأولياء متسع ، ولله أن يكرم أولياءه بما تسعه قدرته ، وتسعف به مشيئته : ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ، ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ ، رزقنا الله حسن الأدب والتسليم ، إنه أكرم كريم .

## [فتوىٰ أبي الحسن البكري بحِلِّ القهوة]

وفي « تاريخ ابن الطيب » في ترجمة الشيخ أبي الحسن البكري قال : وهو الذي أفتىٰ بحِل القهوة ، حتىٰ قال في ذلك : [من السريع]

يا قهوةً تُذهبُ همَّ الفتىٰ ... أنتِ لحاوي العلمِ نعمَ المرادْ

شرابُ أهلِ اللهِ فيهِ الشفا ... لطالبِ الحكمةِ بينَ العبادْ

نطبخُهَا قشراً فتأتي لنَا ... في نفحةِ المسكِ ولونِ الزَّبادْ

ما عرفَ اللهَ سوىٰ عاقلٍ ... يشربُ في وسْطِ الزَّبادي زَبادْ

حرَّمهَا اللهُ علىٰ جَاهلٍ ... يقولُ في تحريمهَا بالعنادْ

فيهَا لنَا نُزهٌ وفنجانُهَا ... صحبةُ أبناء الكرام الجيادْ

كـالـلّبـن الخـالـص فـي حلّـه ... مـا خـرجـت عنـهُ بغيـرِ السّـوادْ[1]

وقال أيضاً : [من الطويل]

يقولونَ قومٌ قهوةُ البنِّ حُرِّمتْ ... مقـالـةَ معلـوم المقـالِ فقيـه[2]

لعمرُكَ لوْ نِيطَتْ بأدنىٰ كراهةٍ ... لمَا شُرِبتْ في مجلسٍ أنا فيهِ[3]

وقال أيضاً : [من الطويل]

أقولُ لمنْ قدْ ضاقَ بالهمِّ صدرُهُ ... وأصبحَ منْ كثرِ التشاغلِ في فكْرِ

عليك بشربِ الصَّالحينَ فإنَّهُ ... شرابٌ طهورٌ سامِيُ الذكرِ والقدْرِ

فمطبوخُ قشرِ البنِّ قدْ شاعَ ذكرُهُ ... عليكَ بهِ تنجو منَ الهمِّ في الصَّدْرِ

وخلِّ ابنَ عبدِ الحقِّ يُفتي برأيهِ ... وخذْهَا بفتوىً منْ أبي الحسنِ البَكْرِي[4]

انتهىٰ من « تاريخ ابن الطيب » .

وذكر السيِّد الجليل عبد الله بن جعفر مدهر باعلوي نزيل مكة المشرفة رضي الله عنه في شرحه علىٰ قصائد حضرة الشيخ الكبير شيخ بن إسماعيل بن إبراهيم ابن الشيخ عبد الرحمـٰن السقاف ، واسم الشرح المذكور : « التجلي[5] الجميل في نفس سيدي شيخ بن إسماعيل » عند قوله : ( ذه قهوة ما مثلها قهوة... إلخ ) أي : هـٰذه القهوة المسماة بالسوداء من السواد الأعظم ، والسمراء من السمرة ؛ اللون الأفخم ، راح الأرواح ، والمريحة من الأتراح ،

---

(١) انظر « عمدة الصفوة » ( ص١٧٤ ) .

(٢) في ( ب ، هـ ) :

................ ... مقـالـة معلـول المقـال سفيـه

وفي ( أ ) : ( معلول المقال ) بدل : ( معلوم المقال ) .

(٣) انظر « عمدة الصفوة » ( ص١١٣ ) ، و« الكواكب السائرة » ( ٢/٣/٢٢ ) .

(٤) انظر « النور السافر » ( ص٥٥٣ ) .

(٥) في ( أ ، ب ) : ( التحلي ) .

المنتشية بجمال الوجه وكمال الأمراح ، وفيوضات الأنس ، وفتوحات القدس ، ما مثلها قهوة ؛ أي : نفيسة عظيمة ، تحظىٰ بها القلوب السليمة ، وتستشفي ببركتها النفوس السقيمة ؛ ولهـٰذا قال شيخها وغيره كما جرَّبه الكملة[1] : إنها ـ كماء زمزم ـ لِمَا شربت له ، وإنها تجذب صاحبها إلى الخير ، وتعجل بالفتح للسَّالك .

وقال الشيخ الكبير أحمد بن علوي باجحدب :

من مات وفي بطنه شيء من القهوة . . لم يدخل النار .

وقال السيد الشيخ عبد الرحمـٰن بن علي : كنت أنا وابن عمِّي الشيخ أبو بكر العيدروس ونحن صغارٌ في المكتب ، فلما وصلت في لوحي إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ . . . ﴾ الآية . . قال لي الشيخ أبو بكر : أتدري ما تلك الغرفة ؟ فنجان القهوة الصُّوفية ، فحدثت والدي علياً بذلك ، فأعجبه جدّاً ، وكان يستعيد منِّي هـٰذا الحديث مراراً .

وكان الشيخ عبد الرحمـٰن بن علي يأمر بحمل القهوة إذا سافر ، فكانت تحمل معه في القرب ، قلت : أي مع زيارة النبي هود عليه السَّلام قبل تعيين قبره .

وكان الشيخ الولي عبد الهادي السودي مولعاً بشربها ليلاً ونهاراً ، ولا يزال قِدْرُها بين يديه ، وقد يوقد عليها برجليه مكان الحطب .

وقال السيد العارف حاتم الأهدل : وإذا فقد الصَّائم التمر ؛ أي : والماء . . أفطر بالقهوة ، وقال بعض الأكابر : ما أحب البقاء في الدنيا إلا لثلاث : قيام الليل ، ومطالعة الكتب ، وشرب القهوة .

وقال السيِّد الصفي علوي بن شيخ الجفري : حصل بوالدي عارض ،

---

(١) في ( ح ، د ) : ( جرت به الكلمة ) ، وفي ( أ ) : ( خبَّر به الكمل ) ، والمثبت من ( ب ) .

فقصد ترك القهوة ، فقال لي الحبيب الحدَّاد : لا ينبغي ترك القهوة ، وهٰذا إرشاد منه في شربها والتَّداوي بها .

وفي « شرح العينية » : أن الشيخ أحمد الحبشي صاحب الشعب كان يحب القهوة ، ويأمر بشربها ويقول : ثلاث نعم اختُصَّ بها المتأخرون : « شرح الحكم » لابن عباد ، وقصيد[1] الفقيه عمر بامخرمة ، والقهوة البنِّيَّة .

## [أول ظهور القهوة وشربها]

قال السيِّد العلاَّمة عبد الرحمٰن بن محمَّد العيدروس في رسالته « إيناس الصَّفوة بأنفاس القهوة » ما ملخصه : ( اعلم : أن مما عجله الله تعالىٰ لهٰذه الأمَّة المحمَّدية من ملذُوذَاتِ الجنَّة ومشتهياتها القهوة المتخذة من بزر البن أو قشره ، ولم تعرف في الأعصر الخالية ، بل خصَّ الله بها متأخري هٰذه الأمة ؛ إعانة لهم على الطاعات لقصورهم عن العارفين ، فأحدث الله تعالىٰ لهم ما يلحقهم بهم ، وأَوَّلُ حدوثها أواخر القرن الثامن باليمن المبارك ، ومنشئُها الإمام أبو الحسن علي الشهير بالشاذلي ابن عمر بن إبراهيم بن أبي هديمة محمَّد بن عبد الله بن الفقيه محمَّد الشهير بدِعْسَين ـ بكسر الدَّال ، وسكون العين ، وفتح السِّين المهملات ـ بن هبيني بن ربيعة بن علي بن أحمد بن شكر بن رازم بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن عبد العزيز بن عبد الله بن الصَّحابي خالد بن أسد بن أبي العيص بن أمية الأكبر بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، وفيه يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صاحب المخا ، الغوث الربَّاني ، والفرد الصَّمداني ، المتوفىٰ سنة ثمان وعشرين وثمان مئة ) انتهىٰ من « الإيناس » .

---

(١) في ( ح ، د ) : ( قصيدة ) .

فعُلم أن الشيخ المذكور ليس شاذلي النسب كما يتوهم ، إنما هو شاذلي الطريقة المنسوبة إلى القطب الشريف الحسني أبي الحسن علي بن عبد الله الشاذلي .

وفي كتاب « السلسلة العيدروسية » : أن الشيخ علي بن عمر المذكور لما أراد مفارقة شيخه ناصر الدين ابن بنت الميلق الشاذلي من مصر . . أوصاه فقال له : ضع نفسك تحت القدرة ؛ فإنَّه سبحانه إن رفعك . . رفعك لحكمة ، وإن خفضك . . خفضك لحكمة ، ولا تكره حكمة الله تعالىٰ في شيء ، وحيث وَجَدْتَ قلبك فخيِّم ، ونظم ذلك الشريف عمر بن عبد الرحمـٰن علوي صاحب الحمراء المقبور بتعز تلميذ العيدروس فقال : [من الطويل]

ضعِ النفسَ في موجِ القضَا غيرَ كارهِ ... لحكمتـهِ سبحـانَـهُ واختيـارِهِ
فمَا رَفْعُهُ والخفضُ إلاَّ لحكمَةٍ ... وحيثُ وجدْتَ القلبَ خيِّمْ بدارِهِ

## [هل تُكره تسمية القهوة بهـٰذا الاسم ؟]

وفي « إيناس الصَّفوة » : وكره بعضهم تسميتها بالقهوة قال : لأنَّه من أسماء الخمر ، ولا وجه له ؛ إذ لا يلزم من موافقة الاسم اتحاد المعنىٰ ، بل إطباق العلماء والصَّالحين علىٰ ذلك يدفعه ، كيف وقد استنبطوا من هـٰذا الاسم أسراراً لطيفة ، ومعاني ظريفة ؟! قال الشيخ علي بن عمر الشاذلي رضي الله عنه :

قهـوةُ البـنِّ يـا أهـلَ الغـرامْ ... سـاعـدَتْنِـي علىٰ طـردِ المنامْ
وأعـانتْنِـي بعـونِ اللهِ علـىٰ ... طـاعـةِ اللهِ والعـالـمْ نيـامْ
قـافُهـا القـوتُ والهـاءُ الهـدَىٰ ... واوُهَـا الـودُّ والهـاءُ الهيـامْ
لا تلـومُـونـي فـي شُـربـي لهَـا ... إنهـا شـربُ سـاداتٍ كـرامْ

وقال الأستاذ أبو بكر بن عبد الله العيدروس : [من البسيط]

يا قهوة البنّ قافُ القدسِ أوّلكِ     هاءُ الهدىٰ ثانياً والواوُ ثالثُكِ
والهاءُ رابعكِ مِنْ بعدِهِ ألفٌ     لِألفِهِ لامُها لطفٌ مِنَ المَلِكِ
والباءُ بسطٌ ونونُ النورِ يتبعُها     يا قهوةً قدْ سرتْ كالبدرِ في الحَلَكِ

وللعلاَّمة حمزة بن عبد الله الناشري منظومة بديعة فوق ثمانين بيتاً جمع فيها فوائد البن قال فيها : [من الطويل]

كُلِ البنَّ لاَ تعدلْ ببنّكَ تُنْبُلاَ     لتعلوْ بهِ بينَ الأنامِ وتَنْبُلا
فإنَّ لأَكْلِ البنّ عندي منافعاً     رواها ثقاتٌ عنْ ثقاتٍ على الوِلاَ[1]

ولبعضهم : [من الطويل]

عليكَ بأكلِ البنّ في كلّ ساعةٍ     ففي البنّ لِلأكّال خمسُ فوائدِ
نشاطٌ وتهضيمٌ وتحليلُ بلغمٍ     وتطييبُ أنفاسٍ وعونٌ لقاصدِ[2]

## [من خواص البن ومنافع القهوة]

ويقال : إن من خاصية البن أن إمساكه باليد يذهب الحزن ، وفي « الإيناس » : في هٰذين الحرفين ـ يعني : الباء والنون ـ سرٌّ محيط بجميع الأشياء ، هو باء البداية ونون النهاية ، قال : وفي ذلك قلت : [من البسيط]

باءُ البدايةِ لِلأسرارِ تظهرُهَا     نونُ النّهايَةِ في ذَا البنّ تبدُوَ لِي
فاستحضرِ الأوّلَ الموجودَ آخِرَهُ     في باطنِ الظَّاهِرِ المشهودِ في الأوّلِ

انتهىٰ .

---

(١) انظر « النور السافر » (ص١٨٧)، وانظر « عمدة الصفوة » ( ص١٠٠ ) للوقوف على التُّنْبُل

(٢) انظر « أدبيات الشاي والقهوة والدخان » ( ص٣٦ ) .

قال العلاَّمة أحمد بن علي السكري : ( وأما منافعها ـ يعني : القهوة ـ تقريباً . فالنشاط للعبادة والأشغال المهمة ، وهضم الطعام وتحليل رياح القولنج والبلغم كثيراً ، وتضر الصفراوي ، وتنفع المبسور سيما البن ؛ لأنها مجففة ) انتهىٰ ملخصاً .

ومن منافعها : تحليل الرطوبات والأوخام المنعقدة كما جرب في أهل الغيل ؛ قرية بحضرموت وخمة ، فتصير بطونهم كالحبالىٰ ، وتضيق أنفاسهم وأخلاقهم ، ويقل هضمهم ، فلما شربوا قهوة البن . . ذهب ذلك عنهم واستراحوا .

وقال بعض الحكماء : هي في الدرجة الثانية من الحرارة واليبوسة ، ويبوستها معتدلة ، وقيل : هي حارة إذا شربت حارة وإلاَّ . . فباردة ، وهو عجيبٌ ؛ إذ الأشياء لا يختلف طبعها بحرارتها وبرودتها .

ومن منافعها : تصفية الحلق وقصبة الرئة ، وتنقية المعدة ، واستعمالها فاترة أولىٰ ؛ لأنها حينئذ تكون ألذ طعماً ، وأقوىٰ نفوذاً ، وإن أضيف إليها دواء عند طبخها مما يصلح مزاجها ، ويقوي أفعالها . . فلا بُعْدَ في ذلك ، ولكن تخرج به عن كونها قهوة ، وتدخل في جملة الأدوية ، وأولىٰ ما يضاف إليها السكَّر والعسل لباردي المزاج ؛ ليعين علىٰ نفوذها .

## لطيفة

### [في كون القهوة منشِّطة]

ذكر بعضهم أنَّ سبب النشاط والطرب الناشئَيْنِ من شربها خاصيةٌ أودعها الله شجرتها ، لا كما يتوهَّمه بعضهم من أن سببه اليبس المنشف للرطوبات .

ففي كتاب « الدرَّة المنتخبة في الأدوية المجرَّبة » : أنَّ شجراً يسمَّىٰ :

أنيس النفس له ورق كورق الجرجير وزهره أصفر ، إذا رعته الغنم وشُرب من لبنها . . وجد شاربه فرحاً وطرباً ، وطرد الهم من كل وجه ، وليس فيه كالخمر خمار ، وإذا طبخ منه شيء وشرب . . كان مفرحاً نافعاً للخفقان مجرباً .

## [ما اعتاده بعض السلف عند شرب القهوة]

وذكر العلامتان عبد القادر بن شيخ في رسالته « صفوة الصفوة في بيان حكم القهوة » وعبد الرحمٰن بن محمد العيدروس في « إيناس الصفوة » : أنه(١) عندما ينعقد مجلس القهوة يشرعون في أذكارها التي رتبها السَّلف وهي : قراءة ( الفاتحة ) ثم ( يسٓ ) أربع مرات ، ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مئة مرة ، ثم يا قوي مئة وست عشرة مرة ، فإن زاد شيء في الوقت . . صرفوه إلى المذاكرة في آلاء الله والعلم الشريف ، ولطائف كلام القوم ، ثم يُهدَىٰ ثوابُ جميع ذلك إلىٰ بحبوحة الحضرة المحمدية ، ثم إلىٰ حضرة الشيخ علي بن عمر الشاذلي ، انتهىٰ ملخصاً من شرح العلامة عبد الله بن جعفر مدهر رضي الله عنه .

ولجامع هٰذه الفوائد في القهوة في مجلس صفاء مع أهل وفاء وقد أقبل الساقي بالقهوة فقلت : [من الكامل]

قَـدْ أقبلَـتْ وسَـوادُهَـا يتَـوقَّـدُ ... ومِنَ العجائبِ أن يُضيءَ الأسودُ
بسوادِهَا أبيضَّتْ قلوبُ أولي النُّهىٰ ... بسَـوادِهَـا سَـادَ السَّـوادُ ويُحمَـدُ
فَـأبِـنْ وبيِّـنْ بيْـنَ بُنَّـةِ بُنِّـهِ ... فـي بَـوْنـهِ أوْ بُـونِـهِ يـا أحمـدُ
وعلىٰ شرابِ الصَّالحينَ مسوَّرٌ ... صـادَ الصيـانـةَ حبَّـذاكَ المشهـدُ
فـإذا دُعيـتَ لهَـا فبـادرْ مسـرعـاً ... ما لَمْ تكنْ في مجلسٍ لا يُحمدُ
أمَّـا إذا كـانَـتْ بمجلـسِ إخـوةٍ ... قـدْ ضمَّهُـمْ أُنْـسٌ لهَـا وتَـودُّدُ

---

(١) في النسخ : ( أن ) .

ودوي وفا وأولي صفا وقد انتفىٰ طمعٌ وحرصٌ عنهمُ وتجمُّدُ
جمع التوافقُ والتداخلُ بينهُمْ فتماثلُوا فهناك تمَّ المشهدُ
هـٰذا هو الكبريتُ يا متطلِّباً لكنَّهُمْ في العصرِ أنَّىٰ يوجدُوا[1]

ويوماً آخر مع بعض الفقراء الزاهدين في بعض الخلوات حضرتني أبيات منها في وصف القهوة الحاضرة علىٰ سبيل الإشارة والاستعارة :

يا عجبْ يا عجبْ قشرُكْ للاسرارِ يُبدِي ما يعدِّي سرورُه بيننا ما يعدِّي
قهوةٌ مَنْ شَرِبْهَا قامْ يرقصْ بوجْدِ لوْ شربْهَا كفورْ أمسىٰ يُسبِّحْ بحَمْدِ
واشتفىٰ واكتفىٰ مِنْ ذكرِ زيدٍ وسعْدِ هاتِهَا هاتِهَا صَهْبَا بِهَا بَرْدُ كبْدِي
شنِّفِ الكاسْ لي يا صاحْ واسقَ أهلَ وُدِّي واسقِ غزلانْ حاجرْ مِنْ مُدامِي ورُشْدِي

إلىٰ آخرها ، فافهم الإشارات فيها واشرب من شراب صافيها ، وتأمَّل قول الصَّالح المجذوب المخصوص بالأنوار عوض بامختار في قوله :

بُو بكرْ ذِهْ ساعةٌ غرَّا وقهوةْ تفورْ تفور والنُّورْ بينَ أفوارِها لُهْ عُكورْ

إلىٰ أن قال :

وقشرُها قشرْ برِّي يُحيِيَ أهلَ القبورْ ولوْ ترشَّفْ شذَاهَا عبدْ عَاصِي كفورْ
أمسىٰ يُسلِّمْ بساحاتِ المشايخْ يزورْ

انتهىٰ ملخصاً من جملة القصيدة ، وقد شرحها سيدنا الشيخ الإمام أحمد بن زين الحبشي ، وناهيك به شرفاً شرح ذلك الإمام لها ، وكل ذلك إشارة إلىٰ قهوة الصُّوفية ، التي هي شراب محبة الله ومحبة عباده الصالحين ، وهـٰذه من طريق الصفا سُلَّمٌ وطريقٌ إليها ، وقد حصل بها الفتح لأهل الفتوح ، وانشرحت بها قلوب عباد الله الصالحين وحصلت لهم المنوح ، كما مرَّ ذكر ذلك .

---

(١) في ( د ) : ( يوحد ) .

## [ترجمة الشيخ عوض بامختار]

والشيخ عوض هٰذا من أرباب الصَّلاح والجذب ، وله أقوال رائقة علىٰ لسان أهل المحبة .

وذكره في « السناء الباهر ذيل النور السَّافر » قال في وصفه : ( الصالح المحبوب ، الولي المجذوب ، صحب الأكابر من أهل عصره ، والعارفين من علماء دهره ، من أجلِّهم العارف بالله أحمد بن علوي باجحدب ، والقاضي أحمد شريف ، والشيخ أحمد بن الحسين العيدروس ، والفقيه عمر بن عبد الله بامخرمة ، والعارف بالله معروف باجمَّال ، وكان أمياً لا يعرف الكتابة ، ثم غلب عليه السكر في محبة مولاه ، فغاب عمَّا سواه ، وله كلامٌ فائق في الحقائق ، وديوان شعر رائق ، نظْمُه حسن كله في الطريقة والحقيقة ، وله أبيات بديعة رشيقة ، وتذييلات رقيقة ، وكلامه أسرع للقلوب جرحاً ، وأكثرها على الطلول نوحاً ؛ إذ هو صادر عن نفثة مضرور[1] ، وعاشق مهجور ، وقلب بحر النوى[2] مكسور ، وكان يعشق مطلق الجمال وله في ذلك أوسع مجال ) انتهىٰ . ذكر وفاته في سنة ثمان وسبعين وتسع مئة[3] .

قلت : ولم يذكر شيخ الفتح الذي فتح له علىٰ يديه ، وهو الشيخ محمَّد عباد ، وكثيراً ما يحكي أن الشيخ محمَّد المذكور مرَّ على الشيخ عوض وهو يصبغ الثياب ؛ إذ هي حرفته ، فأشار إليه الشيخ وصبح عليه ، فجذب قلب الشيخ عوض إليه بالمحبة واللَّوعة ، وخرج عمَّا كان عليه ، وأقبل علىٰ خدمة الشيخ وتعلق به ، وأشار إلىٰ ذلك بقوله :

محمَّـــــدُ اليـــــومْ صبَّحْنـــــا ... يـــا مَـــنْ صبـــاحُـهْ حَيـــا الأرواحْ

---

(١) كذا في النسخ ، وفي « السنا الباهر » : ( مصدور ) ، ولعله الصواب .

(٢) في النسخ : ( النواء ) ، ولعل الصواب ما أثبت .

(٣) السنا الباهر ( خ/ ٦ , ٧٠٤ )

قـال المطـوّعْ صباحُ الخيـرْ بصـوتـه المطـرب الـذبّـاحْ

إلىٰ آخرها .

وهي قصيدة عجيبة مشوقة مذوّقة ، تطرب أهل المحبّة والصَّفاء ، والحنين إلىٰ محالّ[1] الأنس والوفاء ، وتدل علىٰ لوعة الإرادة ، نفعنا الله بأسرارهم .

وقال في قصيدة أخرىٰ :

صَبَّتْنِـــي ٱلْعَشْقَـــةْ وأنـــا قـــدْ كنـتْ صبّـان الثيـابْ

إشارة إلىٰ ما حصل له من الفتوح علىٰ يد شيخه المذكور .

## [عودة إلى القهوة]

وإلىٰ مبحث قهوة الصُّوفية الإشارة بقول الشيخ عمر بامخرمة في القصيدة المعروفة :

قَهوَةٌ ناهِيَةٌ طُبِخَتْ على اسمِ المعلِّمْ .......................[2]

يذكر لها ويحكي على الألسنة من حيث الظاهر واقعة حال والله أعلم .

وإشارة الباطن إلى القهوة الناهية الكاملة ، البالغة في جذب القلوب إلىٰ محبة الله ، الناشئة عن شراب الصوفية ، طبخت على اسم المعلم الشيخ المرشد ، الداعي لخواصّ المريدين ، وقوله : ( مثل مولاتها ) النفس المطمئنة الداعية إلىٰ طريق الله ، المدعوة بقوله : ﴿ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ وهي الناشئة عن الحقيقة المحمَّدية ، النَّاطقة عن الذَّات الحقّية .

قوله : ( فنجان منها يغرّم ) أي : يقيم الشارب مقام أهل الغرام في

---

(١) في ( ح ، د ) : ( مجال ) .

(٢) ديوان بامخرمة ( ٢/ ٢١٥ )

المحبّة ، ويلبسه ملابس الهيام في القربة ( وأنّ شربها يهودي ) .. جذبت قلبه إلى الهداية والعناية ( وارتوىٰ ) بكأسها ( عاد مسلم ) كما قال الشيخ عوض :

ولَوْ ترشّفَ شذاهَا عبد عاصي كفورْ أمسىٰ يُسلِّمْ بساحاتِ المشايخْ يزورْ
ذا لأهلْ الأبصار[1] وألاّ الطيرْ غيرِ الطيورْ ..........................

إشارة إلىٰ أنَّ القهوة الموسومة بشراب الصُّوفية هـٰذا شأنها وحقيقتها في جذب القلوب إلىٰ فتح علاَّم الغيوب ، فاعرف الإشارات وفرّق بين العبارات .

انتهىٰ ما أردنا ذكره من أسرار القهوة البنية ، وآدابها السَّنِية ، وأسرارها الظاهرة والخفية ، وكلُّ ذلك بحسب القصد والنية . وصفاء الطوية ، والتلمُّح لمشاربها الهنية ، وإشاراتها العلية من الإشارات الصُّوفية ؛ إذ القهوة هي الخمرة المعنوية ، وحقيقتها محبَّة الصفوة الصوفية ، وشرب معانيهم الذوقية ، كما أشار إلىٰ ذلك الشيخ أبو بكر بقوله : [من مخلّع البسيط]

شربْتُ كأساً مِنَ المَعَاني ... إلى آخر القصيدة[2] .

فمن شرب الكاس .. غاب عن الإحساس ، ونسي الجنة والناس ، وهـٰذه القهوة هي قالب الصفا ، وسُلَّم أهل الوفا والاصطفا ، إن طبخوها في الخلوة .. طابت أسرارهم ، وفاضت أنوارهم ، وإن طبخت في الجلوة مع إخوان الصفا والوفا الزاهدين في دار الجفا .. تفاوضوا المعاني ، وأنشدوا المغاني وتذاكروا المعاني ، وتجلىٰ عليهم باسمه الباسط ، ونسوا الوسائط ، وقال قائلهم :

هاتها هاتها صَهْبَا بِهَا بَرْدْ كَبْدِي شنُفْ الكاسْ لي يا صاحْ وأسقْ أهلْ وِدِّي
وأسقِ غزلانْ حاجزْ منْ مُدامي ورشدِي ..........................

---

(١) في ( ب ) ( البصائر ) .
(٢) ديوان العدني ( ص١٠٨ ) .

ولعمري لقد عز الصَّفا وأهله بل عدم ، وصار الناس في دهر لا عاصم فيه من أمر الله إلا من رحم ، ضاع فيه الدِّين ، وصار غالب أهله إخوان الشياطين ، وعظم كدره ، وظهر خطره ، وتكدرت القلوب ، وتنزلت علىٰ أهله موجبات الذنوب ، فلا ينجو فيه إلا من دعا بمثل دعاء الغريق الحيران ، والواله اللهفان ، فقد عمت فتنته ، وظهرت دجاجلته ، فنعوذ بالله من سوء القضاء ، ودرك الشقاء .

ونسأله السَّلامةَ من الأخطار ، والأمنَ من فتن هـٰذه الدَّار ، وأن يجعل حظنا وأحبابنا والمسلمين ألطافَه الخفية ، ودفعَ كلِّ بليَّة ، ونيلَ الأمنية ، المصحوبَ بصلاح الذرية ، وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين ، لا إلـٰه إلا أنت سبحانك إنِّي كنت من الظالمين ، وصلى الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه وسلم .

❁ ❁ ❁

# القِسمُ الثَّالِثُ

## فيما ذكره الأئمَّة العارفون
## من الأقوال المنظومة الَّتي هي مشهورة ومعلومة
## مما يناسب مضمون الكتاب لكونها لجلب الصَّفاء والفرح من أعظم الأسباب

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

**وربك الفتاح العليم**

الحمد لله مريح الأرواح ، بروح الرضا والتسليم ، ومذهب الأتراح بالنظر إلىٰ لطف اللطيف الرؤوف الرَّحيم ، وصلى الله وسلَّم علىٰ سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه ، صلاة تُغفر بها الذنوب ، وتكشف بها الكروب ، وتفرح بها القلوب ، ويتم بها النعيم ونكرع بها من أنهار التفويض للمقادير الجارية بمياه الرضا من فيض من ﴿ لَا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ .

قال بعض الأئمَّة في شرح الأسماء : من تأمَّل هـٰذه الآية وله فهم في أسرار المعاني . أدرك من معانيها ما يطربه ، ويَكِلُّ عنه لسان التعبير ، فافكر في كون اللطيف عائداً علىٰ ﴿ لَا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ والخبير عائداً علىٰ ﴿ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ ﴾ فمعنىٰ لا تدركه الأبصار للطف ظهور جلاله ، وغموض باطن علمه وخفائه ، وهو يدرك الأبصار ؛ لأنه الخبير الذي هو بكلِّ شيء بصيرٌ .

ومرَّ في أوائل الكتاب محلُّ ذلك ، والقصد الآن في هـٰذا القسم الإشارة إلىٰ ما به البشارة والفرح والسُّرور ، من كلام السادة الأقطاب أهل الصَّفا والنُّور ، والرضا بالمقدور ، من قصائدهم وأنفاسهم الفائحة من أسرار الملكوت ، مما فُتح عليهم من أنوار الغيب وأسرار الجبروت ، فنطقوا بما به

تحققوا ؛ إذ وصلوا إلىٰ ما عنه أهل النفوس تعوّقوا ، أمدنا الله بإمدادهم ، وأسعدنا بإسعادهم ، آمين .

## [نسمات من أنفاس القطب أبي بكر بن عبد الله العيدروس]

**واعلم أيُها الناظر** : أن غالب ما سنورده ورد عليهم عند حصول نوازل ومهمَّات ، وعوارض حاليات ، أظهرت حقيقة عبوديتهم ورضاهم عن ربّهم ، وحسن ظنهم به ، وكمال يقينهم ورجوعهم إلى الله في كل أحوالهم ، وفتحت لهم أبواب المواصلة ، وكريم المنازلة ، فصار بهم القدوة والسلوة والأسوة لمن وفقه الله ، ويا حبَّذا البشارة من الإشارة ، فأقول تذكيراً لقلبي الغافل ، وتشويقاً لروحي الذاهل ، وكلِّ طالب سائل ، من أنفاس الشيخ الكبير ، والقطب الشهير ، أبي بكر بن عبد الله العيدروس : القصيدة العظيمة الجامعة ، ذات التحصينات النافعة ، والثمار اليانعة ، المشتملة علىٰ جواهر الأسماء والصِّفات ، والتوسلات العظيمات ، وحريٌّ بأن يكون لها التقديم ؛ لابتدائها بالاسم العظيم[1] وهي قوله : [من الوافر]

بِبِاسْمِ اللهِ مولانَا ابتَدَيْنَا ... ونحمَدُهُ علىٰ نعماهُ فينَا
توسَّلنا بهِ في كلِّ أمرٍ ... غياثِ الخلقِ ربِّ العالمينَا

إلىٰ آخرها[2] .

ولقد اشتملت هٰذه القصيدة على التوسُّلات العظام، والمناقب الجسام، وسرِّ الاسم الأعظم ، الكبير الأفخم ، وقد شرحها الشيخ المتفنن المحقق ، الجامع محمَّد بن عمر بحرق شرحاً عجيباً جامعاً ، فعليك أيها المكروب بقراءتها ، وأحضر قلبك مع أسرار عبارتها ، وأَعْظِمِ القصدَ وفَرِّحِ القلبَ عند قوله :

---

(١) في ( ح ) : ( الأعظم ) .

(٢) انظر القصيدة كاملة في « ديوان العدني » ( ص ٥٧ )

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . .            بغفـرانٍ يعـم الحـاضـرينـا

ولطـفٍ شـامـلٍ ودوامِ سـترٍ            . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

واشهد التحصين الكامل لمن شملته الشفقة من جميع الأقارب والمحبين وجميع المسلمين .

## [من دروس الرضا والتسليم]

وحكي أنه أيضاً حصل عليه نهب من بعض اللُّصوص وهو سائر بأعلىٰ حضرموت ، فأخذوا ما معه جميعاً ، فحصل للشيخ أنس عظيم ، وفرح جسيم ، فأنشأ هـٰذه القصيدة التي أولها :            [موشح]

هـاتِ يـا حـادي فقـد آنَ السُّلُـوْ            وتجلَّـىٰ عـنْ سمَـا قلبـي الصَّـدَا[1]

طلب من الحادي الظاهر والباطن ، والقريب والأدنىٰ أن يطربه طرب السُّرور ، فرحاً بالمقدور ، ( فقد آن ) أي : حضر ( السلو ) بربِّه ، وطاب القلب بقربه ، ( وتجلَّىٰ ) : ذهب ، ( عن سما قلبي الصَّدا ) : الحجب والسَّواتر ، واستنارت السَّرائر ، وجاءت المنحة في قالب المحنة ، وهـٰكذا يشهد العبد المختار أن طيَّ الأقدار أسرارٌ وأنوارٌ ، وفي البلايا عطايا كما قال :

خلِّ عنكَ الهمَّ واْتركْ قولَ لَوْ            . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

خلِّ عنك الهمَّ بما جاء به المقدور ، وفي ضمنه الخير والخِيرة ، كما سيأتي عند ذكر قول سيِّدنا عبد الله الحدَّاد :

خلِّ عنكَ الهمَّ يا قلبي الحزينْ            . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .[2]

---

(١) ديوان العدني ( ص ١٨١ ) ، وسيذكر المؤلف رحمه الله تعالى لاحقاً بعض أبيات القصيدة ويعلق عليها

(٢) ديوان الإمام الحداد ( ص ٤٩٨ ) .

(واترك قول : لو) اعتراضاً على الرّحمن ؛ «فإن لو تفتح عمل الشيطان»[1] .

ثم أشار إلىٰ فتح موهبة عظيمة ، ومنحة جسيمة لما أشرقت له الحقائق ، ورأىٰ أن الكون كلّه عن المحبوب عائق ، فقال :

.................... لا تُطعْ فيمنْ تشا قولَ العِدا

لا تطع فيمن تريد وصاله قول الأعداء المعوّقين ؛ من الحظ والهوىٰ والشيطان ، والدُّنيا والنفس والناس أجمعين ، ثم أظْهرَ لسانَ الشكر والفرح والطرب ، لما واجهتْه المواهب ، وصفَتْ له المشارب ، فقال رضي الله عنه :

إنَّ أحبابِي بوصلِي قدْ دنَوْا وقُمَيْرِي ٱلبانِ عندِي قدْ شدَا

إشارة إلىٰ دنوّ الحقّ تعالىٰ إلىٰ عبده المحبوب بالوصَال ، ومواهب الأحوال ، وشريف المقامات العَوَال ، وتغريدُ قميري البان استعارةٌ عن صادح أفراح القبول ، والقرب المأمول .

وغنَّىٰ لي مُنَىٰ قلبِي وغَنَّيْتُ كَمَا غَنَّىٰ[2]

ثم أرشد القلب الراغب ، والمحب الطالب فقال :

ساعَتَكْ لا تشتغلْ فيها بِسُوْ ....................

أي : بما يسوءك

.................... خلِّ ما قدْ فاتَ واتركْ ما بدَا

أعرض عن الفائت وما سيبدو ، واحذر التدبير مع المقادير كما قال :

إن المدبِّرْ في الأمورْ غيركْ

إن المنفرد بجميع التدبير هو ربك اللطيف الخبير ، فليس لك ولا لغيرك

---

(١) صحيح مسلم ( ٢٦٦٤ ) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) البيت من الهزج ، وقد ذكره الإمام القشيري في « رسالته » ( ص ٤٩٨ ) .

معه مراد فسلم له المراد في جميع المواد .. تحظ بالإسعاد ، وتظفر بالإمداد ، ويستريح قلبك وقالبك من الاهتمام ، إذا علمت وتحققت أنه لا يكون إلا ما أراده الله ، والسَّلام .

كما قال سيدنا الشيخ عبد الله الحداد :

همُّك واغْتِمامُكْ ويْحكْ ما يُفيدْ ..................[1]

ثم قال :

في كلِّ أحوالكْ وفي أمورِكْ

فَاِغتنم في ساعتِكْ سرورَكْ

اغتنم صفاءك وسرورك بمولاك ، المدبر لسرك ونجواك ، ثم قال :

والعـواذلْ لا تُطِعْهُـمْ إنْ نَهـوْا ..................

العواذل هم كل مثبط عن الطريق ، ومرجف ومفزع عن موارد التحقيق ، فلا تطعهم إن نهوك ، وعاصِهم إن ثبّطوك عن نصيبك الأكبر ، من الفوز الأوفر ، فإنما مرادهم إبعادك عن مرادك ، وألاَّ تحظىٰ بسُعادك[2] ، وقل لهم مرغِماً لأنوفهم :

.................. إنَّ محضَ الغيِّ في العشقةْ هدَىٰ

أي : إنَّ خالص الغيِّ ؛ أي : شدة الميل إلى المحبوب الذي هو عبارة عن غيِّ العشقة في المحبة هو الهدىٰ ، لا ما تدعونني إليه .

قوله :

مـا رقىٰ العشّـاقُ فيمـا قدْ رقَـوْا ..................

---

(١) ديوان الإمام الحداد ( ص ٤٨٩ )

(٢) في ( ح ، د ) ( بإسعادك )

ما بلغ المحبُّون ما بلغوا إليه بتوفيق الله وحسن عنايته من المقامات العالية إلا بتركهم ما سوى الله .

كما قال :

. . . . . . . . . . . . . . . . . . غيرَ خَلَّوْا ما سوى المحبوبِ سدَىٰ

ثمَّ سَلَّى القلوب بحسن الظن بالمحبوب في الأمن من المرهوب ونيل المطلوب فقال :

كـم أمـورٍ فـي ابـتـداهـا هـائلـةْ ... ثـمَّ عقبـاهـا السَّـلامَـةُ والهنـا

صرح بالبشارة بعد الإشارة بأن عقبى الأمور المهيلة سلامة وهَنَا ، وفوز وغنىٰ ، كما قال سيدنا الشيخ عبد الله الحدّاد : [من البسيط]

ورُبَّ أمرٍ مهولٍ يضجرُ الإنسانْ ... في طيِّهِ موجباتُ العفوِ والغُفْرَانْ

وفي عواقِبِهِ الخيراتُ والإحسانْ ... فأرمِ العواقبَ وادخلْ روضةَ الفِكَرِ

واسأَلْ منَ اللهِ كشفَ البؤسِ والضررِ(١)

ثم قال :

والحيَلُ فـي مقتضـاهـا حـائلـةْ ... مـا خلَـتْ عنـهُ العنـايـةُ هُـوْ عَنَـا

فحيلة العبد فيما قدر الله قليلة ، والعناية هي إتحاف العبد بما هو خارق للعادة مما تحمد عاقبته .

وإذا العنـايـةُ لاحظَتْـكَ عيـونُهـا ... نَـمْ فـالمخـاوفُ كلُّهُـنَّ أمـانُ(٢)

وَمَنْ رعتْهُ العنايةُ في المَجيْ والذَّهابْ ... فلا يبالي ومَنْ خانتْهُ الأقدارْ خابْ

---

(١) ديوان الإمام الحداد ( ص ٢١٨ ) .

(٢) البيت من البحر الكامل ، وفي نسبته اختلاف ، انظر « حياة الحيوان الكبرى » ( ٣/ ٢٣٣ ) ، و« وفيات الأعيان » ( ٣/ ١٦١ ) ، و« النجوم الزاهرة » ( ٦/ ١٥٧ ) .

ثم أرشد رضي الله عنه إلى شراب التسنيم من عيون رياض التسليم ، فقال :

إن فـي التسليـمِ راحـةً عـاجلـةً ....................

ببرد الرضا والتسليم والفرح بما منّ به الله الرؤوف الرحيم

.................... ومـن التفـويـض فيضـان المنـىٰ

وأفوض أمري إلى الله .

والتعنُّـتُ لا محـالـةً والغلُـوّ أن تضيّعْ صفوَ يومِكَ في غدًا

أي : التعنت والغلو هو مجاوزة الحدّ في الاهتمام ، فيكون سبباً لأن تضيع صفو يومك في هم غد .

كنْ ابنَ ساعتِكَ وإنْ حَدّ قالْ يا ذاكْ لَبْ ولاَ تَحسَّفْ علىٰ ما أقبلْ ولاَ ما ذَهَبْ[1]

وتحقق أنَّ في ( كل يوم لك نصيب معلوم ) مقدر من الله رزق يوم بيوم ، « اللهم ؛ اجعل رزق آل محمَّد كفافاً »[2] . ( فلا تكن به يا بليد ) الفهم عن الله ( مهموم ) .

همك واغتمامك ويحك ما يفيد ....................[3]

واعلم : أن ( الرزق في أم الكتاب مقسوم ) .

ثم قال رضي الله عنه :

منْ هُنا للحرصِ وأفْراطِهْ نَهَوْا ....................

---

(١) ديوان بامخرمة ( ١/ ٩٨ ) .

(٢) صحيح ابن حبان ( ٦٣٤٣ ) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) ديوان الإمام الحداد ( ص ٤٨٩ ) .

أي : نهوا عن الحرص على الدنيا المذمومة الحقيرة الفانية الزائلة ، والإفراط فيه مذموم ، والحريص مشؤوم ، وقد سبق ذم الدنيا والحرص عليها .

.......................... إنَّ ربكَ ذو التفضُّلِ والنَّدى

ذو العطاء العظيم ، والمدد الجسيم ، فاقصد فضله ، وتوكل عليه سبحانه ، ولا تعبأنَّ ولا تهتم بما تستقبل من أمورك وأحوالك .

إنَّ مستَقْبلَكَ يُحْكِمُهُ العَفْوَ   مثْلَ ما أحكَمْ أُمورَ الابتِدا

يحكم مستقبل أمرك كما أحكم ماضي حالك ودهرك .

لقدْ أحسنَ اللهُ فيما مضَىٰ   كذلِكَ يُحسِنُ فيما بقِي[1]

## [أصل تسمية التصوُّف]

ثم قال :

قف علىٰ باب الصّفا ودع الجفا ....................

( قف علىٰ باب الصفا ) مع الله ، والنظر إليه وحسن المعاملة معه ، ( ودع الجفا ) : البعد عن تقواه وجميل معاملته ، والصفا باب التصوُّف ، بل التصوُّف مأخوذ من الصَّفا ، كما قال القائل : [من البسيط]

قدْ أكثرَ الناسُ في الصوفيِّ وٱختلَفُوا   وكلُّهُمْ قالَ قولاً غيرَ مَعْرُوفِ

ولسْتُ أمنحُ هـٰذَا الإسم غيرَ فَتًىٰ   صافىٰ فصُوفِيَ حتَّىٰ سُمِّيَ الصُّوفِي[2]

---

(١) البيت من المتقارب ، وهو لسيدنا علي رضي الله عنه في « ديوانه » الموسوم بـ « أنوار العقول لوصي الرسول » ( ص ١٨٢ ) .

(٢) انظر « خلاصة الأثر » ( ١ / ٥٠ )

والصَّفا : نزاهةُ السرِّ عنِ الأدناس ، ومحوُ الدَّعاوي بشهود الإفلاس ، قال الشيخ عمر :

هبَّ نَوْدُ الصَّفا يا أهل الصَّفا للصَّفا هَبْ ................[1]

ونود الصَّفا : رياح القبول من نسمات اللطف الداعية للقلوب ، إلىٰ معاملة المحبوب ، يا أهل الصفا الذين تصفت أسرارهم ، وظهرت أنوارهم ؛ الصفا مع الله والفرح بالله هبَّ لمن أراد الله له السعادة .

ثم قال :

................ ذِهْ نصيحةْ فاستمعْ مَنْ قدْ نصَحْ

الشّفَـا كـلُّ الشّفَـا ................[2]

أي : الدواء من مرض جميع الهموم ، والطب لسائر الآلام والغموم :

................ أن تَغانَمْ مِنْ زمانكْ ما سَمَحْ

لك بالمدد والعون .

[من الخفيف]

البِـدارَ البِـدارَ قبـلَ الفـواتِ إنَّمـا أنـتَ عُـرضـةُ الآفـاتِ[3]

اغنم صفا وقتك ، واشرح صدرك بربّك ، وتغافل عن السوء والأسواء . . يتم أنسك في السر والنجوىٰ ، وليكن اعتمادك علىٰ مولاك ، ولا تعبأنَّ بمن جفاك ، ولم يقم بحق إخاك ؛ فالدهر قد عُدِم وفاؤه ، وقلَّ صفاؤه ، كما قال :

إنَّ هـٰذا الـدَّهـرَ معـدومُ الـوفَـا كُنْ مسلِّمْ إنْ صَلَحْ أوْ مَا صَلَحْ

---

(١) ديوان بامخرمة ( ١/ ٤٠ ) .

(٢) ديوان العدني ( ص ١٨٢ ) .

(٣) ديوان الإمام الحداد ( ص ٩٥ ) .

( كن مسلّم ) له ( إن صلح ) لك الشأن، أو لم يصلح ظاهراً، فالصلاح باطناً.

ثم فرّح قلوبَ المكروبين ، وأكمل الأنس للمستوحشين ، وحسَّن الظن للمبعدين فقال :

نفحةُ الرحمنِ فيما قدْ رووْا آتيةٌ حقّاً وإنْ طال المدىٰ

نفحة الله آتية للمتعرضين لها ، فتعرضوا لنفحات الله بحسن الظن بالله واللجاء إلى الله ، فهي آتية حقاً وإن طال المدىٰ ، فلا تيئسوا من روح الله ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ فالله يرزقنا الصلاح والفلاح ، ونسأله أن يجعلنا ممّن هبت رياح التوفيق والإقبال علىٰ قلوبهم ؛ ليصلوا إلىٰ مطلوبهم ، آمين .

ثم إنه رضي الله عنه عَظُم فرحه بربّه ، وتمَّ له الغنى الأكبر ، والفناء به عمَّا سواه ، وسقطت عن عينه رؤية جميع الأنَام ، والحاسد والذامّ ، ومن عذل ولام ، فقال :

أمَّا أنا واللهِ لا أُبالي

بمن أقبل ومن أدبر ، ومن وفَّىٰ ومن قصَّر ، بل أَكِلُهُم إلى الله ، وأفوض أمري إلى الله ، وإذا صفا للمحب حاله مع محبوبه . . فقد ظفر بمطلوبه كما قال :

إذا صفا لي في الحبيب حالي

فكلُّ مُرٍّ بعدَ ذاكَ حالِي

غلب علىٰ قلبه الرضا ، ورضي بالقضا ؛ كما قال سيّدنا الشيخ علي بن عبد الله السقاف رضي الله عنه ونفع به : [من الوافر]

وصار العيشُ بعدَ المرِّ حُلْواً وطابتْ راحتِي وصفَا زمانِي

ثم عرّض بذكر العذَّال فقال :

قَاتَلَ اللهُ العَوَاذِلَ مَا سَعَوْا ما دروْا روحي وجسمي لَهُ فِدا

وهكذا حال الأكابر يتبرمون بهم ، ويستعيذون منهم ، وهم لا يزالون مولعين بصدِّهم وأذاهُم ؛ تكميلاً لمقامهم العالي ، وتمريناً لهم على الصبر الجميل ، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ ﴿ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ .

.................... ما دَرَوْا رُوحِي وجسمِي لَهُ فِدَا

للمحبوب ، وتقريباً إلى المطلوب .

قال الشيخ عمر :

وكلّ مَنْ لامَكْ أوْ أنكرْ عليكْ أو عَتَبْ فقُلْ لَهْ إنَّا حَذَفْنَا بالنَّسَبْ والسَّبَبْ[1]

قطعنا الأنساب والأسباب ، وتعلقنا بربِّ الأرباب .

ثم قال :

لستُ أنا صاحِي وإنْ هُمْ قَدْ صَحَوْا ....................

بل أنا بمحبَّة الحبيب سقيم ، وعلى الهوىٰ والتهتك به مقيم ، ولا أطلب الشفاء من ذلك السقم ؛ إذ هو عين الصحَّة كما قال :

.................... مـا شفـائـي فيـهِ إلاَّ كـلُّ دا[2]

وهٰذا كلُّه عبارةٌ عن كمال المحبة ، وعن الفناء في المحبوب بالعمل بما يرضيه ، والوقوف بناديه ، أفاض الله علىٰ أراضي قلوبنا فيَّاض محبته ، وجعلنا من أهل مودته ، ولحظنا بلحظه ، آمين .

---

(١) انظر « ديوان بامخرمة » ( ١/ ٩٨ ) .

(٢) هٰذا ختام قصيدة الشيخ الكبير ، القطب أبي بكر بن عبد الله العيدروس المشار إليها آنفاً .

## [قصيدة للقطب أبي بكر بن عبد الله العيدروس تفتح أبواب الفرج]

ومن أنفاس سيّدنا الشيخ القطب أبي بكر أيضاً الدافعة للهموم، الفاتحة أبواب الفرج والفرح بالحيّ القيوم، قوله رضي الله عنه :

يا صاحبَ الهمِّ الطويلْ — قصِّرْ همومكْ هذهِ الطَّويلةْ
ربكْ لِأرزاقِكْ كفيلْ — ما اَهْتَمَّ مَنْ رزَّاقُهُ كفيلهْ
عوائدُ اللهِ الجميلْ — فكُنْ ظنونكْ في الجميلْ جميلةْ
الربُّ ذي يُعطي الجزيلْ — مَواهبُهْ مِنْ كلِّ شَيْ جزيلةْ
الراحمُ البَرُّ الجليلْ — نَفْحَاتُهُ رَحْمَاتُهُ جليلةْ
لا حولْ للعبدِ الذَّليلْ — لولاَ اَنَّ حَوْلَهْ ما اَهتدَىٰ لحيلةْ
هُوْ حَسبنَا نِعْمَ الوكيلْ — ما خابَ مَنْ ربُّ السَّمَا وكيلَهْ
أَينَ الذهابْ أَينَ السَّبيلْ — هَا هُوْ فما لَكْ غَيرُهْ وسيلةْ
يَقْبَلْ لِمَنْ جَا مستقيلْ — وإنْ تكُنْ سَيئَاتُهْ ثقيلةْ
يا صاحبَ الذنبِ الثقيلْ — جَرائمُكْ في رحْمتِه قليلةْ
نِعمَ النصيرْ نِعمَ الدَّليلْ — ما ضَلَّ مَنْ توفيقُهُ دليلَه
يا شافِيَ الدَّنفِ العليلْ — جُدْ بالشِّفا لِقُلُوبنَا العَليلةْ
أنتَ الكريمْ أنتَ المنيلْ — أستُرْ قبيحَ أعمالِنَا الرَّذيلةْ
في يومنَا العَسرِ الطَّويلْ — هوِّنْ علينا اَهوالَهُ المُهيلةْ
في يومِ يَعْترِفُ الخليلْ — للمصطفَى المختارِ بالفضيلةْ
وباللواءِ المستطيلْ — تُظِلُّهمْ راياتُهُ الظَّليلةْ
وحوضُهُ اَلسَّلسبيلْ — يَروِي صَدَا مَنْ مُهْجَتُهْ غليلةْ
على اَحمدٍ صلَّى الجليلْ — ما لاحَ فجرٌ عُقْبَ كلِّ ليلةْ[1]

(١) ديوان العدني ( ص ١٢٧ ) .

فتأمل ما حوت هذه الأبيات ، الجامعة للشتات ، من كمال التفويض للمولى الكريم ، وكمال حسن الرجاء في جوده العظيم ، وهكذا حال العارفين الكُمَّل ، يعظم رجاؤهم ، وتتسع دوائر الرحمة والحلم في قلوبهم للمبعدين من مولاهم .

فتعرَّضْ للنفحات من مشامِّ أنفاسهم الجليلة من الربِّ الجليل ، ذي العوائد الجميلة ، واجعل ظنونك في الجميل جميلة ، وقف بالباب وقفة العبد الذليل ، واطرح الذنب الثقيل ، فليس لك إلىٰ غيره سبيل ، وقل : حسبنا الله ونعم الوكيل .

## [دعوة لرفع الهمَّة واستمطار بروق الوصل]

ثم ارفع الهمة أيها الغافل عن نومة الغافلين ، واَستنشِمَّ هنا نسيم المحبين ، واستمطر من بروق الوصال ما به حياة قلوب المشوقين ، وأَنشِدْ قوله رضي الله عنه : [من المتقارب]

بُـروقَ الحمىٰ أبـرقـي يـا بـروقْ عسى الله يَسقِي بِكِ المُجْدِبِينْ[1]

إشارة إلىٰ لوامع بَوَادِهِ قلوب المحبين من عين الفضل المقرِّبة للمبعدين[2] ، الجاذبة للقلوب إلىٰ معاملة المحبوب ، فتسقي بها القلوب المجدبة اليابسة بالجمود والغفلة والقسوة ، فتلين وتخشع لذكر الله ، وتطمئن بأمر الله ، وتنقاد لحكم الله ، وتنتعش بمحبة الله كما قال :

عَسى أغصانُنا الذاويةْ تَنتَعِشْ وتُثمِـرُ مَـعْ جملـةِ المثمـريـنْ

---

(١) ديوان العدني ( ص ١٢٣ ) ، وسيورد المؤلف رحمه الله لاحقاً أبياتاً عدة من القصيدة نفسها ، ويشرحها باقتضاب .

(٢) البواده : ما يفجأ قلبك من الغيب على سبيل الوهلة ؛ إما موجب فرح ، وإما موجب ترح « الرسالة القشيرية » ( ص ١٦٢ )

الذاوية : اليابسة بالإعراض والغفلة ، وحب ما سوى الله ، والتعلق بغير الله ، فتنتعش وتثمر أحوالاً وأقوالاً وأذواقاً ، وفرحاً بالله وأشواقاً ، ومن الآثار النافعة الدعوة إلى الله ، والرحمة بخلق الله ، إلىٰ غير ذلك من الأحوال والمقامات المخصوصة بأهل الله المرادين من الله ، جعلنا الله منهم ، ورزقنا محبتهم ، ولا خيبنا من شفاعتهم .

ثم نادى القريب المجيب بقوله :

فَيَا مُحْيِيَ الميْتِ بعدَ الفَنَا بقدرتِك يا أحسنَ الخالِقِينْ

أي : نسألك بقدرتك يا أحسن الخالقين يا من أحسن كلَّ شيء خلقه .

ويا رافعَ العرشِ يا ذا العُلاَ ويا أكرمَ الأكرمينَ أجمعينْ

عسىٰ نفحةٌ منك تُدْنِي المُنَىٰ ....................

وتُذهِب العَنا وتورث الغنىٰ .

.................... برحمتك يا أرحمَ الراحمينْ

توسل إليه برحمته ؛ ليكون أسرع للإجابة والعطف ؛ إذ هو الرحمٰن الرحيم ، الذي رحمته سبقت غضبه ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ ﴾ .

والنفحة : الجذبة الربَّانية ، وهبوب رياح القبول والإقبال من الله علىٰ عبده المرحوم ، وصدق التوفيق منه سبحانه له المراد بالتقريب والإدناء ، فاقصد ربك بصدق اللجاء ، وحسن الرَّجاء ، ولا يقنِّطْكَ ذنبك ؛ فهو الذي يقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات ، وقل بطريق الإدلال والبشارة والإشارة إلىٰ سعة كرمه وعفوه :

إذا لم تَجُدْ يا وَسِيعَ العطَا فمَنْ ذا لأهل الخطا المذنبينْ

ليس لهم إلا بابك وعفوك وسترك الجميل ، ثم مجّد ربَّك وأثنِ عليه بقولك :

فلا مانعٌ لكَ عَلَىٰ ما تشا ءُ في الكونِ يا أقدرَ القادرينْ

لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، والكون كله بيدك وقبضتك ، تعطي من تشاء ، وأنت العزيز الحكيم ، وأنت أقدر القادرين ، فليس لأحد قدرة إلا بما أَقْدَرْتَ ويسرتَ ، بل هم بِسِمات العجز موسومون ، وعن نفع أنفسهم والدفع عنها عاجزون .

اللَّهمَّ ؛ إنا قد عجزنا عن دفع العوائق عن الوصول إليك ، وصدق الإقبال عليك ، وأصبحنا حائرين ، وفي طرقات الغواية والعماية دائرين ، فبصِّر اللَّهمَّ عبدك الحائر ، يا منور السرائر ، كما قال :

فلي قلبٌ حائرٌ قليلُ الهُدَىٰ فبصِّرْهُ يا هاديَ الحائرينْ

فلا تؤخرني عن مقام المتقين ، ولا تحسرني عند فوز الفائزين ، كما قال :

إذا فازَ أهلُ التُّقَىٰ بالعُلاَ وبالفوزِ يا حسرةَ المُبْطِلينْ

فلا تجعل الحسرة حظنا إذا ارتقى المتقون المقامات العالية في الدنيا ، والمنازل العلا والفوز في الآخرة فيا حسرة من جعل البطالة دأبه ، ولم يسلك هدايته وصوابه ، فما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ، وما الراحة العظمىٰ إلا لأهل النور والحبور ، فطوبىٰ لهم إذا صفت لهم المناجاة ، وتجلت لهم المصافاة ، كما قال :

إذا صُفَّتْ أقدامُهُمْ في الدُّجىٰ وطابَتْ مناجاةُ أهلِ اليقينْ

صُفَّتْ أقدامهم للعبادة مع الحضور والمشاهدة ، والمناجاة مع أهل الصفا واليقين ، فعند هـٰذا تتقاصر عن لذتهم جميع اللذات ، بل ذلك أنموذج من لذة النظر إلىٰ وجهه الكريم في دار النعيم .

ونعم الحياة الطيبة حياتهم ، والراحة الكاملة راحتهم ، كما قال :

وطـاب المُقـامُ لأهـلِ المقَـا ... مِ في الليلِ يا حسرة الغافلينْ

فيا حسرة من غفل عن الله بالحظوظ والأهواء والشهوات الفانية ، وقسا قلبه ولم يذق لذة الصفا مع الله ومع أهل الله ، وقوله : لأهل المقام ؛ أي : المقامات الرفيعة ، أهل المشاهدة والحضور الدائم في عباداتهم ، كما قال قائلهم : إن كان أهل الجنة في مثل ما نحن فيه . . إنهم لفي عيش طيب .

وفي بعض النسخ : ( لأهل السقام ) أي : المُسقَمين بداء المحبة ، المبتلين بأصواب الشوق والقربة ، كما قال :

. . . . . . . . . . . . . . ... مـا شِفـائِـي فيـهِ إلاَّ كـلُّ دَا[1]

وكما قال بامخرمة :

ما ابغِيَ العافيةْ ما شَرِّيَ الاَّ انْ تعَافَيتْ

أي : تعافيت من شوقي وقلقي وتحرقي في طلب الوصول ، وعافية العامَّة عافية الأبدان ، وعافية الخاصَّة ما به رضا الرحمن .

ثم عذل قلبه فقال :

أيـا قلبـيَ السُّـوءَ مـا تَـرْعَـوِي ... وكـمْ تَعصِـيَ اللهَ فـي العـاصِيِيـنْ

أما تنتهي وترعوي عن غفلتك ، وترغب في[2] صلاحك وفلاحك وفوزك ونجاحك ، فإلىٰ كم تعصي الله مع من عصاه ، ولم تخف عقباه ، فارغب إلىٰ ربك ولا تبالِ بالمادحين والذَّامِّين ، كما قال :

فَلاَ يَغـرُرَكْ قـولُ مَـنْ قـالَ فيـكْ ... ولاَ ينفعُـك كثـرةُ المَـادِحيـنْ

---

(١) ديوان العدني ( ص ١٨٢ ) .

(٢) في النسخ ( عن ) ، ولعل المثبت هو الصواب .

ذلك الله الذي مدحه زين ، وذمه شين ، كما في الحديث[1] .

ثمَّ إن الكلام يطول في هٰذا الميدان ، ولا يسع المحل بسطه ، والقصد الإشارة والتبرك ، فلنسرد باقي القصيدة سرداً ، ونتوسَّل إلى الله طلباً وقصداً ، قال رضي الله عنه :

وسيلتـي يـا ربِّ بـالمصطفىٰ ... شفيعِ الورىٰ سيِّدِ المرسلينْ
وبـالأنبيـاءِ وأصحـابِهِـمْ ... مَـعَ آلِهِـمْ ثـمَّ بـالتـابعيـنْ
وبِـأسْمـائـكَ اللهُ يـا خـالقِـي ... وبالصُّحُفِ بعد الكتابِ المبينْ
بِـأمْـلاكِـكَ اللهُ يـا رازقـي ... تـوسلـتُ يـا بُغْيـةَ الآمليـنْ
وبـالأوليـاءِ وأسـرارِهِـمْ ... وبِأهْلِ الشريعةِ وأهْلِ اليقينْ
تفضَّـلْ بغفـرانِ كـلِّ الـذنـوبِ ... نكـونُ جميعـاً مِـنَ الفـايـزيـنْ
وجُـدْ بـالـرِّضـاءِ وجَـزْلِ العطا ... ءِ وَاشملْ بهِ جملةَ الحاضرينْ
وطـوِّلْ لنـا عُمْـرَ سلطـانِنَـا ... وأحْرِسْهُ مِنْ أعينِ الحاسدينْ
وكـنْ حـافظاً لَـهُ وكـنْ حـارساً ... وكنْ ناصراً لَهُ وكُنْ لَهُ معينْ
وعـامِلْـهُ بـاللُّطْـفِ فـي أحْـوالِـهِ ... مَـعَ أحْسَـانِ دنيـا وإكمـالِ ديـنْ
وأَصْلِحْـهُ يـا ربِّ فـي أفعـالِـهِ ... وأصْلِـحْ بـأفعـالِـهِ المسلميـنْ
فأنتَ الرؤوفُ الكريمُ الرَّحِيمْ ... ولا يُضْجِـرُكَ كثـرةُ السَّـائليـنْ
خَـزَائنُـكَ بـالجـودِ لا تَنْتَهِـي ... لِكَثْـرَةِ عطـايـاكَ للـراغبيـنْ
وصَلَـواتُـكَ اللهُ يـا ذَا العُـلاَ ... على المصطفىٰ كلَّ وقتٍ وحينْ[2]

انتهت القصيدة الفريدة ، والإشارة في السلطان اجعله من له الدائرة الكبرىٰ

---

(١) انظر « سنن الترمذي » ( ٣٢٦٧ ) .

(٢) ديوان العدني ( ص ١٢٤ ) .

والقطب الذي عليه المدار ، وشيخك الذي هو طريق فتحك ، وفاتح أبواب سدادك وصلحك ، ومن شملته شفقة قلبك .

ولكل امرىء ما نوىٰ ، فقد ختمها بهٰذه التوسلات العظيمة الكليّة الجامعة ، أمدنا الله بأسرار أقوالهم الحقِّيَّة الصِّدقية ، وأنوارهم الغيبية العندية ، آمين .

## [خاتمة من قصائد القطب أبي بكر بن عبد الله العيدروس]

ومن أنفاسه رضي الله عنه المفرحة[١] للقلوب ، الكاشفة للكروب قوله :

عَلِّقْ همومَكْ بمَنْ لهُ الأمرْ      واَصرِفْ عنِ الخلقْ كلَّ هِمَّةْ[٢]

رفع الهمَّة شأنهم وحالهم إلىٰ مولاهم .

وكذلك القصيدة التي أولها :      [من الطويل]

ألاَ ليتَ شِعْرِي يُصلحُ اللهُ حالَنَا      بعافيةٍ حُسْنَىٰ تُجَلِّي همومَنَا[٣]

إلىٰ آخرها ، وفيها الإشارة إلىٰ أحبابه وأسلافه بتريم ، وشوقه إليهم رضي الله عنهم ، وقوله رضي الله عنه :

إذا مَضَىٰ[٤] يومُكْ فليسَ تجزعْ      فذاكَ يومُ السُّعودْ

وأَمْسُكَ الماضي فليسَ يرجعْ      أصلاً ولا هُوْ يَعودْ

عَوِّلْ على المولىٰ ففضلُهْ أوسعْ      مدبِّرْ أمرِ الوجودْ[٥]

---

(١) في ( ب ، ج ) : ( المزعجة ) ، وفي ( أ ) : ( المريحة ) .

(٢) ديوان العدني ( ص ١١٣ ) .

(٣) ديوان العدني ( ص ١٥٢ ) ، وفي ( أ ) : ( بعاقبة حسنى . . . ) .

(٤) كذا في النسخ ، وفي « الديوان » : ( صفا ) .

(٥) ديوان العدني ( ص ٢٧٨ ) ، وفيه : ( مدبِّراً للوجود )

وقوله رضي الله عنه : الله يتمُّ السرورَ ... إلىٰ آخر الأبيات[1] .. سلوة للقلوب وجلاء للكروب ، وصفاء مع المحبوب .

وكل « ديوانه » رضي الله عنه جامع للأسرار والأنوار ، واليواقيت والجواهر ، وبه الصَّفاء وأنس الضمائر ، وفيه علوم ذوقية ، وفتوحات غيبية ، وقد ذكر أنه قيل له رضي الله عنه : ما صنفتم من العلوم ، قال : أودعناه كله في « الديوان » ، نفعنا الله بأقوالهم ، ومنحنا نصيباً من أحوالهم ، آمين .

## فَصْلٌ

## [نفحات من ديوان الإمام الحداد]

وأما ديوان سيدنا الشيخ الكبير ، القطب الشهير ، عبد الله بن علوي الحداد ، المسمَّىٰ بـ« الدرّ المنظوم » .. فقد حوىٰ جميع العلوم ؛ من المعارف والعوارف ، والوصايا والحقائق والرقائق ، وكل معنىً لطيف رائق ، من جميع التشويقات والتشبيبات ، بالتغزلات الحقية الصدقية ، الجاذبة للهمم العلية إلىٰ مراتب العندية .

والحاصل أنه فاق السابقين ، وأعجز اللاحقين ، وصار خصوصية كبرىٰ لخلف الخلف ، وأعجوبة عظمىٰ لم يسبق مثلها عن السلف ، فمن أنفاسه المريحة للأرواح ، الداعية إلىٰ مبادىء الفتح من الفتاح ، المبشرة للقلوب بالقرب من المحبوب ، قوله رضي الله عنه : [من الكامل]

بشِّرْ فؤادَكَ بالنصيبِ الوافي ... مِنْ قربِ ربِّكَ واسعِ الألطافِ[2]

---

(١) ديوان العدني ( ص ٢٩٢ ) .

(٢) ديوان الإمام الحداد ( ص ٣٧٥ ) ، وسيورد المؤلف رحمه الله بعض أبيات القصيدة ويعلق عليها .

فافرح عند قوله : بشر فؤادك ، وبشر قلبك بقرب ربك مع التوبة النصوح ، الداعية إلى الفتوح وجزيل الممنوح ، وأيّ نصيب أكمل وأوفىٰ من قرب الله ، وارتفاع الحجب الصادّة عن الله ؟! وهو واسع الألطاف حقاً ، ومن لطفه الخفي قربه وحبه ، ولولا لطفه .. لما قرَّب وأسعد ، وغمر وستر ، وهو اللطيف الخبير ؛ فقد وسع لطفه سائر العبيد ، الشقي والسعيد ، ووفق وأمد بالقرب والمزيد ، وأثاب علىٰ ذلك وهو المبدي المعيد ، الفعال لما يريد ، واشْهَدْ توحيدَه ووحدانيته عند قوله :

الـواحـدِ الملـكِ العظيـمِ فَلُـذْ بِـهِ      واشرَبْ مِنَ التَّوحيدِ كاساً صافِي

فبالوحدانية والملك العظيم يحسن العياذ واللياذ ، ويصفو شراب التوحيد عن رؤية الأغيار ، والكأس الصَّافي مطلب المحبين ومنية الطالبين ، وقد ذكرنا في شرحِ ساقي الراح شرحَ الكأس وما المراد به ، والساقي . فتأمَّله .

ومن نظم الشيخ عمر بامخرمة في الكأس قوله :

الكـــاسْ يعشقنـــي      وأنـــا أعشـــقِ الكـــاسْ

إشارة إلىٰ محبة الله تعالىٰ لعبده ، ومحبة العبد لربِّه ، وذلك بسبق عناية الله للعبد المحبوب ؛ أن سقاه كأس محبة القرب منه ، وأودع قلبه داعي الصفا مع الله ، والقرب منه سبحانه وتعالىٰ ، وشرابُ التوحيد هو الفناء والغَيْبة عن المخلوقين ، والاكتفاء بالله عنهم نفعاً وضراً ، ورؤية المسبِّب مع الفناء عن الأسباب ، وإذا شربت كأس التوحيد .. شهدت جمال الصانع في المصنوعات ، فقد ملأت الأكوان أنوار جماله وجلاله ، كما قال :

وأشهـدْ جَمـالاً أشـرقَـتْ أنـوارُهُ      في كلِّ شيءٍ ظاهراً لاَ خافِي

وإنما آثر ذكر الجمال لمطابقة البشارة ؛ إذ مظاهر الجمال توالي النعماء ، وتتابع السرَّاء ، واندفاع الضرَّاء ؛ إذ ذلك عنوان علىٰ رضاه عن خلقه ،

وإشراق أنوار فضله وجميل ستره وعفوه ، وفي « إيضاح أسرار علوم المقربين » كلام نفيس في هذا البحث فتأمله ، وزاد إيضاحاً بقوله :

وعلىٰ منصّ الجمعِ قِفْ متخلّياً عنْ كلّ فانٍ للتفرُّق نافي

وعلىٰ منص الجمع على الله قف بتوفيق الله ، وأنفِ التفرُّق برؤية الأغيار ؛ فإنه تعب وأخطار ، وعناء وأكدار ، واجمع وفرِّق ، وغص وحقِّق ، وأشهد جمالاً ضياؤه مشرق ، واشرب كؤوساً من المعاني ، وسلِّمْ للأقدار تسلم من الأكدار ، كما قال :

وألبَسْ لربِّ العرشِ في أقدارِهِ ثوباً مِنَ التسليمِ وافٍ ضافِي

وأستكْفِ ربَّك كلَّ همٍّ إنَّهُ سبحانَهُ البَرُّ اللَّطِيفُ الكَّافِي

اطلب بربك الكفاية من جميع الهموم ، وتوكل على الحي القيوم ، وخَصَّ اللطيف والكافي ؛ لمناسبة الحال بالاسمين العظيمين ، اللذين هما الشفاء والصفاء ، في الظهور والخفاء واطلبه من البر اللطيف الكافي .

ثم وجّهك إلى السؤال الشامل ، والدعاء الجامع الكامل بقوله رضي الله عنه :

وأسألُهُ أنْ يُلبسَكَ ثوبَ إنابةٍ وهدايةٍ وسلامةٍ وعوافي

قدَّم الإنابة ؛ لأنها باب الرُّجوع ، والتوبة الخالصة الجامعة للخشوع والخضوع ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ . . . ﴾ الآية ، ثم قال :

وأنِبْ إلىٰ دارِ الكرامةِ والبَقَا وعنِ الدَّنيةِ كُنْ أخِي متجافي

وتأمّل ما جمعت هذه القصيدة ، الجامعة الفريدة ، من البشارات والإشارات ، والوصايا الجامعات ؛ لكونه رضي الله عنه مجمع الأحوال والمقامات ، وصاحب الصِّديقية والجمعية والفرقية ، وله الخلافة العظمىٰ ،

التي يعجز الواصف المنصف عن الاطلاع إلىٰ عشر معشار ما منحه الله منها وأعطاه ، رضي الله عنه وأرضاه ، ونفعنا به ، آمين .

ثم تأمل قوله رضي الله عنه : ( اِلزمْ بابَ ربِّكْ واتركْ كلَّ دونْ )[1] تغرفْ من بحار التوحيد ما تقر به عين الناظر بنظر التفريد ، وينشرح صدرك ، ويسفر بَدْرُك ، ويعلو قدرك ، ( واسأله ) أي : واسأل ربَّك السلامة ( من دار الفتون ) جامعة الفتن والمحن والإحن ، وخصوصاً في آخر الزَّمن ، واسمع قوله رضي الله عنه :

لا يضيقْ صدرُكْ فالحادِثْ يهونْ ... اللهُ المقدِّرْ والعالَمْ شؤونْ
لاَ يكْثُرْ هَمُّكْ ما قدِّرْ يكونْ

إلىٰ آخر ما ذكره رضي الله عنه في هٰذه القصيدة العظيمة ، وكلها تشتمل علىٰ ترك التدبير ، والاعتراض على المقادير ، وتحث على التفويض للطيف الخبير[2] ، وقد جمع فيها حاصل ما ذكره ابن عطاء في كتاب « التنوير » .

## [هوِّن عليك نوائبَ الدهر]

وقوله رضي الله عنه : [من الكامل]

هوِّنْ عليكَ نوائبَ الدَّهْرِ ... يَهُنْ عليكَ كلُّ ما يجري[3]

فتهوين نوائب الدهر ، بالنظر إلىٰ لطف مَن له الأمر ، يحصل به الفرج في العاجل ، والثواب في الآجل .

وكُنْ لِلُطْفِ اللهِ مُسْتنظِراً ... مِنْ حيثُ لاَ تدريهِ أَوْ تدرِي

---

(١) ديوان الإمام الحداد ( ص ٤٨٩ ) .

(٢) انظر القصيدة كاملة في « ديوان الإمام الحداد » ( ص ٤٨٩ )

(٣) ديوان الإمام الحداد ( ص ٢٨٤ )

« أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب »[1] .

ثم قال رضي الله عنه وعَلَّم وأرشدَ :

نعـمْ وعـوِّلْ فـي جميـعِ الأمـورْ    ما دمتَ في الدُّنيا على الصَّبْرِ

الصَّبر عماد الأمور فلا بدَّ من ملازمته ما دمت في دار الغرور ، كما قال رضي الله عنه في القصيدة الأخرىٰ : [من الطويل]

وكَـمْ محنـةٍ كـابَـدتُهـا وبليـةٍ    إلىٰ أنْ أتانَا اللهُ بالفتحِ والنصرِ

صبرتُ لهَا حتى انقضَىٰ وقتُها الذي    بهِ وُقِّتَتْ في سابقِ العلمِ والذكرِ

ولـو أنَّني بـادَرْتُهـا قبـلَ تَنقضِـي    بمَا تَقْتَضِيهِ النفسُ في حالةِ العسرِ

مِنَ الجزعِ المذمومِ والغمِّ والأسىٰ    لكنتُ قدِ ٱستجلبتُ ضرّاً علىٰ ضرِّ

وما جزعُ الإنسانِ في حالةِ البَلاَ    سوىٰ تعبٍ في الحالِ يُذهِبُ بالأجرِ

إذا مـا ٱبتـلاكَ اللهُ فـالصَّبـرُ حقُّـهُ    عليكَ وإن أولاكَ فالحقُّ في الشكرِ

ومَـنَ عـرفَ الـدُّنيَـا تحقَّـقَ أنَّهَـا    بلاَ مِرْيَةٍ مستَوطَنُ البؤسِ والشَّرِّ

فـلاَ بـدَّ لـلإنسـانِ طـولَ حيـاتِـهِ    وما دامَ فيهَا مِنْ ملازَمةِ الصَّبرِ[2]

فتخلق وتحقق ، واعمل وسل ربك التوفيق ، والتأسي بخير فريق ، وتأمَّل أيضاً قوله رضي الله عنه : [من الكامل]

لا تجـزعَـنَّ إذَا بُليـتَ بشـدَّةٍ    إنَّ الشـدائِـدَ لا يـدُومُ مُقـامُهَـا

كَـمْ شـدَّةٍ نـامَ الفتـىٰ لِـوُرودِهَـا    مـا هَـبَّ حتَّـىٰ أدبـرَتْ أيَّـامُهَـا

فٱصْبِرْ علىٰ نُوبِ الزَّمانِ فإنَّهَا    تمضِي ويَبْقَىٰ بردُهَا وسلامُهَا[3]

---

(١) الفردوس بمأثور الخطاب ( ١٧١٤ ) عن سيدنا علي رضي الله عنه .

(٢) ديوان الإمام الحداد ( ص ٢٨٢ ) .

(٣) ديوان الإمام الحداد ( ص ٤٧٨ )

وقوله رضي الله عنه :

يا صابراً أبشِرْ وبشِّرْ من صبر . . . إلىٰ آخر القصيدة[1] .

وكذلك قوله رضي الله عنه :

أَلا يا صَاحْ يا صَاحْ لاَ تَجْزَعْ وتَضْجَرْ   وسلِّمْ للمقاديرْ كيْ تُحْمَدْ وتُؤْجَرْ

إلىٰ آخر القصيدة[2] .

وقوله رضي الله عنه في بعض القصائد :

عِشْ بالرَّجَا والأملْ يا صاحْ   وحسِّنِ الظَّنَّ بالمعبودْ
وزَجِّ وقتَكْ بالأفراحْ   ولاَ تأَسَّفْ علىٰ مفقودْ[3]

وإذا دق باب توحيدك الشك في المقدور ، وخشيت الضرر ، وغلبك الكدر وتنكدت[4] عليك الأمور . . فدع الشكوك وانف الأوهام ، وارجع بحسن اللجاء إلى الملك العلام .

## [إياك والشك في قدر الله]

وتأمَّل هـٰذه القصيدة الجالية صَدأَ القلوب ورانَها ، الدافعة لبؤسها وأحزانها ، وهي قوله رضي الله عنه :   [من البسيط]

اَلشَّكُّ والوهمُ رأسُ الشَّرِّ والحذَرِ   والجِدُّ والصبرُ بابُ الفوزِ والظفَرِ
والعزمُ والحزمُ لا يُنجي مِنَ القدَرِ   فوِّضْ هُدِيتَ لماضِي الحكْمِ واْصطبِرِ
وٱسألْ مِنَ اللهِ كشْفَ البؤسِ والضرَرِ[5]

---

(١) انظرها في « ديوان الإمام الحداد » ( ص ٢٩٩ ) .

(٢) انظرها في « ديوان الإمام الحداد » ( ص ٢٢٥ ) .

(٣) ديوان الإمام الحداد ( ص ٧٥ ) .

(٤) في ( ح ، د ) : ( وتدكدكت )

(٥) ديوان الإمام الحداد ( ص ٢١٦ ) .

فإذا قدّر الله أمره المقدور .. فلا تجزع ولا تضجر ، وانظر إلىٰ سابق علم الله ، فلا يغلبك الشك في قدره ، فالسخط في القضاء سببه الشك وعدم التوحيد ، والهم بالنظر إلىٰ خلقه المسخرين المقهورين ، فرؤية النفع[1] والضر منهم والطمع فيهم هو الوهم الذي لا طائل تحته .

**واعلم** : أن العزم والحزم لا ينجي ـ كما قال ـ من القدر ، جفَّ القلم بما هو كائن ، فلا أَرْوَحَ لقلبك ، وأرضىٰ لربك من التسليم لما يقضي الحكيم العليم ، واسأل من الله كشف البؤس والضرر .

وتأمّل كل فصل من هٰذه القصيدة تفض علىٰ سرّك مياه التسليم ، وتخلق بكل خلق كريم ، ولا أرىٰ أَدْفعَ للحزن وأنفىٰ للشك والدرن من سماع هٰذه القصيدة وإنشادها ، كما قال رضي الله عنه فيها :

رَوِّحْ فؤادكَ مِن همٍّ ومِن حزنِ ... فـإنَّـهُ تعـبٌ للـروحِ والبـدَنِ
وارجعْ إلى اللهِ في السراءِ والمحَنِ ... رجـوعَ مفتقـرٍ مضطـرٍّ منكسـرِ
واسألْ مِنَ اللهِ كشْفَ البؤسِ والضَّرَرِ

كمْ شدَّةٍ ضاقَ منهَا الصدْرُ والنادِي ... تخوّفَ القلبُ منها شرَّهَا العادِي
أمسَتْ فما أصبحَتْ حتَّىٰ بدَا بادِي ... مِنْ لطفِ ربّكَ لمْ يُبْقِ ولمْ يذَرِ
واسألْ مِنَ اللهِ كشْفَ البؤسِ والضَّرَرِ

## [ما لحوادث الدنيا بقاء]

ثم بشرك بالفرج وزوال الضيق والحرج بقوله رضي الله عنه :

وَللنَّـوَائِـبِ والأكـدارِ أوقـاتُ ... إذَا انقضَتْ تنقضِي منهَا إقاماتُ
وفي التحرُّكِ قبلَ الوقْتِ آفاتُ ... فاسكُنْ لهَا وارتقِبْ يا قلبُ واصطبِرِ
واسألْ مِنَ اللهِ كشْفَ البؤسِ والضَّرَرِ

---

(١) في غير (أ) : (النعم) .

فللنوائب والأكدار كما قال رضي الله عنه أوقات تنقضي بانقضاء أوقاتها ، فاسكن ولا تتحرك قبل إبّانها ، وعامل ربّك في أوقات الأكدار ، وظهور الفتن والشرور والأشرار ، بالتقرب إليه بالإحسان إلىٰ ضعفاء خلقه ، والصدقات السرية في المواضع الخاصة ، فاستدفع البلاء بمعاملة المولىٰ ، ولا أقرب إلىٰ رضاه وأدْفَعَ لِبلاه من الإحسان إلى الفقراء والمساكين ، وتفريج قلوب المنكسرين ، وانظر إلىٰ ما قاله في « إيضاح أسرار علوم المقربين » تظفر بحسن اليقين ، وتزول عنك الأكدار والبلايا في أسرع حين ، واذكر ربك في الرخاء يذكرك في الشدة[1] .

ولو تتبعنا الكلام علىٰ كلِّ فصل من هٰذه القصيدة . . لاستكمل مجلداً ضخماً ، ولسنا أهلاً للكلام علىٰ أقوالهم ، إنما القصد التبرك والتوسل بهم ، وقال رضي الله عنه في القصيدة الأخرىٰ : [من الرمل]

خلِّ عنْكَ الهمَّ يا قلبِي الحزينْ     وتــوقـعْ وارِداً فـي كـلِّ حيـنْ[2]

الوارد من الله يرد بشرح الصدر وإذهاب العسر ، ويرد بإفاضة برد اليقين على الصدر ، والواردات بحسب الاستعدادات ، وواردات سبحانه في كل حين .

[من الخفيف]

نفحــاتُ الإلٰــهِ فــي كــلِّ حيــنِ     تتــوالــىٰ والخلْـقُ عنهَـا غُفــولُ

[من الرمل]

نفحةُ الـرَّحمـنِ فيمَـا قَـدْ رَوَوْا     آتيــةٌ حقّــاً وإنْ طــالَ المــدَىٰ

---

(١) انظر « إيضاح أسرار علوم المقربين » ( ص ٨٥ـ٨٦ ) .
(٢) ديوان الإمام الحداد ( ص ٤٩٨ )

ثم قال رضي الله عنه في هذه القصيدة :

وحِّد الفرد المهيمنْ تستريحْ ... إنَّهُ الترياقُ للقلبِ الجريحْ

إشارة إلىٰ أنَّ التوحيدَ ـ وهو رؤية النفع والضر من الله ، مع الغَيْبَة عن الأسباب برب الأرباب ـ أحدُ أسباب الراحة العظمىٰ ، والترياق النافع للقلب الجريح بعلة الوقوف مع الأسباب ، المحجوب بأغلظ حجاب ، ثم قال :

خلِّ عنكَ الفِكْرَ في أمرٍ مضَىٰ ... والَّذي يأتي وسلِّمْ للقَضَا

لا يَضيقْ صدْرُكَ وإنْ ضاقَ الفَضَا ... وارْتقبْ لطفاً خفيّاً ياضنينْ

فافهم المقصود واكرع من عين بحر الجود ، ثم قال :

إنَّ في الغَيْبِ عجائبْ

كَمْ نِعَمْ طيَّ المصائبْ

. . . إلىٰ آخرها[1] .

عجائب تأتي بالمنح الغرائب ، كم نعم دينية ودنيوية طي المصائب !

## [الخير فيما اختاره الله]

فتأمَّل ما ذكره في كتاب « التنوير » في الشخص الذي مات حماره وكلبه وديكه وهو يقول : خيرة في كلِّ ذلك ، فنهب الحي جميعه ، وسلمت حلته وأمتعته وأغنامه ؛ لأن الليلة مظلمة ، ولم يستدل النهاب إلاَّ بصياح الديكة والحمير والكلاب ، انتهىٰ .

والقصص والأخبار في ذلك كثيرة ، وفي كتاب « الفرج بعد الشدة » من ذلك العجب العجاب .

---

(١) ديوان الإمام الحداد ( ص ٤٩٨ـ ٤٩٩ ) ، وفيه : ( لا يضق ) بدل : ( لا يضيق )

ومن جملة قصائده العظيمة التي هي مفتاح الفرج قوله رضي الله عنه : [من الرمل]

يـا رسـول الله يـا أهـل الـوفـا ........................

. . . إلىٰ آخرها[1] ، وهي قصيدة عظيمة تنشد عند الشدائد والقحط ، ويستغاث بها عند المهمات ، وجميع « ديوانه » رضي الله عنه مفاتيح الغيوب ، ومسلاة الكروب ، ولو تتبعنا ما فيه . . لطال الكلام وامتد ، والقصد الإشارة إلىٰ ما به الفرح والبشارة ، رزقنا الله التخلق والتحقق بأقوالهم ، والتأسي بسني أحوالهم .

## فصل
## [ترجمة الشيخ عمر بامخرمة]

وأما « ديوان » الشيخ العارف بالله ترجمان أهل محبة الله ، الذائق المحبوب ، السالك المجذوب ، عمر بن عبد الله بامخرمة . . فلقد كان سلوة القلوب الصافية ، وراحة النفوس الراقية ، تنشرح بسماعه قلوب المحبين ، وتحن إليه أرواح المؤمنين ، ولنذكر طرفاً صالحاً من الإشارة إلىٰ تاريخ مولده ووفاته ، وشرح طرف يسير من أحواله ؛ اغتناماً للفائدة ، لأنَّ هٰذا أنسب محل لها ، وتشويقاً وترقيقاً للقلوب بذكرها ، فنقول :

هو الشيخ الإمام ، العالم الرباني ، الفقيه الصوفي ، عمر بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بامخرمة الحميري السيباني الهجراني ، قال الشلي في « السَّنَا » : ( شيخ التصوف ، وحامل لوائه ، والبدر المشرق في سمائه ، ناظم ما انتثر من المآثر ، فَذْلَكة كمال الأوائل والأواخر ، اشتغل بالعلوم الشرعية ، والفنون الأدبية ، وأخذ ذلك عن والده ، والشيخ محمد بن علي باجرفيل ، ومحيي النفوس أبي بكر العيدروس ، وصحب في الطريق شيوخاً إلىٰ أن رسخ

---

(1) انظر « ديوان الإمام الحداد » ( ص ٣٧٧ ) .

فيها قدمه رسوخاً ، وحج بيت الله الحرام ، وزار محمداً عليه أفضل الصَّلاة والسلام ، وأخذ بالحرمين عن جماعة كثيرين ، وأنشأ وهو بالمدينة قصيدة يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم مطلعها : [من الكامل]

قِفْ بالمطيِّ ضحىً على الأطْلالِ      وأنِـخْ بظـلِّ نخيلِهـا والضَّـالِ

## [الرؤيا الصالحة يراها الرجل]

ورأى النبي صلى الله عليه وسلم يُطيِّبُه في بعض الليالي ، فأصبح ووجهه بالنور متلالي ، ورائحة ثوبه وبدنه يفوق رائحة المسك الغالي ، وأخذ عن جماعة باليمن بمدينة زبيد وبندر عدن ، وكان كثير المطالعة لـ« الرسالة القشيرية » ، ثم اشتغل عنها بـ« ديوان سيدي عمر ابن الفارض » فرأى الإمام عبد الكريم القشيري صاحب « الرسالة » بين النوم واليقظة يعاتبه ويقول له : السر في هـٰذا الكتاب ، وسر هـٰذا الكتاب في هـٰذا السطر ، وإذا فيه : وسئل بنان عن أجلِّ أحوال الصوفية فقال : أربعة الثقة بالمضمون ، والقيام بالأوامر ، ومراعاة السِّر ، والتخلي عن الكونين ، قال : فنهضت فإذا الكتاب في يدي ، والرجل ليس عندي ، وكانت تلك النسخة في خلوة لي في المسجد مقفلة، فأنا أروي هـٰذا الكتاب بأسانيد عديدة عن مشايخنا، وأرويه عن مؤلفه .

ولما بلغه أن الشيخ عبد الرحمـٰن باهرمز عند ورود الحال عليه يجتمع بالنِّساء فيغنين له ، فقصده للإنكار عليه ، ووقع له ما مرَّ في ترجمة الشيخ عبد الرحمن . قال الفقيه عمر : وقفت بين يدي سيدي وشيخي عبد الرحمـٰن باهرمز عشية الاثنين ثاني رجب ، سنة ثلاث عشرة وتسع مئة ، وتحكَّمتُ له ، وألبسني ومسح علىٰ رأسي وصدري وقال لي : حكَّمتك وأنا شيخك ، فعليك بكتاب الله ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا شيخك فيهما وفي علوم لم يطَّلعْ عليها ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، فأنت نائب عنِّي ، بل أنت أنا ،

فقلت : لقّني شيئاً من الأذكار ، فقال : قل في كل صباح ومساء : سبحان الله وبحمده مئة مرة ، وفي كل مساء : يا لطيف مئة مرة ، يا حفيظ مئة مرة ، ثم : يا كريم ؛ تكرم علينا بكرمك ثلاث مرات ، ثم : يا لطيف ؛ لاطفنا بلطفك ثلاث مرات ، يا حفيظ ؛ احفظنا بحفظك ثلاثاً ، قلت : إني كثير التخليط ، فقال : والله ؛ لو تلبس المعتب أن غَيَّر عليك عندنا ، قلت : إن لي ورداً من آية الكرسي ثلاث مئة وثلاثة عشر ، فقال : هـٰذا كثير ، قلت : هو سهل عليَّ ، قال : ابق عليه ، وقرأ علي الآية الكريمة ، وعرَّفني كيفية قراءتها ، ثم قال : اجعل علىٰ نفسك ورداً من قراءة القرآن غيباً ونظراً ، قلت : إن لي ورداً من : الله لا إلـٰه إلا هو الحيُّ القيوم ألف مرَّة كل يوم ، فقال : ابق عليه ، وإن زدت.. هو خير لك ، انتهىٰ .

ثم غلب عليه الحب والشهود ، والفناء الكلي عن الوجود ، فأكثر من السماع ، حتىٰ من ذوات القناع ، وأنكر عليه فقهاء عصره ، ومن ثَمَّ لم يذكره ولده عبد الله في « ذيل طبقات الفقهاء » بل ذكر أخاه الطيب ، مع أن الفقيه عمر ما تنقص رتبته في العلوم الظاهرة عن رتبة أخيه الطيب ، وله نظم هو في الفضائل ينبوع ، وأكثر من أن يحصره مجموع ، وشعره أرق من نسيم الأسحار ، وألذ من الروض إذا باكرته الأمطار ؛ ولذلك يحفظه أكثر الناس ، وانتشر في جميع الجهات ، وجمعوا منه مجلدات ، وعجزوا عن استقصائه ، وقد جمع منه السيد الجليل عبد الرحمـٰن باحسن شيئاً كثيراً ، ورتبه علىٰ حروف المعجم ولم يمكنه جمعه ، وبلغني أنه وجد في بطن سمكة بعض قصائده لم يمح منه شيء ) انتهىٰ ملخصاً من « السَّنا » للشيخ الشريف العلامة محمد بن أبي بكر الشلي رضي الله عنه[1] .

ويحكى عن الفقيه عمر بامخرمة المترجَم له حكايات وخوارق عادات لم

---

(١) السنا الباهر ( خ/ أ/ ٥٠٢ ) وما بعدها

تُدوَّنْ ، كثيرٌ منها في حياته وبعد وفاته ، وقد نقلنا بعضها في شرح قصيدته : ( ساقي الراح أتحف بها الأرواح ) فقد تبركنا بشرحها وقوله : ( دوَّرْتُ في قشاشي )[1] تبركاً وتعلقاً وإن لم نكن أهلاً ، أهَّلنا الله لأذواقهم وأحوالهم ، وحقَّقنا بسني مقاماتهم وأعمالهم ، فهو الجواد الكريم .

وقال ابن الطيب بافقيه في « تاريخه » في ترجمة الفقيه عمر المذكور ما ملخصه : ( مولده يوم الثلاثاء سنة أربع وثمانين وثمان مئة ، ووفاته يوم السبت عشرين ذي القعدة سنة اثنتين وخمسين وتسع مئة بسيؤون ، وقبره مشهور يزار ، ويقصد من سائر الأقطار ، وكان من أهل الأحوال والحقائق ، والأسرار والرقائق[2] .

## [أعط المعيَّة حقَّها]

أخبرني الشيخ عبد الله بن محمد عباد قال : اجتمعت بالفقيه عمر بامخرمة عند الشيخ محمد عباد ، وحصلت مذاكرة بينهم في علم التصوف ، وكان ذلك ، اليوم رابع شوال سنة اثنتين وخمسين وتسع مئة، فقال الشيخ عمر بامخرمة : [من مجزوء الكامل]

أعــطِ المعيَّـــة حقَّهَـــا ... وٱلْــزَمْ لَـــهُ حُسْـــنَ الأدَبْ
وٱعلَـــمْ بــأنَّـــكَ عبـــدُهُ ... فـــي كـلِّ حـــالٍ وَهْـوَ رَبْ

وأشار إلىٰ بعض الحاضرين فقال : أتعرف معنىٰ هـٰذين البيتين ؟ فقال : لا ، ثم قال : أنتم تضحكون على التصوُّف ، ثم قال : حق المعية هو الإجلال والتعظيم ، وعلم التصوف في هـٰذين البيتين ، ولم يعش الفقيه بعد هـٰذا الكلام إلاَّ ستة وأربعين يوماً .

---

(١) انظر القصيدة كاملة في « ديوان بامخرمة » (٢/ ٤٠٨)، وفيه ( فتشت ) بدل (دورت)
(٢) في (ب) : ( والدقائق )

وله مصنفات ووصايا ورسائل ، منها رسالة سماها « أنوار مضمون وِرْد الوارد القدسي في شرح مكنون آية الكرسي » ، وفي أسماء الله الحسنىٰ ، مع إيجاز واختصار عجيب ، ومنها وصيّة سماها « المطلب اليسير من السالك الفقير » ، ومن نظمه : [من الطويل]

أدارَ علينَا الكأسَ مِنْ لطفِهِ الخفيْ    وقامَ يُصافِينا بذاكَ ويصطَفِي
وقالَ خُذُوهَا وٱشربُوهَا هنيئةً    فإنَّ لكُمْ فيهَا الَّذي تطلبونَ فِي

. . . إلىٰ آخرها[1] .

وقال مضمّناً للبيتين الأخيرين من هٰذه الأبيات : [من مجزوء الكامل]

يا عاذِلي دعْنِي فمَا    سمْعِي يَعِي قولَ الوشاةْ
إنِّي شَرِبْتُ فطابَ لِي    مَا طابَ مِنْ عينِ الحياةْ
لِي سادةٌ مِنْ عزِّهِمْ    أقدامُهُمْ فوقَ الجباةْ
إنْ لمْ أكُنْ منهُمْ فَلِي    في حُبِّهِمْ عزٌّ وجاةْ

## [كرامتان للفقيه بامخرمة]

وفي كتاب « فتح الرؤوف في مناقب الشيخ معروف » عند ذكر من زاره وأثنىٰ عليه قال : ومنهم الشيخ العارف بالله الفقيه عمر بامخرمة قال : كانت له كرامات خارقة ، ومنامات صادقة منها : أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يطيبه بخَلُوقٍ ، فأصبح وهو ظاهر في بدنه وثيابه ، وأن القشيري رضي الله عنه ألبسه كوفية ، فأصبحت علىٰ رأسه ، وكان الشيخ معروف يثني عليه ويقول : إنَّ حاله أكبر من حال الشيخ عمر بن الفارض ) انتهىٰ ما نقلناه من « مختصر تاريخ ابن الطيب »[2] .

---

(١) ديوان بامخرمة ( ١/ ٤٤٣ ) .

(٢) تاريخ الشحر ( ص ٣١٢ ) وما بعدها .

وكان رضي الله عنه يمدح ولاة عصره ، وكانوا فضلاء أهل عدل وإنصاف ، خصوصاً السلطان بدر بن عبد الله أبوطويرق ، الذي اجتمعت الكلمة بالتولية له في جهة حضرموت بدعوة آل أبي علوي عند قبر النبي هود ، وكان جواداً حسن الأخلاق ، وافر العقل شجاعاً مقداماً ، لا يقصد باباً مغلقاً إلا فتح له ، وكان يسمىٰ بدر الكرم ، وقد مدحه العلماء وتوفي بدر المذكور سنة سبع وسبعين وتسع مئة بعد أن قبض عليه ولده عبد الله سنةً وأربعة أشهر ، وتولىٰ بعده ولده عبد الله هـٰذا وتوفي سنة أربع وثمانين ، وتولىٰ بعده ولده جعفر ، وقتل سنة تسعين ، وتولىٰ بعده عمه السُّلطان العادل عمر بن بدر ، وكان أوحد عصره ، ذا سيرة مرضية في الرعية ، حسن السياسة ، وكان له اعتناء بـ« صحيح البخاري » يكاد يحفظه عن ظهر قلب ، وأكثر المدائحَ فيه عبدُ الصَّمد باكثير ، وتوفي السلطان عمر هـٰذا سابع شعبان سنة إحدىٰ وعشرين وألف ، انتهىٰ ما استطردناه في ذكر المذكورين ؛ لأن ذكرهم حقيق بالنقل لسِيَرهم الجميلة ، وفضائلهم الجزيلة ، ولتمام الفائدة والنفع بهـٰذا الكتاب .

## [أكثر ما تفتتح به دواوين بامخرمة]

وأكثر ما تفتتح دواوين الفقيه عمر المرتبة على الحروف بهـٰذه القصيدة وهي قوله :

يا قضيبَ الذهَبْ شنِّفْ لِيَ الكاسْ بأشربْ . . . إلىٰ آخرها[1] ، فقوله : ( يا قضيب الذهب ) الله أعلم بمراده رضي الله عنه به على الخصوص ، ويحتمل أن المقصود هو محمَّد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نبي الهدى الدَّاعي إلىٰ سبيل النجاة والسلامة من الردىٰ ؛ إذ هو الكامل الحُسْنِ والخلق ، العديم

(١) انظر « ديوان بامخرمة » ( ١ / ٤ )

الشكل ، وهو ذو الخلق والخُلق العجيب ، وأنىٰ وكيف أن يشبه بالقضيب وهو أعظم وأضوأ ؟! إذ هو صاحب القضيب ، وراكب النجيب صلى الله عليه وسلم .

ويحتمل أن يكون شيخ الفتح والدعوة ، وهو دائر الكاس في الخلوة والجلوة ، ونبيُّنا صلى الله عليه وسلم هو الساقي في الدنيا والآخرة ؛ في الدنيا كؤوس الهداية والولاية ، وفي الآخرة كؤوس حوضه المورود لمن سبقت له العناية ، وقوله : ( شنف لي الكاس باشرب ) ذِكْرُ الكأس والشراب سبقت الإشارة إليه في كتابنا هـٰذا وغيره ، وقوله : ( لا تخافِ العتَبْ ما في التَمِخْلاعْ مَعْتَبْ ) إذ مَن شرب الكاس غاب عن الناس ، فلا عتب ولا لوم ؛ إذ التمخلاع خلع العذار عن رؤية الأغيار ، كما قال :

سَوا عليهمْ سَوا مَنْ مرَّ منهمْ وبارْ      ومَنْ وزَنْ مِنْهُمْ قَفْلَهْ ومَنْ جَا بهارْ[1]

وقال ليصحَّ ما ذكرناه وأوضحناه : ( أنتَ سيدُ العربْ مَنْ شَبَّ مِنْهُمْ وشَيَّبْ ) إذ هو سيِّد العرب والعجم ، وإمام طيبة والحرم ؛ إذ يلزم أن من ساد العرب . . ساد العجم ؛ لأنهم أفضل وأكرم ، وقوله : ( في عيونك سبب . . . إلخ ) إذ نظر الشيخ إلى الشخص المحبوب المطلوب ترياق نافع ، كما قيل : [من البسيط]

ونظرةٌ منْهُ إنْ صحَتْ علىٰ رجلٍ      بصــدْقِ وُدٍّ بــإذْنِ اللهِ تُحْيِيــهِ

فكيف نظر الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم ؟! ويوضح ذلك قوله :

( مَنْ جفاكْ أو غَلَبْ فأنَّهْ إلى النَّارْ يُسحبْ ) أي : يقاد إلىٰ نار جهنم . . . إلىٰ آخر ما ذَكر من الإشارات العجيبة لأهل الفهوم المصيبة ، جعل الله لنا ولأحبابنا نصيباً من أذواقهم وأشواقهم ، آمين .

---

(١) ديوان بامخرمة ( ١/ ٢٩٧ ) .

**واعلم** : أن « ديوانه » رضي الله عنه سلوة المحبين ، وراحة الزاهدين ، وسلم المريدين ولا يفهم دقائق معانيه الرقائق إلا من قطع العلائق ، وعرف الطرائق ، ورفعت عنه العوائق ، ففيه طب النفوس السقيمة ، ولذة القلوب الرحيمة ، كما قال رضي الله عنه :

قلبيَ أوصيكْ خذ قَولي تجدْ فيهْ طِبَّكْ ... هُوْ يدلَّكْ ويجلي غيمْ غمَّكْ وكربَكْ

وأسمعَ القولْ وأنصتْ لي بذهنَكْ ولُبِّكْ ... .......................[1]

## [طريق المحبة]

وقال رضي الله عنه في قصيدة أخرىٰ :

يا جبيرْ أفهَمَ المعنىٰ وخُذْ منْهُ ما دَقْ ... خُذْ كلامَ الذي قاسى المحبَّةْ وحَقَّقْ

في بناهَا ومَيِّزْ بينْ باطِلِهْ والحَقْ ... وأنجردْ في مسالكهَا الوعيرةْ وطَرَّقْ

مَا أنثنىٰ دونْ غايةْ مُنتهاهَا ولا أشفَقْ ... مِنْ مقاساتِ ألاهوالِ العظيمةْ ولاَ رَقْ

فأصغِ لُهْ وأتبعْ آثارَهْ وشُفْ كيفْ يَدْحَقْ ... في طريقِهْ ولاَ تنسَىٰ دلائلهْ تزْلَقْ

فالهوىٰ أصنافْ ما يدري بهَا كَمْ مِنَ أحمقْ ... تَشْتبهْ والمشمِّر مَنْ جَمعْهَا وفرَّقْ

باجتهادِهْ وبيَّنْ للمحبِّينْ وأطلَقْ ... في كلامِهْ فَيامَنْ رادْ يَهْوَىٰ ويعْشَقْ

كُنْ كما قيلْ لِي حَبِّيتْ حَدْ لاَ تَدَهْمَقْ ... شُفْ إلَىٰ فوقْ وأطلُبْ كلّ غالي ولَوْ شَقْ

وأصحَبِ الصبرْ في طردِهْ ولاحِقُهْ تلحَقْ ... وأعدِمِ النفْسْ واحذرْهَا تهيمْ أو تُعلَّقْ

بالدنايَا فَمَنْ دلَّىٰ على الدونْ وأمهَقْ ... فيهْ فأنَّهْ كَمَا راعي النحاسْ المزبَّقْ

يَشْترِحْ بِهْ ولِي حَكُّهْ ترزًا وصفَّقْ[2]

---

(١) ديوان بامخرمة ( ١ / ٤٨١ )

(٢) ديوان بامخرمة ( ١ / ٤٥٨ )

انتهت . فافهم الإشارة إلىٰ تحدثه بما أنعم الله به عليه من سلوكه طرق المحبة ، ومقاساته أوعارها وأهوالها ، وقوله : ( فالهوىٰ أصناف ما يدري بها كم من أحمق ) الأحمق : الجاهل والغبي الغافل ، والأصناف تشتبه علىٰ من لم يحقِّق ويوفَّق للتحقيق ، والسلوك لأوضح طريق ، إلىٰ أن قال :

( كن كما قيل لِي حبيت حد لا تدهمق ) أي : لا تنزل بمحبتك إلىٰ أسفل سافلين ، وارفع الهمة إلىٰ عليين ، انظر إلى العلا ، واطلب العالي وإن غلا ، واصحب الصبر تلحق المقصود وتظفر بالشهود ، وأعدِمِ النفس الأمارة الأرضية السفلية ، واحذر أن تتعلق بالدنايا ؛ لأن شأنها الانحطاط إلى الدنايا الخسيسة ، والنزول عن المعالي النفيسة .

وافهم من تمثيله رضي الله عنه بـ( النحاس المزبق ) : أن محبة ما سوى الله ندم لاحِق عند تبين الحقائق ، وأعمالك الرفيعة المعلولة كذلك ، فنزه المقاصد ، واستعذب الموارد ، وكم له رضي الله عنه من إشارات إلىٰ أحواله في أقواله ، كما قال في القصيدة الأخرىٰ :

| | |
|---|---|
| يا بنَ راشدْ علىٰ معنىٰ قَصيدِي وبَسَّكْ | خلِّها يا بنَ راشدْ دائمَ الدهرْ درَسَكْ |
| وألقهَا للهَوَىٰ حادِي وللحجْ مَنْسَكْ | فأنَّ مَنْ سايرَ المجرَىٰ عَليهَا تنَسَّكْ[1] |

وأفهم قوله : ( وآمرك أوصيك لا تَبْقَىٰ مع الدهرْ حِسَّكْ ) أي : بل اشهد المكون في الأكوان ( لا تَوَقَّف مع الفاني ولو كان جنسك . . . إلىٰ آخرها ) .

ومن أنفاسه رضي الله عنه القصيدة العظيمة المقدار ، المتلألئة بالأنوار ، الجالية صدأ القلوب ورانها ، المجلية همومها وأحزانها ، المعربة عن شرح أحواله العظيمة ، وأمداده الجسيمة ، قوله رضي الله عنه : ( لطائف الله

---

(١) ديوان بامخرمة ( ١/ ٤٧٦ ) ، وفي ( أ ، ب ) ( نفسك ) ، وفي « الديوان » ( تفسك )

أقبلت ... إلى آخرها )[1] لطائف الله تعالى وإمداداته وعطياته ونفحاته ، ولطفه وعواطفه المصحوبة بالرحمة والرأفة ، وبذل النوال وبلوغ الآمال ، وشهوده في مظهر الجمال ، أقبلت على القلوب المقبلة المنيبة المتلقية فيض الجود الإلـهي والعطا الرحماني ، وهو يقبل التائبين ، ويعفو عن الغافلين ، ويقبل على المقبلين ، فإذا نظر إلىٰ عبيده الخواص. عمر[2] برحمته العام والخاص ، وجاءت الألطاف من كل جانب ، كما قال : ( من كل جانب والهموم ولت ) وأدبرت الهموم وتوالى السُّرور بالحي القيوم ، كما قيل : [من الطويل]

ترى الحيَّ مسرُوراً إذا كانَ حاضِراً بنُعْمىٰ ويعْبرُونَ حينَ يَغِيبُ

وقوله : ( وأنجمُ السعْدِ انجلتْ وبانَ سَعْدِي بعدَ ما تَجلَّتْ ) انجلت غيوم عوالم الشهادة ، وتلألأت نجوم علائم السعادة، ( وبان سعدي بعد ما تجلت ) بعد أن تجلت لي الحقائق ، ومُنحتُ أحسن الطرائق بان سعدي وظهر رشدي ، فلله الحمد علىٰ ما منح وفتح ، وقوله : ( وبلغت ما أملت نفسي وفي برج السماك حلَّتْ ) بلغت نفسي الأماني من وصال الحبيب ، وفزت بأوفر نصيب ، وذلك بعد المجاهدة الشديدة ، كما قال في بعض قصائده :

( نلْنا المنَىٰ لمَّا بلغْنا بالنُّفوسْ ما شقّ )[3] لئلا يظن الأحمق الغبي أن ذلك من قبيل الأماني ، حاشاهم عن ذلك ، بل قال ذلك تحدُّثاً بالنعمة اقتداء بنبي الرحمة في قوله : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر »[4] وقد سبق لذلك ذكر في مبحث الأنس بالله ، فتأمله .

---

(١) انظرها في « ديوان بامخرمة » ( ٢/ ٤٠٥ ) ، وسيورد المؤلف رحمه الله أبياتاً منها ويعلق عليها فيما يأتي .

(٢) في ( ح ، د ) ( عم )

(٣) ديوان بامخرمة ( ٢/ ٣٩٥ ) .

(٤) سنن الترمذي ( ٣١٤٨ ) ، وسنن ابن ماجه ( ٤٣٠٨ ) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

وقوله : ( وفي برج السِّماكِ حلَّتْ ، شمسُ آتصالِي وآعْتَلتْ ، في حضرةٍ عزَّتْ بها وجلَّتْ ) إشارة إلىٰ علو مقامه ، وارتفاع رتبته ، وعُظم منزلته ، وشمس الاتصال عبر بحلولها في برج السماك إشارة إلىٰ إشراق شمس حقيقة الاتصال بربه ، وفي كل حال المشار إليه في الحديث : بـ« كنت سمعه الذي يسمع به . . . » الحديث[1] اتصال عبودية خالصة بالربوبية العندية الخاصة ، كما قال : ( في حضرة عزت بها وجلت ) في حضرة عزيزة مقدسة ، فلقد عزَّ بها من اتصل وارتفع ، وعَظُم قدره واتسع ، كما قيل : [من البسيط]

. . . . . . . . . . . . . . . . وصرْتُ مَوْلَى الوَرَىٰ مُذْ صِرْتَ مَوْلَاني[2]

وكما قال رضي الله عنه في قصيدة أخرىٰ : [من المتقارب]

. . . . . . . . . . . . . . . . ونَـادِيـكَ مِـنْ بعـدِهَـا يـا أنَـا[3]

وقوله : ( من هٰهنا نلت المنىٰ ) أي : من طريق الجذب المتدارك بالسلوك ، والفيض الرحماني من عطاء ملك الملوك ، نلت المنىٰ : أُعطيت المراد من فضل الجواد ، بشراب كأس الوداد ، المعبر عنه بالرِّي بعد ظمأ المجاهدة وعطش الإرادة ، ولا يزال في الترقي والارتفاع في مراتب الوصال ، مصحوباً ببرد الرضا في تجليات الجمال ، ويشير إلىٰ ما ذكرناه قوله : ( وصرت من بعد العَنا مُهَنَّا ) أي : صرت بعد المجاهدة للنفس الأمارة مهنَّا بنعيم الوصل ولذة الشراب مع لقاء الأحباب ، كما قال في قصيدة أخرىٰ :

يَعيــشْ فــي عــافيــةْ دَهْنَــا وَلَــوْ ظمِــي بــاطِنُــهْ ريَّــانْ

وقوله : ( يا كلَّ مَنْ يهْوَى الغِنَىٰ ) أي : يا كلَّ من يطلب الغنىٰ بالله ،

(١) صحيح البخاري ( ٦٥٠٢ ) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) ينسب إلىٰ غير واحد ، انظر « ديوان الحلاّج » ( ص ٨١ ) .

(٣) ديوان بامخرمة ( ٢/ ٤١١ )

والفناء به عما سوى الله ، نظر الله إلىٰ قلوبنا بنظرة يغنينا بها عمن سواه ، وألحقنا بخاصته وأوليائه ، يا أرحم الراحمين ، كما قال : ( عسىٰ نظرةٌ منك فيها غنىٰ ) .

وقوله : ( سافر معي نحو الجناب الأسنىٰ ) أي : ارحل بنفسك عن نفسك وجنسك ، وجاهد تشاهد ؛ أي : اسلك معي تظفر بالغنى الأكبر ، والإكسير الأشهر ، كما قال في قصيدة أخرىٰ :

وكلْ يا مَنْ بَغَا معْنَا مَحَلَّهْ ودَارْ    يحطْ لِي شَافْنَا حَطَّيتْ وأنْ سِرْتْ سَارْ

مَعِي مَعِي خيرْ لاَ يَوْقَفْ مَعَ أَهْلِ القِطارْ    ....................[1]

إشارة إلىٰ ما جاء في الحديث : « سبق المفرِّدون وضع الذِّكْرُ عنهم أوزارَهم »[2] ، وهم أهل الجد في السُّلوك ، فالسُّلوك معهم ، بل التعلق بهم ، وصدق الحب لهم ، والتمسك بأذيالهم ينيلك من منالهم .

وقوله : ( نحو الجناب الأسنىٰ ) المقدس المضيء المشرق بالنور ، في البطون والظهور ، وقوله رضي الله عنه :

تُمْسِـــي علـــىٰ ذاكَ الفِنَـــا    بيـنَ المحبِّيـنَ الحبيـبَ الأدنَـىٰ

يعني : إذا سافرت معي بالسلوك ، ورحلت عن عالم كونك وجنسك ، إلىٰ محالِّ أنسك[3] . . فحينئذ تمسي علىٰ ذلك الفِنا ؛ أي : النادي ومحل القرب والأيادي بين المحبين أهل الأنس والقربة ، والصَّفا والمحبة ، الحبيب الأدنىٰ : القريب حسّاً ومعنىً ، كما قال في قصيدة أخرىٰ :

ومَـــنْ كـــانْ حبَّـــانْ مِثْلـــي    مـــنَ أَهْـلِ القلـوبِ المُصَـابَـةْ

---

(١) ديوان بامخرمة ( ١/ ٢٩٦ ) .

(٢) شعب الإيمان للبيهقي ( ٥٠٤ ) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه

(٣) في ( د ) : ( مجال أنسك ) .

يحبنا ويقرب بشقي فبيني وبينه قرابة[1]

أي : من أنعم الله عليه بذرة من محبته ، وأصيب بنصيب من معرفته . . فليقرب إلي ؛ فإنهم أهل القربة والقرابة ؛ إذ المنهل واحد ، والمقصود واحد ، وقوله :

هٰذِهْ مشاربُنا حَلَتْ والراحُ قدْ راقتْ لنا وحَلَّتْ[2]

هٰذه مشاربنا حلت ؛ أي : طابت بالأنس بالله ، وغردت لنا أطيار الفرح بفضل الله ، وراقت راحنا ، وابتهجت أرواحنا ، وحلت لنا ، وهي الحلال[3] الداعية إلىٰ مظاهر الجمال والجلال ، كما قال سيدنا الشيخ عبد الله الحداد : [من مجزوء الرمل]

راحُ أنْسٍ راحُ قدْسٍ ليسَتِ الرَّاحَ المُضِلَّةْ[4]

ثم نادى الساقي والندمان ، المديرَ كأسٍ كل من عليها فان بقوله :

قمْ فأحسني كاسَ الهوى في الدَّيرْ مِنْ حُمْرِ الشفاهْ الأَحْوَىٰ[5]

أي : اسقني كأس الهوىٰ بالمحبوب ؛ ليتم المطلوب في جملة أهل الدير ، الدائر عليهم من حمر الشفاه ، وحمرة الشفاه من كمال حسن ذوات الحسن ، إن كان المراد ذلك علىٰ سبيل الاستعارة ، وغالب ما يُسمع من أهل الإنشاد بها خمر السقاة ، جمع ساقي ، والأحوىٰ : صفة للكأس ، وهو ذو الألوان المختلط بعضها ببعض .

وفي بعض نسخ المتن : ( قم فاحتسي كأس الهوىٰ . . . إلىٰ آخره ) نبَّه

---

(1) ديوان بامخرمة ( ١/ ٨٢ ) .

(2) ديوان بامخرمة ( ٢/ ٤٠٥ ) .

(3) في ( ج ، د ) : ( الأحوال ) .

(4) ديوان الإمام الحداد ( ص ٤٠٧ ) .

(5) في « الديوان » : ( خمر الشفاه ) .

الغافل المحجوب ، وأمره أن يحتسي كأس الهوىٰ ، وهو مناسب ، وقوله :

وٱحمـلْ علـىٰ رأسِـكْ لِـوَا     ليلىٰ ولاَ تنطِقْ بحرفْ شكْوَىٰ

فقوله : واحمل . . . إلخ ؛ أي : أظهر محبتك للمحبوب وأشهرها ، واحمل رايتها ، هـٰكذا شأن الصادقين المخلصين ، الذين صدقوا مع الله ، كما قال :

. . . . . . . . . .     ومَنْ حَبّْ وأَخفى المحبةْ وجَا في الهَوَىٰ بالكتامي[1]
تبرَّيتْ يا ناسْ مِنَّهْ ولَوْ كانْ شيخِي إمامِي     . . . . . . . . . . . . . . . .[2]

وفائدة الإظهار التحدث بنعمة الله ، والأنس والفرح بالله ، والقدوة بحزب الله ، وإن حصل من إظهار محبتك وحمل رايتك أذىً ، أو رميت بابتلاء . . فلا تنطق بحرف شكوىٰ .

وذكر بعضهم في معنىٰ قوله : ( واحمل . . . إلخ ) أي : ادخل تحت ظل حكم النبوَّة متحققاً بـ( لا حول ولا قوة إلا بالله ) ، وقوله :

وٱصبـرْ علـىٰ هَـدِّ القـوىٰ     وٱستظهـر العُـدَّةْ لكُـلّْ بَلْـوىٰ

اصبر علىٰ هد القوىٰ في السر والنجوىٰ في محبتك للحبيب ، واستظهر العدة بالصَّبر الجميل ، والرضا بعلمه في كل بلوىٰ ؛ إذ هو نعم الحبيب والوكيل ، فإذا استظهرت العدة ، وصبرت على الأذىٰ والشدة . . لحقت بأهل القرب والمودة ، كما قال :

تَلحَـقْ بـأُمَّـةْ قَـدْ خَلَـتْ     عمَّا سِوَىٰ دينِ الهوىٰ تَخلَّتْ

أي : إذا فعلت ما أرشدتك إليه . . لحقت بأهل الله التاركين مَا سوى الله .

وهي الأمة التي قد خلت ؛ أي : مضت على الصدق مع الله ، وخلت عن

---

(١) في النسخ : ( بايكامي ) ، والمثبت من « ديوان بامخرمة » .
(٢) ديوان بامخرمة ( ٢/ ١٨٧ ) .

غير الله ، كما قال : ( عما سوىٰ دين الهوى تخلت ) أي : تخلت عمَّا سوىٰ محبة المولىٰ ، ويعبرون بالهوىٰ عن المحبة الغالبة[1] ، وليس بالهوى المذموم ؛ إذ الهوىٰ أقسام ، ولكل قسم مقام معلوم ، وقوله :

هـمْ أسـرَتِـي يـا عـاذِلـي  ما لي سواهُمْ في المَلا مَوَالِي

يا عاذلي في محبتهم هم قومي ، وعدتي ودرعي الحصين ( ما لي سواهم في الملا موالي ) أي : ليس لي غيرهم مولىٰ ولا مُوالي ولا معين ، وقوله :

جـزْئِـي وكلِّـي ممتلِـي  بهِمْ وهُمْ أهلِي وهُمْ مَوَالِي

يعني : أن محبتهم قد مازجت جميع أجزائي ، وأن كلي ممتلىء بمحبتهم وخالص مودتهم ، وهم أهلي الذين أنتسب إليهم ، ومواليَّ الذين أستند إليهم ، وقوله :

مِـنْ جـانـبِ القـدْسِ العَلِـيِّ  أُدنيتُ فٱستدنيتُ كلَّ عـالِـي

إشارة إلىٰ أنه رضي الله عنه دعي من باب الجذب الإلـٰهي ؛ إذ هو مراد المخطوب ، ومطلوب المحبوب ، فسهلت له المشاق ، وهانت لديه الصعاب ؛ أي : من طرق السلوك ، فلما أدني بالجذبة الربانية . . دنت له الأمور العالية ، وهـٰكذا شأن الأكابر المجذوبين .

كما قال الشيخ عبد الهادي السُّودي : [من مجزوء الرمل]

للتَّـدَانِـي قَـدْ دعَـانِـي  وٱختصَـرْ ذاكَ المُطَـوَّلْ

ولما كمل مقامه في العبودية المحضة ، وتلاشت صفاته بصفاته ، وفنيت ذاته بذاته ، كما ذكره في قصيدته ( قفا بالمطايا على المنحنىٰ ) بقوله : [من المتقارب]

وتُـدْنِـي مقـامـيَ مـعْ مَـنْ دنَـا  وَنَـادِيـكَ مِـنْ بعْـدِهَـا يـا أَنَـا[2]

---

(١) في ( ح ) : ( العالية ) .

(٢) ديوان بامخرمة ( ٢/ ٤١١ ) .

أشار[1] بقوله :

وٱستـــرسلَـــتْ وٱستقبلَـــتْ وجهي الجهاتُ الستُّ ثمَّ صلَّتْ

فحينئذ ضاقت العبارة ، ودقت الإشارة ، فافهم العبارات ، ودقائق الإشارات ، وإن لم تفهم . . فسلِّم تَسْلَمْ ، كما قيل : [من الخفيف]

وإذَا كنــتَ بــالمَــدَارِكِ غِــرّاً ثــمَّ أبصــرْتَ حــاذقــاً لا تُمــارِ
وإذَا لــمْ تَــرَ الهــلالَ فسلِّــمْ لأُنَـــاسٍ رأوْهُ بـــالأبصَـــارِ[2]

وتأدب واعلم أنهم أعرف بحق الربوبية ، وأقوم بحقوق العبودية ، وفيه الإشارة الظاهرة إلىٰ أنَّ الكون كله يصير عبداً مسخَّراً لمن أطاع مولاه ، واستعبد هواه ، وأفاض عليه سيده خالص محبته ورضاه ، كما قال الشيخ ابن الفارض : [من الطويل]

وفي سكْرَةٍ منْهَا ولَوْ عمْرَ ساعَةٍ ترى الكَوْنَ عبداً طائعاً ولَكَ الحكْمُ[3]

ويقال في قول الشيخ رضي الله عنه : ( فاسترسلت . . . إلخ ) : هـٰذا حال من لم يزل كأس الوداد عليه دائر ، واستمدت منه الكائنات في الباطن والظاهر ، فكأنه يقول : يحق بالجهات بالضرورة التنزل عني ، والمواجهة للاستمداد مني ، وقوله : ( ثمّ صلت ) أي : خضعت خضوعاً يستحقه السيد من عبده ، والصلاة في اللغة : الدعاء ؛ أي : توسلت بي إلىٰ ربها ، انتهىٰ ما أردنا ذكره من جواهر معاني إشارات وبشارات كلام الشيخ عمر رضي الله عنه ، وهو بحر لا يدرك غوره ومنتهاه ، ولا يعلم حقائق معاني كلامهم إلا هم رضي الله عنهم .

---

(١) قوله : ( أشار ) هو جواب قوله آنفاً : ( ولما كمل مقامه في . . . ) .
(٢) انظر « الفتاوى الفقهية الكبرىٰ » ( ٣/ ٣٤ ) .
(٣) ديوان ابن الفارض ( ص ١٤٣ ) .

وهـذه القصيدة وأمثالها حقيق بأن تفرد بشرح مبسوط إن حصل الإذن والدستور ، وانشرحت منا الصُّدور وإلى الله تصير الأمور .

## فَصْلٌ

## [من أنفاس الشيخ عبد الهادي السودي]

ولما كمل الكلام علىٰ ما أشرنا إليه ، وتبركنا به من الرمز والإيماء علىٰ بعض غرر كلام الشيخ عمر .. حصلت الإشارة في أن نتبرك ببشارة من كلام الشيخ السالك المجذوب، الصوفي المحبوب، عبد الهادي السودي؛ ليتم النور ويحصل السرور ، فما السُّرور التام إلا في محبتهم وكلامهم ، وشواهدهم وأعلامهم ؛ إذ السُّرور بهم سرورٌ بالله ، كما قال رضي الله عنه : [من الخفيف]

لَيسَ إلاَّ بِكُمْ يَتِمُّ السُّرورُ ... يا عُرَيْباً هُمُ بِقَلْبِي حُضُورُ[1]

اعلم : أن السُّرور بأهل الله سرُورٌ بالله ، وذلك بصدق المحبة الذاتية ، ومن صدقت محبته بأحبابه .. طاب وقته وصار سلوُّه في ذكرهم ، وكيف يذكر من هم حضور في قلبه ؟! وقوله :

أنتمُ الأغنياءُ حُسناً ولكِنْ ... أنا صَبٌّ إلى الوِصَالِ فَقِيرُ

الحسن الكامل بالغنى المطلق هو فيه سبحانه ، ومِنْ حسنه جوده بخلعة المحبة على المتصف بصفة الفقر والافتقار ، الجامعة لخالص[2] المنح والأسرار ، ومن اتصف بكونه صَبّاً فقيراً ، ووقف بالباب كسيراً .. فاضت من مياه جمال المحبوب علىٰ باطنه زلال الوصال المطلوب ، وكيف لا وهو من

---

(١) انظر « النور السافر » ( ص ٢٤٥ ) ، وسيورد المؤلف رحمه الله أبيات هـذه القطعة الشعرية ويعلق عليها لاحقاً ، فتنبه .

(٢) في ( ح ، د ) : ( لخصائص ) .

عظم ولهه وتذكاره تُذَكِّرُهُ النسيمُ أحبابه وتُدمِل أصوابه ؟! كما قال رحمه الله :

كلَّما هبَّتِ الصَّبا كِدْتُ شوقاً نحوَكُمْ يا أُهيْلَ نجدٍ أطيرُ

فتحركه الأشواق ، وتذكره الرفاق ، ويكاد من فرط أشواقه يطير بروحه ، وفي طيران الرُّوح تتم المنوح ، وتكمل الفتوح .

ثم لما توالت أشواقه ، وعظم احتراقه ، وصح افتقاره ، وعلا مناره.. نادىٰ بلسان الذلة والانكسار فقال :

فأسمحُوا لِي ولَوْ بطَيْفِ خيالٍ إنَّ نفْعَ القليلِ منكُمْ كثيرُ

تلطف في السُّؤال ، وقنع بطيف الخيال ؛ ليترقَّىٰ به إلىٰ أعظم منال ، وإن كان القليل من وصال الحبيب كثيراً ، كما قيل : [من الوافر]

قليلٌ منْكَ يكفِيني ولكنْ قليلُكَ لا يُقالُ لهُ قليلُ(١)

ثم نظر إلىٰ محض الفضل والجود ، وعلم أن العطاء ليس ببذل المجهود وإن كان عين المقصود ، فقال :

واْقبلُوني بفضْلِكُمْ يا مَوالِي لا بجُهدِي فَذَاكَ شَيْءٌ حقيرُ

إشارة إلىٰ أن بذل الجهد الحقير من العبد الفقير مطلوب محبوب ، والعطاء والقبول محض فضل وموهبة ، وبرد الوصل يريح تعب المريد المحترق بنار الإرادة بفيضان مياه السعادة ، كما قال :

وأريحُوا فَدَتْكُمُ الرُّوحُ قلبِي مِنْ سِواكُمْ لعَلَّهُ يستَنِيرُ

كمال الراحة : ترك السِّوىٰ ، وهجران أسباب النوىٰ ، فالنظر إلى الأكوان تعب وعناء ، والغنىٰ بالله هو الغنىٰ ، ولا يستنير القلب إلا بنفي السِّوىٰ ، أخرج الله من قلوبنا محبة الأغيار ، وصفَّاها عن الأكدار ، وقد تبركنا بالإشارة

---

(١) البيت لأبي نصر ، أحمد الميكالي ، انظر « معاهد التنصيص » ( ٣/ ٢٥٩ ) .

إلىٰ بعض قصائده ، وهي قوله : [من المتقارب]

سِوىٰ حُسنِ وجهكَ لِي ما حلا ... وأنـتَ الَّـذي لـي بهٰـذا حَـلا

وقوله : [من الوافر]

لقَـدْ غنَّـى الحبيـبُ لكُـلِّ صـبٍّ ... فـأيـنَ الـراقصـونَ علـى الغِنـاءِ[1]

ذكرنا فيه أن الإشارة بغناء الحبيب دعاء الداعي وإرشاده عباده المخصوصين ، المدعوين بدعوة أهل الاختصاص والإخلاص ، وهم أهل المحبة ؛ إذ المحب هو : الصب الواله بحبيبه ، والراقصون هم : المجيبون للداعي ، الدائرون في ميادين المحبة بالقدم السَّاعي ، وقوله :

أينشدُ[2] مَن تحبُّ وأنت قاسٍ ... وتـرضَـىٰ بـالقَسـاوةِ والعَنـاءِ

أيناديك داعيك إلىٰ مطلوبك ، ويجذبك ساعيك إلىٰ محبوبك ، وأنت قاسٍ لا تلين .

ولنا في هٰذا المعنىٰ هٰذان البيتان : [من الوافر]

فَمَـا يـرضَـى القسـاوَةَ غيرُ حِبٍّ ... لئيـمٍ ليـسَ يظفَـرُ بـالمُنَـاءِ

وقَـدْ مـرَّتْ ليـاليـهِ اللَّـواتـي ... تقضَّـتْ فـي البَطَـالَـةِ والعَنَـاءِ

وإذا كنت من أهل السعادة ، وحظيت بكأس المحبة في عالم الشهادة . . مِلْ من الفاني إلى الباقي ، واشهد كؤوس الساقي ، كما قال :

إذَا مـا كنـتَ صبّـاً مستهـامـاً ... فمِـلْ طـرباً كغُصْـنٍ فـي الهَـوَاءِ

مل طرباً إلى الحمىٰ ، واقصد الفِناء تظفر بالغنىٰ ، ومل تَمايُل الغصن في

---

(١) انظر « النور السافر » ( ص ٢٤٤ ) ، وسيذكر المؤلف رحمه الله تعالىٰ أبيات هٰذه القطعة ويعلق عليها .

(٢) في « النور السافر » : ( أينشدو ) .

الهواء إلىٰ خط الاستواء ، ولا تصغ إلى العاذل وكلامه ، وعذله وملامه ، كما قال رضي الله عنه :

وقُلْ للعاذِلين دَعُوا ملامِي ... فإنَّ العذْل عندِي كالهباءِ

والعاذلون : هم الصَّادون عن طريق الله ؛ من النفس والهوىٰ والشيطان والدنيا ، وكل من صدك عن طريق أهل الله فهو عاذل .

وقوله رضي الله عنه :

أفي أهلِ اللِّوَا وعُرَيْبِ نَجْدٍ ... أُطيعكُمْ وقدْ سكنُوا حَشَائِي

وأهل اللواء : هم أهل لواء المحبة المعقود ، الكارعون من حوضها المورود ، وهم عريب نجد ، والنجد : المحل المرتفع ، كثيراً ما يعبرون به ، وكيف لا ومحلهم أرفع مقام ؟! فمحال أن يسمع فيهم عذل وملام ، وقوله :

معاذَ اللهِ أنْ أُصغِي إليكُمْ ... نَعَمْ أُلقِي مَلامَكُمْ ورائِي

معاذ الله ، وحاشا صدق محبتي أن أصغي إلى العاذل في أحبتي ، وهم القوم لا يشقىٰ بهم جليسهم ، فكيف بمحبتهم ؟! نفعنا الله بهم حالاً ومآلاً ، آمين .

## فَصْلٌ

### [نهاية المطاف مع الإمام علي بن عبد الله السقَّاف]

وقد عنَّ لنا أن نختم هـٰذا الكتاب بأبيات سيِّدنا الشيخ الأوحد ، والغوث المُفْرَد ، سيِّدنا وشيخنا ، الإمام علي بن عبد الله السقاف ؛ لتكمل الألطاف ، ويتم العون والإسعاف ، وهو جدير بذلك رضي الله عنه ؛ لكونه وارث أسرار من سلف ، وبركة الوجود والخلف ، فقد أشرقت شمسه الساطعة ، وبسقت

أغصان دوحته اليانعة ، وصار قدوة عصرنا وبركة دهرنا ، وقد أَفْرَدْتُ مناقبه بكتاب مستقل ، ولم يزل سيِّدنا الشيخ الإمام ، عمر بن زين بن سميط يَحُثُّنِي علىٰ جمع مناقبه ، ومناقب سيِّدنا الإمام القدوة ، صفوة الصفوة ، الوالد سقاف نفع الله به ، ويشير إليَّ بكلام فيه إشارات وبشارات ، نفعنا الله بهم أجمعين ، ولا حرمنا أسرارهم وأودعنا أنوارهم ، ولا جعل حظنا أقوالاً من غير أعمال ، ووفَّقَنا للصِّدق والإخلاص في العلوم والأفعال ، ورزقنا حسن الختام عند انقضاء الآجال ، آمين .

قال سيِّدنا الشيخ علي في وقت شدة وقحط :

يَـــا لطيفـــاً بـــا لعِبَـــادْ ... أُلْطُـــفْ بنَـــا واْســـقِ البِـــلادْ

واْرحـــمْ عبيـــدَكَ يـــا جَـــوَادْ ... قبْـــلَ التبـــرُّمِ والفَسَـــادْ

هٰذه الوسيلة الجامعة ، الواردة من حضرة الألطاف ، حصل بعد إنشادها الفرج ، وزوال الضيق والحرج ، وفيها التوسل بـ( يا لطيفاً بالعباد ) لما في اللطف من العطف على العبيد المحتاجين ؛ تضميناً لقوله تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ ﴾ .

وقوله : ( الطف بنا ) بإذهاب العسر وإبداله باليسر ، ( واسق البلاد ) الأرض المجدبة ؛ لتطيب القلوب ، وتشكر علام الغيوب ، كما قال سيِّدنا الشيخ عبد الله الحداد : [من المجتث]

وَٱجعَـــلْ إلهِـــيَ هَـــذَا ... عـــوناً علَـــىٰ كـــلِّ خَيْـــرِ[1]

وفي الأخرىٰ : [من الرمل]

.................. ... يَشكـــرونَ اللهَ جهـــراً وخَفَـــا[2]

---

(1) ديوان الإمام الحداد ( ص ٢٨٩ ) .

(2) ديوان الإمام الحداد ( ص ٣٧٨ ) .

ثم كرر رضي الله عنه بقوله : ( وارحم عبيدك يا جواد ) الرحمة : تسارع العطف والجود من الجواد الكريم ، الرؤوف الرَّحيم ، ويكون حصول الرحمة قبل التبرم بالقضاء والفساد في الأرض بالتظالم ، الناشىء عن القحط والجدب عند فساد الزمان وعدم السلطان ، ثم توجه إلىٰ ربه بصدق الهمة ، وعظم الرغبة ؛ لكونه الغوث الجامع للصديقية العظمىٰ بقوله :

نسألْ بطَـٰهَ والعِبَادْ    أهلِ السرائرِ والودَادْ[1]

وبحقِّ تنْزيلِ الجَوَادْ[2]    تُحيي البلادَ مَعَ العِبَادْ

توسل بالمصطفىٰ صلى الله عليه وسلم ؛ إذ هو الوسيلة العظمىٰ ، والرحمة المهداة للبصير والأعمىٰ ، وبالعباد أهل السرائر مع الله ، والوداد لله ؛ أي : الحب الخالص في الله ، ( وبحق تنزيل الجواد ) إذ القرآن العظيم من أقرب الوسائل إلى الله ، طلب بذلك حياة البلاد ؛ أي : الأرض الميتة يحييها بوابل المطر ، والعباد تحيا بذلك ، وتتم حياة أبدانهم وأديانهم ، وقوله رضي الله عنه :

عبدُكْ ببابِكَ واقِفُ    ومَنْ عذابِكَ خائِفُ

وبِفِنائِكَ عاكِفُ    يرجوكَ تُدرِكْ بالمُرادْ

---

(١) في هامش ( ج ) : ( وخصوص أهل الوداد محل نظره ؛ من أهل ولايته ، وضعفاء خلقه ، من الشيوخ الركَّع ، والصِّبْيَة الرضَّع ، والبهائم الرتَّع ، وأهل الشيبة في الإسلام ، والمنكسرين من أجله ، والمضطرين وأهل القلوب الرحيمة ، والسرائر السليمة ، رحم الله بهم الوجود ، وأكمل بهم السعود ، آمين . من خط سيدنا عبد الرحمٰن بن علي بن عمر ) .

(٢) في هامش ( ج ) : ( يدخل من طريق الإشارة في قوله : « أهل السرائر . . . » جميعُ الرسل والأنبياء ، والملائكة المقربين ونحوهم ؛ من الأصفياء والأولياء ، بل جميع الخلق بسرٍّ مكنون فيهم ، وفي التوسل بتنزيله تعالىٰ جميعُ كتبه المنزلة ، ومهبط رحماته وإمداداته وتجلياته الفضيلة الرحيمة ، فليُعْلم ، والله أعلم . من خط سيدنا الشيخ الحبيب الإمام عبد الرحمٰن بن علي بن عمر السقاف ) .

وقوف العبد المتحقق بكمال العبودية المحضة بالباب أعظم الأسباب إلى ربِّ الأرباب ، وقد جمع بين الخوف والرَّجاء ؛ طلباً لتمام المراد من رب العباد ، وقوله رضي الله عنه :

يَـا ذَا الجـلالِ وذَا الكَـرَمْ نَطلُبُـكَ تَـرحـمُ مَـنَ جـرَمْ[1]
وآمـحُ الكبـائـرَ واللَّمَـمْ وافتـحْ لنـا بـابَ السَّـدادْ

الجلال والجمال من صفات ربوبيته ، وتوسل هنا بالجلال ؛ لاتصافه بدعاء الخائفين ، وأكده برجواه الكرم بقوله : ( وذا الكرم ) وطلب الرحمة لمن أجرم ؛ أي : أذنب ، ( وامح الكبائر ) الموجبة ( واللمم ) أي : الصغائر بالتوبة والعفو والصفح ؛ فهو التواب الرحيم ، وطَلَبَ فَتْحَ باب السداد ؛ أي : المصالحة ، وهو باب الصواب ، وهو التوبة الجامعة للخيرات والبركات والنفحات ، وقوله رضي الله عنه :

يـا ربِّ وآرحـمْ ضعْفَنـا وَوَسِّـع العيـشَ لَنـا
ولاَ تـؤاخِـذْ مـنْ جنـا إنَّـكَ لطيـفٌ بـالعبَـادْ

الرحمة تسرع إلى الضَّعيف ، المنطرح تحت باب الكريم اللطيف ، وتوسعة العيش تطيب بها القلوب ، وتكشف بها الكروب ، كما ورد في الحديث : « ورزقاً واسعاً »[2] لا تعذبني عليه ، والقناعة هي الرِّزق الواسع ، وحاشاه أن يؤاخذ عباده الضعفاء بالجناية ، بل العفو أقرب بجميل الرعاية .

ثم قال رضي الله عنه :

يـا أَهْـلَ بيـتِ المصطَفَـىٰ يـا أهـلَ الكـرَمْ وأهـلَ الـوفَـا

---

(١) في هامش ( ج ) : ( توسل إلى الرب الأكرم بـ« يا ذا الجلال والكرم » تبعاً لقوله صلى الله عليه وسلم : « ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام » ، ولكونه الاسم الأعظم ) .

(٢) المستدرك ( ١/ ٤٧٣ ) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

غيثُوا عُبَيْداً قَدْ هفا حائِرْ مُضيِّعْ للمعَادْ

ذكر لفظة عبيداً ؛ لرجاء ظهور الرحمة على العبيد لربّه ، وكونُه مصغراً أبلغ في التعطف ، وفي الحديث : « للهُ أرحمُ بعبده المؤمن . . . » الحديث[1] .

وكون العبد قد هفا ؛ أي : ضعف جسماً وقالباً ، وقوي روحاً وهمة ، واعترافه بكونه حائراً من حاله مضيِّعاً لمعاده خوفاً وإشفاقاً ، وذلك لأن شأن الأكابر الاعتراف ، وهو عين الصِّدق والإنصاف .

ثم سأل التدارك والثبات عند النوازل ، وعند الخروج من الدنيا بقوله :

فَدَارِكُوهُ بالثَّبَاتْ وأسعدوا قبْلَ المَمَاتْ

بخيرِ عَيْشٍ في الحَيَاةْ وحُسْنِ ختْمٍ مستَجَادْ

وخير العيش هو عيش السعداء ، والموت المستجاد هو موت الشهداء ، وهو حسن الختام ، ثم ختم بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

ثمَّ الصلاةُ على الرَّسُولْ خيرِ الأنامِ أبي البَتُولْ

مَا لاَح برقٌ في الفُصُولْ والآلِ والصَّحْبِ الجِيَادْ

فهو صلى الله عليه وسلم خير الأنام ؛ أي : الخلق ، وأبو البتول الطاهرة ، وقوله : ( ما لاح برق في الفصول ) هي الفصول الأربعة ؛ أي : لمعت بروق الرحمة المغيثة للعباد فيها ؛ لتكون سَنَتُهُمْ رخيَّة ، وعِيشَتُهُم هنيَّة ، رحمة بعباده ؛ إذ هو رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما .

---

(١) صحيح البخاري ( ٥٩٩٩ ) ، وصحيح مسلم ( ٢٧٥٤ ) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

## [ختام الكلام]

اللهمَّ ؛ ارحمنا برحمتك ، واجعلنا من أهل محبتك ، واجعل عاقبتنا دخول جنتك يا أرحم الراحمين ، انتهى المقصود من الإشارات بالبشارات من القرآن العظيم ، وما جاء عن الرَّسول الكريم ، وما لحق به من النقول عن العلماء الأعلام ، وما أنطقنا الله به وألهمنا من الكلام ، علىٰ أقوال الأئمة العارفين ، والصفوة الذائقين ، المدونة من قصائدهم الناطقة عن الحقيقة العندية ، المشار إليها بـ« كنت سمعه الذي يسمع به . . . » الحديث(١) .

ونحن نستغفر الله ونتوب إليه ، توبة عبد خاطىء مستقيل مما جناه ، خائف من قبيح ما أتاه ، ونَعُدُّ ما تجرأنا به في هـٰذا الكتاب من الجنايات ، ونخشىٰ أن يكون من السيئات ، فنسأله العفو والمسامحة ، وأن يشملنا بستره وغفرانه ، وجوده وصفحه وامتنانه ، ونعوذ بالله أن يكون حجة علينا يوم الوقوف بين يديه ، فقد فوضنا إليه أمرنا وتوكلنا عليه ، فقد سلكنا هـٰذا الميدان ولسنا فيه من الفرسان ، ودخلنا في أمر أحجم عنه الأكابر فضلاً عن الأصاغر ، وكيف وأنَّىٰ لمن ليس له أذواق ، ولا خالص أشواق أن يتكلَّم مع أهل الذوق والشوق ؟! فإلى الله سبحانه وإلىٰ أوليائه الاعتذار من السلوك في هـٰذا المضمار ، ونستغفره حق الاستغفار ، فربما طغى القلم ، وفاضت أودية النفوس وصيرتها لها كالنسم .

اللهم ؛ إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلمه ، ونتوجه إلىٰ من يجيب دعاء الداعين ، ونسأله ونتشفع إليه بحقهم أجمعين أن يجعلنا من المحبين الصادقين ، وأن يدخلنا في زمرة الصالحين ، ويرزقنا توبة نصوحاً تدخلنا في زمرة عباده الصالحين ، آمين ربَّ العالمين .

---

(١) صحيح البخاري ( ٦٥٠٢ ) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وقد انتهىٰ بنا الكلام من كتابنا هٰذا المسمىٰ « تفريج القلوب وتفريج الكروب » علىٰ وجه وجيز ، وكلُّه وارد الوقت من غير كلفة ومراجعة ، وكثرة مطالعة ، بل هو كالاغتنام للحظات من الوقت ، المستغرَق بما يوجب المقت ، نعوذ بالله من ذلك ؛ إذ هو كثير الأشغال بما يكسف البال ، فعيشته نكده ، وأحواله مبدَّده ، فلولا فضل الله تعالىٰ ، والطمع في كرمه ، وحسن الظن به . . لكاد الحس أن يذهب ، والعقل أن يُغْلب ، وإذا قلت الحيلة . . جاءت العناية ، ونعوذ بالله من الاستدراج والمؤاخذة بالذنوب ، فلولا عفوه . . لما نظمنا ونثرنا ، ولولا ستره وحُسن الظن به . . لما تفوهنا .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ .

﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ .

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

أَصلِحْنا اللهم واجعلنا صالحين ، وأدخلنا في عبادك الصالحين ، أهلِ حق اليقين وعين اليقين ، واعف عنا ، وتقبل منّا ما خطه القلم ، وتفوه به الفم ، واشمله بالقبول في قلوب المؤمنين ، واجذب قلوبنا وقلوب السامعين والمطالعين إلىٰ ما به رضاك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين .

## خاتمة النسخة ( أ )

وكان الفراغ من إملاء هٰذا التأليف ظهر يوم السبت سادس ربيع ثاني من سنة ( ١٢٠٨ ) تقبل الله ذلك بمنه وكرمه ، آمين .

## خاتمة النسخة ( ب )

تم كتاب « تفريح القلوب وتفريج الكروب » لسيدنا الإمام عمر بن سقاف بن محمد بن عمر بن طه الصافي السقاف علوي ، أمتع الله به ، آمين .

وكان فراغ هٰذه النسخة يوم السبت سابع عشر شوال ، سنة ثلاث عشرة ومئتين وألف ، وهي برسم السيد الفاضل عقيل بن حسن بن أبي بكر بن حسن بن أبي بكر بن عبد الله بن الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد الجفري باعلوي .

## خاتمة النسخة ( ج )

وكان الفراغ من إملاء هٰذا التأليف ظهر يوم السبت ، سادس ربيع ثاني من سنة ثمان ومئتين وألف .

تقبل الله ذلك بمنّه وكرمه ، آمين .

تم الكتاب المسمّىٰ بـ« تفريح القلوب وتفريج الكروب » بعون الله غفار الذنوب ، وكان الفراغ من نساخته ليلة الخميس ( ٢٩ ) صفر سنة اثنتين وأربعين وثلاث مئة وألف ، وذلك بسيئون ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، بأنامل محصله لنفسه ، ولمن شاء الله تعالىٰ هُداه ، أفقر العباد ، وأحوجهم إلىٰ فضل الربِّ المجيد علي بن عبد الله بن عمر بن أبي بكر بن عمر بن سقاف السقاف ، عفا الله عنه ، آمين .

الخطُّ يبقىٰ زماناً بعد كاتبه ... وكاتب الخطِّ تحت الأرض مدفون

- انتقل إلىٰ ملك السيد حسن بن عبد القادر ... بن سقاف السقاف ، حفظه الله ، آمين . وذلك في ( ١٥ ) ربيع الأول سنة ( ١٣٤٢ ) .

- انتقل إلىٰ ملك السيد عبد الله بن عمر السقاف هدية من السيد حسن المذكور .

# مُحتوى الكتاب



زاوية العيدروس العلمية

بحوطة آل أبي علوي بتريم